حضرموت الثقافية

Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine - March - 2020 شعبان ١٤٤١هـ

مجلة فصلية - السنة الرابعة العدد (15)

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

من سنوات التأسيس.. إلى سنوات التوثّب والانطلاق

حوار مع رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات

الشيخ محمد سالم بن علي جابر

قراءة في التجربة النقدية عند د. عبدالله حسين البار

(من جاء تحت المطر ما منه تعذر)

من أعلام حضرموت

الأستاذ/ سالم عبدالله الحبشي

١٩٣١- ٢٠٠٣م

محتويات العدد

حديث البداية

- أهمية الوعي بالقراءة الجديدة في حضرموت ..... رئيس التحرير 4

ملف العدد

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر من سنوات التأسيس.. إلى سنوات التوثب والانطلاق

- المؤتمر العلمي الرابع لمركز حضرموت ..منهجية الحركة العلمية وأبعادها المستقبلية 16
- حوار مع رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية الشيخ محمد سالم بن علي جابر.... 22
- أكاديميون وباحثون في رحاب قرن من الزمان في تاريخ حضرموت..... 25

أضواء

- بُلْدَانٌ وأماكِنُ رَبْدَةِ الدِّيْن والسَّيطان المُجاورَة لها..... محسن علوي باعلوي 29
- أسرار القدماء في الطب القديم وأعشاب حضرموت في الصدارة ..... سالم محمد باراس 37
- منجزات المرأة الحضرمية في حقل التصوف والتربية ..... منير بن سالم بازهير 45
- المحازي في الأدب الشعبي المشقاصي ..... مسعود علي الغتيتي 49
- دوعن أرض المهاجرين ..... صالح سعيد باحيدرة 57

شخصيات

- الشيخ عبدالله بن يوسف باناجة "الباشا وعضو مجلس المبعوثان العثماني".. د. خالد حسن الجوهي.. 60

دراسات

- الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب.. ساحل حضرموت (أنموذجًا)... عمر خميس بامتيرف... 63

عرض كتاب

- تعريف موجز عن رسالة الماجستير الموسومة بـ (سعيد عوض باوزير أدبه ونقده)... أنور سالم باكركر... 76

نقد

- التجريد في دائرة الضوء قراءة في التجربة النقدية عند د. عبدالله حسين البار ..... أ. د. عبدالله حسين البار 78
- سرد الحب والاختراق في رواية (النوافذ الصفراء) للقاص سالم بن سليم..... بدر العرابي.... 87

حوار العدد:

- حوار من الأستاذ صالح علي العطاس..... علي سالمين العويثاني..... 97

كتابات

- زاهد خريف ..... د. سعيد الجريري 104
- بين الأرواح ..... عمار باطويل..... 106

إبداع

- نوافذ حضرمية على شجن في الطريق (سرد) ..... صالح بحرق..... 108
- خور المكلا، شقيق النيل (قصيدة) ..... د. أبوبكر محسن الحامد... 109
- يا مُكلا (قصيدة) ..... ياسر سعيد دحي 109
- دمشق وعالم الأشياء (قصيدة) ..... سالم عبدالله بن سلمان..... 110
- محضارنا (قصيدة) ..... حسين عبدالله بامطرف 111
- الشاعر يرثي نفسه (قصيدة) ..... محمد سالم بن داود 112
- نصوص شعرية مترجمة (عن اللغة الإنجليزية) (سرد) ..... بسّام سعيد دحي 113

توقيع قلم

- (من جاء تحت الدار ما منّه تعذّار)..... أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي... 114

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة الرابعة العدد (15)

يناير - مارس 2020م

تصدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار
أ. د. عبدالله صالح بابعير
أ. د. ناجي جعفر الكثيري
أ. د. مسعود سعيد عمشوش
أ.د. خالد يسلم بلخشر
د. حسن صالح الغلام العمودي
د. طه حسين الحضرمي
د. أحمد سعيد عبيدون
د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطابع وحدين الحديثة للأوفست - المكلا

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنية إخراجية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر، ولا تلتزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baaesa-١@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشريف سابقًا) - ت: ٠٥٣٢٠٦٣٢٥

العدد (15)
يناير
مارس
2020م

أهمية الوعي بالقراءة الجديدة في حضرموت

د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

ما زال التاريخ بوصفه كتابة كيانًا مغلقًا على نفسه، لا يريد أكثر المتخصصين فيه والمهتمين به من غيرهم المساس به، أو التدخل في شؤونه، باستثناء أولئك الذين ينظرون إلى التاريخ بنفس ثقافي أعمق فيرحبون بمختلف الدراسات والآراء فيه، شريطة أن تكون مبنية على أسس منهجية من العلم، فالقراءات غير التاريخية (التفكيكية، والسيميائية، والثقافية، وحتى الفلسفية) للتاريخ ما زالت قليلة.

ولعل منبع الحذر الذي يبديه بعض المختصين بالتاريخ إما الخوف من أن يربك التاريخ ومسلماته أحد من خارجه، وإما الحرص على صفاء التخصص الأكاديمي في دراسة مسائله. لكن أحدًا لا يناقش في التخصص وضرورته، فتلك مسألة مفروغ منها، وإنما المناقشة في إطار إثراء وجهات النظر إلى التاريخ يقوم بها دارسون من جهات مختلفة، وكلها دراسات يعتد بها تاريخية وغير تاريخية، فالأولى تعمد إلى التدقيق في مسائل التاريخ ومستغلقاته، والثانية تعمد إلى مناقشة المسائل والإشكالات بطريقة أكثر دينامية وكشفًا انطلاقًا من مناهجها القرائية.

العدد (15)
يناير
مارس
2020م

والواقع أن هذا اختلاف بين طريقتين في المنهج، فالمناهج الحديثة تجوس خلال النتاجات الكتابية المختلفة، تاريخية وغير تاريخية، وتفتش فيها بوصفها قراءات تقوم على استراتيجية البحث عن المسكوت عنه ومحاولة إظهاره، وهي لا تهدف إلى تخطئة كتابة ما، بقدر ما تهدف إلى كشف أنساقها الداخلية المخفية التي ربما كان كاتبوها أنفسهم على غير وعي واضح بها، مع مواصلة الحفر المستمر للكشف عن أنساق أكثر دقة وبصورة منتجة. ولا يعد هذا كيدًا ولا انتقاصًا كما قد يفهم، بقدر ما هو فحص وتدقيق وصلت إليه المناهج الحديثة في القراءة، لا يجب أن نكون مغيبين عنه في حضرموت، أو أن يكون مغيبًا عنّا.

إن الذي ما زال غائبًا من دلالات النصوص المكتوبة أكثر مما كشف منها بكثير، وإذا كنّا قد عرفنا بعض التأويلات حول ما قرأنا فمن المهم أن نبحث عن تأويلات جديدة تحرك فينا المعرفة، فلا يمكن أن يتكرر وعينا الآن حرفيًا كما كان وعي القراء قبل خمسين أو مائة سنة حول بعض القضايا في تاريخنا وثقافتنا انطلاقًا من تحليلات المناهج الحداثية وما بعد الحداثية، وبعيدًا عن الرغبات الذاتية الخاصة في التحليل والتفسير التي شكلت وما زالت تشكل خطرًا كبيرًا على الوعي بتحولها إلى مرتكزات رئيسة يصعب الانفصام عنها أو مخالفتها عند بعض الدارسين، ففي الماضي حالت عوائق دون القراءة الناقدة، ما عادت موجودة الآن في واقع حضرموت الثقافي بشكل كبير، وما اكتشف أنها عوائق إلا الآن؛ لأنه كان ينظر إليها على أنها تمثل السمت الأعلى من المعرفة، وربما الحقيقة، فكل القراءات السابقة قاصرة انطلاقًا من نسبية المعرفة وسيرورتها، وكل القراءات التي ستأتي لن تصل إلى النقطة الأخيرة في الفهم والتحليل لا سيما أننا أمام فضاء واسع من الكتابات المتلاحقة عبر التاريخ، وبالمقابل أمام حيز محدود من القراءات حولها.

رئيس جامعة سيئون يستقبل رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت

التقى في ديوان رئاسة جامعة حضرموت أ. د. محمد عاشور الكثيري رئيس جامعة سيئون الشيخ محمد سالم بن علي جابر رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر لبحث سبل التعاون بين الجامعة والمركز خاصة في مجالات النشر في المجلات المحكمة والمؤتمرات والندوات العلمية بخاصة التاريخية، وقد أثمر اللقاء إهداء مركز حضرموت جامعة سيئون عدداً من إصداراته وإصدارات دار الوفاق لرفد المكتبة الجامعية، وكذا مدها بقاعدة بيانات الخزانة الحضرمية التي يعكف المركز على تجهيزها، كما تم التفاهم على إشراك الجامعة في مشروع الموسوعة الحضرمية التي يعدها المركز، وإشراك الجامعة في عضوية هيئة تحكيم مجلة الدراسات التاريخية التي تصدر من المركز في عدن، وستقدم الجامعة كل ما يمكن أن يسهم في رفد ونجاح مركز حضرموت بالمشاركة في فعالياته العلمية، والتبادل المعرفي وكل ما يجعل دور الجامعة فاعلاً مع مؤسسات المجتمع المدني كهدف استراتيجي لها.

حضر اللقاء أ. د. محمد عثمان العمودي نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، ومدير عام الثقافة والإعلام، ورئيس قسم التاريخ بكلية التربية.

مركز حضرموت وكلية التربية بجامعة سيئون يوقعان اتفاقية تعاون مشترك

تم يوم الأحد ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٩م في كلية التربية توقيع اتفاقية تعاون مشترك بين مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وكلية التربية بجامعة سيئون بحضور نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي أ. د. محمد عثمان العمودي الذي عمد الاتفاقية التي كان من أهم بنودها إشراك الكلية في المؤتمرات والندوات التي يقيمها المركز، واستعداد الكلية لإقامة هذه الفعاليات في حرمها الجامعي، وكذلك تبادل النشر في المجلات المحكمة، وتزويد مكتبة الكلية بنسخة من الموسوعة الحضرمية، والخزانة الحضرمية التي يعكف المركز حاليًا على استكمال إعدادها، وتبادل الزيارات والخبرات العلمية، وقع الاتفاقية عن الكلية د. عبدالقادر باجبير عميد الكلية، وعن المركز الشيخ محمد بن علي جابر رئيس مجلس إدارة المركز، وعمدها نائب رئيس الجامعة أ. د. محمد عثمان العمودي، وفي نهاية التوقيع الذي تم في قاعة المكتبة أهدى الشيخ محمد للمكتبة عدداً من إصدارات المركز، كما أهدى الباحث أحمد الرباكي للكلية نسخة من الموسوعة اليافعية، حضر التوقيع نواب عميد الكلية د. حسن بن سميط، ود. عمر باسعد، ود. سالم بامؤمن، ورئيس قسم التاريخ د. عبدالله التميمي، ومدير عام الثقافة والإعلام بالجامعة د. علي العيدروس، وعدد من أساتذة الكلية.

العدد (15)
يناير
مارس
2020م

رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في زيارة للهيئة العامة للآثار

إعلام المركز:

قام الأستاذ محمد سالم بن علي جابر رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بزيارة تفقدية للهيئة العامة للآثار والمتاحف بوادي حضرموت والصحراء، وكان في استقباله د. حسين العيدروس المدير العام للهيئة العامة للآثار والمتاحف، الذي أطلعه على أقسام المتحف وأنشطته، بالإضافة إلى الأعمال التي تقوم بها الهيئة في الحفاظ على الآثار والمواقع الأثرية وتوثيق القطع الأثرية في المتحف مبديًا إعجابه بما تم إنجازه في هذا الجانب كما اتفقا على مذكرة تفاهم مشتركة تصب في مصلحة الحفاظ على التراث وصونه ونشره، ومن أبرز الخطوط العريضة التي اتفقا عليها دعم وطباعة ونشر الأعمال والتقارير العلمية الأثرية والتاريخية وترجمتها، والتي مرت عليها سنوات دون أن تجد طريقها إلى النور بعد التواصل مع الجهات العلمية ذات العلاقة.

هذا وثمن د. العيدروس الجهود التي يضطلع بها المركز لخدمة التراث والموروث الثقافي، ومنها الموسوعة الحضرمية التي يجري إعدادها في المركز.

رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت يلتقي بأعضاء مجلس الإدارة

إعلام المركز:

التقى الأستاذ محمد سالم بن علي جابر رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في إطار زيارته الإشرافية والتفقدية للمركز بمجلس إدارة المركز وموظفيه ورؤساء لجان الموسوعة الحضرمية يوم السبت ٢١/ ١٢/ ٢٠١٩م، مبديًا سعادته بهذه الزيارة، وفي الأثناء نفسها رحب أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير المركز بالأستاذ رئيس مجلس الإدارة باسمه ونيابة عن أعضاء المجلس ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية. وجرى خلال الاجتماع مناقشة عدد من القضايا المتعلقة بنشاط إدارات المركز، والموسوعة الحضرمية، ومن أبرزها مناقشة خطة المركز التشغيلية للعام القادم ٢٠٢٠م، وتقويم أعمال المؤتمر العلمي الرابع للمركز الذي أشار رئيس مجلس الإدارة إلى أن الإيجابيات فيه كانت أكثر من السلبيات طالبًا من الحاضرين إبداء ملاحظاتهم عما رأوه من نقص حتى يتم تلافيه في المؤتمرات القادمة.

وقد خرج الاجتماع بعدد من القرارات المتعلقة باتجاهات عمل المركز للعام القادم ٢٠٢٠م.

الدكتور فؤاد بن الشيخ أبوبكر يزور مركز حضرموت

إعلام المركز:

استقبلت إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر الشيخ الدكتور فؤاد عمر بن الشيخ أبوبكر عضو مجلس الشورى وزير الأوقاف السابق، الثلاثاء ١٨/ ٢/ ٢٠٢٠م، الذي يزور المركز للمرة الأولى.

رحب مدير المركز أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي بالزائر الكريم وأبدى له سعادة إدارة المركز بهذه الزيارة من شخصية حضرمية لها حضورها ومكانتها.. موضحًا له الأعمال والمشاريع والأنشطة والفعاليات التي يقوم بها المركز حسب خططه وبرامجه اليومية، والفصلية، والسنوية، وكذا المشاريع المستقبلية وأهمها الموسوعة الحضرمية المشروع الكبير الذي يزمع المركز إنجازه، والذي هو بحاجة إلى دعم الخيرين من أبناء حضرموت في الداخل والخارج بوصفه مشروعًا كبيرًا يحتاج إنجازه إلى جهود وتضحيات كبيرة في مختلف المجالات.

من جانبه أبدى د. فؤاد بن الشيخ أبوبكر ارتياحه وإعجابه لما رآه من حسن التنظيم والجهود المبذولة في خدمة تراث حضرموت وتاريخها، متمنيًا للمركز تحقيق كامل أهدافه والتوفيق في إنجاز الموسوعة الحضرمية وغيره من المشاريع.

حضر الزيارة المصور الفوتوغرافي الأستاذ فهد صالح باوجيه، وكذا مدير و الإدارات ورؤساء اللجان العاملة بالمركز.

اللجنة العلمية بمركز حضرموت تعقد اجتماعها الدوري

إعلام المركز:

عقدت اللجنة العلمية لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر اجتماعها الدوري مساء السبت ١٥/ ٢/ ٢٠٢٠م برئاسة أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي المدير العام للمركز ناقشت فيه ما تم تنفيذه من الخطط العلمية لإدارات المركز في شهر يناير من خطة الربع الأول للعام ٢٠٢٠م، وأبدت اللجنة العلمية ارتياحها مما تم تنفيذه بنشاط داعية إلى مواصلته لإنجاز بنود الشهرين القادمين من الخطة الفصلية (يناير - مارس).

مركز حضرموت يستقبل مستشار اتحاد رؤساء الجامعات الروسية العربية

إعلام المركز:

استقبل مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء الأربعاء ١٨/ ١٢/ ٢٠١٩م د. بشير سماحة مستشار اتحاد رؤساء الجامعات الروسية والعربية، وكان في استقباله الأستاذ محمد سالم بن علي جابر رئيس مجلس إدارة المركز، وأ. د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير المركز، ومديرو الدوائر، ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية.

وقد قدم الأستاذ بن علي جابر للضيف في مفتتح اللقاء تعريفًا موجزًا عن نشاطات المركز منذ تأسيسه في مختلف المجالات، فيما أبدى أ. د. الجعيدي رغبة المركز في إقامة شراكة مع الجهات الروسية المهتمة بشؤون التاريخ والاستشراق عمومًا، مشيرًا إلى أن المركز اهتم بإصدار بعض الكتب لباحثين روس أو أعاد طباعتها فيما يتعلق بحضرموت في العمارة والانثروبولوجيا.

من جهته أبدى د. سماحة سعادته بهذه الزيارة لمركز حضرموت، شاكرًا لإدارته توجيه الدعوة إليه، مشيرًا إلى أنه سيعمل على إقامة علاقة تعاون وثيقة بين المركز والجهات الروسية ذات العلاقة.

وفي ختام اللقاء طاف الضيف بإدارات المركز ومكاتب الموسوعة الحضرمية.

نائب مدير مركز النور بتريم يزور مركز حضرموت

إعلام المركز:

قام الأستاذ حسين بن شيخ بن عبدالقادر العيدروس نائب مدير مركز النور للدراسات والأبحاث - تريم، يرافقه عدد من العاملين بالمركز بزيارة إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر الأربعاء ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٩م وكان في استقباله أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير المركز، وفي مستهل اللقاء نقل الأستاذ العيدروس تحيات الأستاذ زيد بن يحيى مدير مركز النور للدكتور الجعيدي والعاملين بمركز حضرموت. وفي اللقاء الذي حضره عدد من مديري الدوائر ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية جرى الحديث عن أهمية توطيد العلاقة بين المركزين وتفعيل العلاقات بينهما في المستقبل، وأهدى الأستاذ العيدروس للمركز كتاب (الموضوعات) لابن الجوزي.

مركز حضرموت يستقبل د. محمد أبوبكر حميد

إعلام المركز

استقبل مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بحفاوة بالغة مساء الإثنين ٦/ ١/ ٢٠٢٠م الباحث والأستاذ الجامعي المعروف د. محمد أبوبكر حميد حيث كان في مقدمة المستقبلين أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير المركز ونائبه أ. د. خالد يسلم بلخشر ومديرو الإدارات ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية والعاملون بالمركز، وفي مستهل اللقاء الذي عقد فور وصول الضيف أبدى أ. د. الجعيدي سعادته والطاقم الإداري للمركز بهذه الزيارة من شخصية حضرمية معروفة على المستوى المحلي والعربي لا سيما في جهودها الكبيرة في خدمة تراث الأديب الكبير علي أحمد باكثير، مشيراً إلى أن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مولود ثقافي شرعي جاء في وقت الحاجة إليه، وقد بدأ بنوايا صادقة وجادة، وكان عمله مؤسسيًا منذ انطلاقته في نهاية العام ٢٠١٥م؛ حيث شكلت له فضلاً عن إداراته العلمية لجان علمية واستشارية متخصصة تعمل على فحص الكتب والأبحاث والمقالات المقدمة إلى المركز ولا تسمح إلا بنشر القيم منها حرصًا على الدقة في الاختيار، فضلاً عن الاستفادة من أساتذة أكاديميين من خارج إطار المركز رغبة في أن يكون المركز علامة فارقة ومميزة في ثقافة حضرموت المعاصرة، وسقفًا علميًا مرتفعًا عملت الإدارة وما زالت تعمل على بنائه، وقد دخل المركز الآن في مشروع الموسوعة الحضرمية التي يقف عليها هي الأخرى أساتذة أكفاء متخصصون في مجالاتهم، وسيظل المركز في حالة تجدد مستمر.

من جانبه أعرب د. محمد أبوبكر حميد عن سعادته بهذه الزيارة الأولى له إلى المركز، مشيراً إلى أنه من المهم تنويع الجهود وتجانسها، فالمركز بالقياس إلى عمره أنجز إنجازات كبيرة في المؤتمرات، والندوات، والمحاضرات، وحلقات النقاش الثقافية، وإصدار الكتب، ومجلة (حضرموت الثقافية)، التي نأمل أن نراها تصدر شهريًا أو في الأقل مرة كل شهرين، بدل أن تكون فصلية، كما نأمل إصدار مجلة علمية محكمة عن المركز، وتعد الموسوعة حلماً حضرميًا كبيراً بدأ يجد طريقه إلى النور، فالصعوبات المالية يمكن أن تحل، ولكن المهم الصعوبة العلمية التي أرى المركز لا يعاني أي صعوبات منها، والحمد لله، فلا توجد لديكم مشكلة في الكفاءات ولا في إخلاصها، وهذا عامل نجاح مهم، متمنيًا أن يشكل مركز حضرموت مع أشقائه من المراكز المماثلة في عدن والقاهرة حالة بحثية واحدة ومتكاملة، مثنيًا في هذا الإطار على الجهود النوعية القيمة والتأسيسية التي يبذلها الأستاذ محمد سالم بن علي جابر في هذا الإطار، كما أعرب نائب مدير المركز ومديرو الإدارات ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية عن سعادتهم بهذه الزيارة.

الجدير بالذكر أن زيارة د. حميد تزامنت مع زيارة قام بها أ. د. رزق سعد الله الجابري أستاذ الجغرافيا السكانية بجامعة حضرموت وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ود. عبده عبدالله بن بدر أستاذ الفلسفة الحديثة، ود. سعيد أحمد البطاطي أستاذ النحو واللغة بجامعة حضرموت إلى المركز، حيث أبدى هؤلاء الأساتذة في لقاء آخر جمعهم مع د. حميد وإدارة المركز عن سعادتهم بالتطور الحاصل في المركز مبدين وجهات نظرهم ومشورتهم لإدارة المركز للارتقاء بعمله بصورة أفضل.

لقاء تعريفي بالموسوعة الحضرمية بكلية الآداب جامعة حضرموت

إعلام المركز:

تم في الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٥/ ٢/ ٢٠٢٠م عقد لقاء تعريفي بالموسوعة الحضرمية قامت به إدارة (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) ممثلة بـأ. د. عبدالله سعيد الجعيدي المدير العام للمركز، وأ.د. سالم عبدالله باصريح رئيس لجنة البلدان في الموسوعة الحضرمية، ود. حسن صالح الغلام رئيس لجنة القبائل والأسر، ود. عبدالقادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز إلى كلية الآداب جامعة حضرموت حيث كان في استقبالهم أ. د محمد عوض بارشيد عميد الكلية، ود. عباس أحمد بافرج نائب العميد للشؤون الأكاديمية، ود. عاطف صالح التميمي نائب العميد لشؤون الجودة، ود. محمد أبوبكر مقيبل مدير (مركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية) بجامعة حضرموت، وعدد من رؤساء الأقسام العلمية بالكلية، وأ. أحمد زين باحيد مدير إدارة الإعلام في جامعة حضرموت.

التعريف بالموسوعة الحضرمية في جامعة الأحقاف

إعلام المركز:

التقت إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر صبيحة يوم الأربعاء ١٩/ ٢/ ٢٠٢٠م برئاسة المدير العام للمركز أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي مع إدارة جامعة الأحقاف برئاسة د. صادق عمر مكنون نائب رئيس الجامعة بهدف التعريف بالموسوعة الحضرمية، التي يقوم المركز بالإعداد لها في أجزائها الخمسة: التاريخ، والبلدان، والقبائل والأسر، والأعلام، والمهاجرين، وقد قدّم رئيس كل لجنة من اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية شرحًا عن المهام التي يمكن أن تقوم بها لجنته، مناقشين مع إدارة جامعة الأحقاف إمكانية تنمية التعاون المستقبلي بينهما بشأن إنجاح مشروع الموسوعة الحضرمية.

من جانبه رحّب د. صادق مكنون بفريق المركز معربًا عن استعداد جامعة الأحقاف للتعاون مع المركز في هذا المشروع الكبير.

زيارة باعبّاد وباجردانة وبامقنع إلى مركز حضرموت

إعلام المركز:

قام الإخوة د. عمر عبدالله باعباد مستشار رئيس الجمعية الوطنية بالمجلس الانتقالي الجنوبي عضو لجنة الدراسات والبحوث في الجمعية الوطنية، و د. عمر سالم باجردانة عضو الجمعية الوطنية للمجلس الانتقالي الجنوبي نائب رئيس لجنة الدراسات والبحوث، والأستاذ صابر صالح بامقنع رئيس الدائرة المالية بالقيادة المحلية للمجلس الانتقالي بحضرموت بزيارة إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يوم الأحد ٢/ ٢/ ٢٠٢٠م، وكان أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي المدير العام للمركز في استقبالهم بمكتبه؛ حيث جرى خلال اللقاء تطارح أوجه النشاط المختلف الخاص بتفعيل الجانب الثقافي الذي يمكن أن ينهض به المركز ولجنة الدراسات والبحوث بالمجلس الانتقالي الجنوبي لما فيه الرفع من شأن الثقافة وتعزيز حضورها في المجتمع.

حضر اللقاء د. عبدالقادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز.

الفنانة التشكيلية عبير الحضرمي تزور مركز حضرموت

إعلام المركز:

قامت الفنانة التشكيلية عبير الحضرمي بزيارة ودية تعارفية إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يوم الأحد ٢/ ٢/ ٢٠٢٠م عبرّت من خلالها عن سعادتها بهذه الزيارة لا سيما أن القطاع النسوي في حضرموت يسمع عن نشاطات المركز وحضوره في المجتمع فأرادت التعرف عليه عن كثب.

من جانبه أبدى أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي المدير العام للمركز عن سعادته بهذه الزيارة وترحيبه بها خاصة أنها تأتي من شخصية نسائية شابة معروفة بكفاءتها الفنية التشكيلية مرحبًا بزيارات أكثر للعنصر النسائي إلى المركز.

حضر اللقاء د. عبد القادر باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز.

في إطار التحضير للموسوعة الحضرمية

محاضرة عن (ريدة الدين) للباحث محسن باعلوي

إعلام المركز:

نظم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالمكلا بالتنسيق مع كلية الآداب - جامعة حضرموت، بقاعة الفقيد أحمد عوض باوزير بالكلية صباح يوم الخميس ١٧/ ٣/ ٢٠٢٠م محاضرة للأستاذ محسن علوي أبوبكر باعلوي بعنوان (تسميات المدن والأماكن في حضرموت، ريدة الدين والسيطان المجاورة لها نموذجًا) قسم المحاضر محاضرته أربعة محاور: تحدث في المحور الأول عن سبب اختيار ريدة الدين موضوعًا لمحاضرته.

وتحدث في المحور الثاني: عن تسميات المدن والأماكن، من حيث النسبة إلى البلدان، وعن ضبط الاسم لغويًا، ومعناه، وقدمه أو حدوثه، ودلالة الاسم على التاريخ، وعروبة الاسم أو أعجميته، والتنوع في تسميات المدن والأماكن، وغير ذلك.

وتناول في المحور الثالث تعريفًا وافيًا بريدة الدين، من حيث: التعريف اللغوي والعرفي باسمها، وموقعها، وحدودها، وذكرها في كتب التاريخ، وسكانها.

وتحدث في المحور الرابع عن تسميات المدن والأماكن في ريدة الدين والسيطان: موضحًا أنها عدة أنواع، منها: التسميات المنسوبة إلى طبيعة الأرض، كالتسميات المنسوبة إلى الجبال والصخور كالأشعرين، والأبيضين، والقارة، ومنها التسميات المنسوبة إلى مجاري السيل: كالشعب، والشرج، واللصيب، والولجة، ومنها الأماكن المنسوبة إلى مواضع إمساك ماء المطر: كالثجرة، والثجر، والحسية، والثبرة، والقراقر وغيرها.

والنوع الثاني من أسماء الأماكن منسوب إلى الأشجار الكائنة بالريدة: كالثرار، والقفل، والعرفط، ومشطة، والراك، والنخيلات، والنوع الثالث تسميات منسوبة إلى الحيوانات :كالذياب، وقارة الفرس، والنوع الرابع: التسمية المنسوبة إلى الحرفة والمهنة : كالقضاضة، والنوع الخامس: تسمية الأماكن بأسماء الأشخاص والقبائل كبامنصور، وبامقحوف، والنوع السادس التسمية المنسوبة لأول مبنى كحجل باجعيم، والسرين، والنوع السابع التسمية المنسوبة إلى هيئة المكان: كالخليف، والحنو، والحنكة، وعنق بلشرف، والنوع الثامن: التسمية المنسوبة إلى الألوان: كالأبيض، والأسحم، والأسيودات، والخضيراء.

هذا وقد حضر المحاضرة أ.د. محمد عوض بارشيد عميد كلية الآداب، وأ.د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)، ود. محمد أبوبكر مقبيل مدير (مركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية) بجامعة حضرموت، وعدد من الأساتذة رؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية، وقسم التاريخ وغيره من الأقسام بالكلية، وجمع كبير من المهتمين والطلاب.

الجدير بالذكر أن هذه المحاضرة تأتي في إطار الترتيبات العلمية لتزويد الموسوعة الحضرمية التي ستصدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بمادة وافية عن الأماكن والبلدان في مختلف مناطق حضرموت.

تهنئة

مركز حضرموت للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر

تهنئ إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر زميلهم الأستاذ المشارك

أ.د. محمد يسلم عبدالنور

رئيس لجنة الأعلام بـ(الموســـوعة الحضرمية) لحصوله على درجة الأستاذية (بروفيسور) في التاريخ الإســـلامي والحضارة الإســـلامية راجية له كل نجاح وتوفيق بما يعم بالنفع على حضرموت والعالم العربي والإسلامي.

@hadramoutcenter

تهنئة

مركز حضرموت للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر

تهنئ إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر زميلهم

أ. أنور سالم باكركر

سكرتير تحرير مجلة (حضرموت الثقافية) لحصوله على درجة الماجستير عن رسالته الموسومة بـ(سعيد عوض باوزير - أدبه ونقده) من جامعة حضرموت - قسم اللغة العربية - تخصص أدب ونقد، راجية له كل نجاح وتوفيق بما يعم بالنفع على حضرموت والعالم العربي والإسلامي.

@hadramoutcenter

15
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

ملف العدد:

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

من سنوات التأسيس.. إلى سنوات التوثب والانطلاق

إعداد: أحمد زين باحميد

المؤتمر العلمي الرابع لمركز حضرموت للدراسات التاريخية

منهجية الحركة العلمية وأبعادها المستقبلية

حوار مع رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

الشيخ محمد سالم بن علي جابر

أكاديميون وباحثون
في رحاب قرن من الزمان في تاريخ حضرموت

16
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

المؤتمر العلمي الرابع لمركز حضرموت للدراسات التاريخية

منهجية الحركة العلمية وأبعادها المستقبلية

إدارة الإعلام والثقافة بالمركز:

في تقليد سنوي صارم، وتحديداً في التاسع عشر من ديسمبر من كل عام يقيم (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) مؤتمره العلمي السنوي، الذي بدأه في العام ٢٠١٦م. وفي التأكيد على هذا الموعد المنضبط إشارة مقصودة من إدارة المركز للمجتمع المثقف، والمجتمع عمومًا، إلى مدى ما يتمتع به من علمية ومنهجية وصرامة إدارية، حتى صار المؤتمر أمرًا واقعًا لا يمكن للمركز أن يحيد عنه ما دامت ارتبطت به كوكبة من أساتذة الجامعات، والباحثين، والطلاب، والمثقفين المهتمين.

وكالعادة بدأت أعمال المؤتمر الرابع (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي) بالمكلا لهذا العام ٢٠١٩م بجلسة افتتاحية بُدئت بآي من القرآن الكريم تلاها الأستاذ عبدالله سعيد بن علي جابر، ثم بكلمة لمدير المركز أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي، قال فيها: (إن القرن التاسع عشر قرن استثنائي فهو قرن الاختراعات وحركة التطور)، وأضاف: (وحضرموت في ذلك القرن لم تكن معزولة عن العالم،

فقد تغيرت فيها اللعبة الدولية، وفتحت أبواب الهجرة بعد ظهور البواخر) في إشارة منه إلى أن الموقف السياسي في حضرموت يتغير مثله مثل أي بلد وفقًا للمتغيرات العالمية، وأن روح العصر تقترب حتى من البلدان الأكثر انغلاقًا مما لا يمكن لها أن تحيد عنه.

بينما قال الأستاذ محمد سالم بن علي جابر رئيس مجلس إدارة المركز في كلمة افتتاحية له: (إن أمة لا تملك تاريخها أمة عمياء)، مما يعني مزيدًا من الاستقصاء في قراءة التاريخ؛ بوصفه أطوارًا أساسية مهمة في فهم الحاضر، متلازمة تلازم السبب والمسبب.

هذا وقد ناقش المؤتمر في جلساته عددًا من الأوراق، منها: الصراع الكسادي - البريكي، والتدخلات العثمانية في الشأن السياسي الحضرمي، والصراع على الحكم وأثره على الحياة العامة، وأبرز ما طرأ من متغيرات سياسية في القرن التاسع عشر الميلادي، وأخبار حضرموت في وثائق المراسلات اليافعية، وشخصية ابن قملا ودوره في حضرموت عبر وثائق تنشر لأول مرّة، وملامح التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الحضرمي في ذلك القرن، وأثر الربابنة والنواخذة الحضارم في الملاحة والتجارة البحرية، والأوضاع السياسية والتدخلات الخارجية في حضرموت، والاهتمام بالعمارة الحربية في ذلك القرن، ونظام الري في عهد الإمارة الكسادية،

وغيرها من أوراق متعددة العنوانات بلغت سبع عشرة ورقة بحثية، تم إجازتها من قبل لجنة علمية خُصصت لهذا الغرض.

ويمكن القول إن المؤتمر اشتمل على مجموعة من المحاور التي ركزت في اتجاهها الأساسي على محاولة قراءة الحاضر من خلال الماضي بتأكيد الإيجابيات وتجاوز السلبيات في المناحي السياسية والاجتماعية والعلمية في ثلاث جلسات، حظيت بنقاش جيد معزز بنظام المعرفة الذي لا يسعى إلى التوفيق بين الأفكار بقدر ما يهدف إلى غربلتها وفحصها بوصفها جزءاً مهماً في طريق التجربة الحياتية والعلمية الممتدة في تاريخ الحضارمة، فضلاً عن التجربة التأليفية لدى مجموعة المؤلفين المسهمين في كتابة تاريخ القرن التاسع عشر.

وإن التركيز على وثائق تنشر لأول مرة في ثلاثة من أبحاث المؤتمر يشير إلى الجهد الذي بذله الباحثون في التنقيب والبحث، وإلى محاولة الوصول بالأبحاث إلى ما يفتح الجديد، وينبه إلى أن هذا الخط مرتكز أساسي للمركز بعيداً عن الحكم الأيديولوجي والانفعالي، ووصولاً إلى الحكم المبني على الوثيقة حتى تتضح الأبعاد بصورة وافية عبر مزيد من الدراسات والتحليلات المستقبلية.

وقد كان لحضور اللواء الركن فرج سالمين البحسني محافظ محافظة حضرموت قائد المنطقة العسكرية الثانية الجلسة الختامية للمؤتمر أثره الرمزي في تقدير دور المركز والقائمين عليه؛ حيث أعرب عن سعادته بتنظيم هذا المؤتمر العلمي الرابع الهادف كسابقه من المؤتمرات والندوات إلى الاهتمام بالتراث والتاريخ الحضرمي المتجذر في الأعماق، مشيداً بجهود (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) وكل العاملين فيه والداعمين له. وقال المحافظ البحسني: (إننا نسعى

لتقديم حضرموت للعالم بشكل أفضل في مختلف المجالات وعلى كافة المستويات والمحافل الإقليمية والعربية والدولية)، مشيراً إلى أن التراث والثقافة والتاريخ في حضرموت بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات المكثفة، ودعا إلى الاستمرارية في تنظيم مثل هذه المؤتمرات العلمية والثقافية وإقامتها، مؤكداً في سياق حديثه وقوفه ودعمه الكامل لـ(مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) لتحقيق الطموحات التي تسعى قيادة المركز إلى تحقيقها.

وفي إشارة رئيس مجلس إدارة المركز الأستاذ محمد سالم بن علي جابر في كلمته الختامية (بأننا ونحن نطوي العام الرابع من حياة المركز حققنا الكثير من الإنجازات رغم أنها كانت مرحلة تأسيس) ما يدفع إلى مزيد من التحولات التطورية القادمة التي من أبرزها إصدار (الموسوعة الحضرمية)، التي ستقدم مرتكزات وثائقية لخمسة اتجاهات كبيرة في حضرموت هي الأعلام، والقبائل والأسر، والبلدان، والتاريخ القديم، والمهاجرون. فهذا الخط العقلاني المدروس الذي يعرف كيف يتطور، وكيف يدرس، بحاجة إلى مزيد من الدعم المادي والمعنوي من المعنيين الحضارمة قبل غيرهم من رجال الفكر والمال لا سيما أنه يقوم عليه أساتذة اختصاصيون مشهود لهم بالكفاءة والنزاهة، فهي فرصة ذهبية تاريخية يجب ألا تفوت على أحد من المعنيين، وألا يتركوها للفشل، ففي ما مضى من عمر المركز القصير منذ إنشائه، وكما قال الأستاذ بن علي جابر: (أقام مركز حضرموت أكثر من ٤٠ فعالية، شملت عدداً من المؤتمرات، أحدها كان في جاكرتا بإندونيسيا، إلى جانب الندوات، وحلقات النقاش، والمحاضرات التي أقيمت في المكلا وغيرها من مدن ساحل ووادي حضرموت،

شارك فيها أكثر من مائتي باحث، وأرشفة ما يقرب من ربع مليون وثيقة حضرمية، بحيث يضاهي مشروع الموسوعة الحضرمية الموسوعات العالمية ويتم اعتمادها من أكبر الجامعات العالمية، وتترجم إلى اللغات العالمية، الأمر الذي سيحدث نقلة نوعية في ثقافتنا، وإبرازها للعالم الخارجي؛ ليعرف العالم ما هي حضرموت وما هو الإرث التاريخي العظيم الذي لديها)، وفي هذا ما يشير إلى أن ما يتعلق بحضرموت بعد إصدار الموسوعة بمشيئة الله لن يكون وحدة غائبة، بقدر ما تقترب من اليقين الذي سيحتل موقعًا فاعلاً في معرفة الإنسان الحضرمي لذاته، وتشخيصها من قبل الدارسين في حركتها التاريخية النشطة، الأمر الذي سيكشف عن مدى حضور أثر الماضين في الحاضر، ومدى حضور الحضرمي في ذاته بما هو كائن امتزج فيه المكان والتاريخ والمعرفة والهجرة، وتأثير الوجاهات الروحية والاجتماعية.

من جانبه قال أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي رئيس (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) بأن المؤتمر العلمي الرابع يأتي ضمن فكرة المركز بتحويل الذكرى السنوية لتأسيسه من فعاليات مهرجانية إلى ذكرى علمية رصينة وراقية، مشيرًا إلى أن من أبرز أهداف (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) هو خدمة تاريخ حضرموت وتراثها وتوثيقه والحفاظ عليه، والاهتمام بالتاريخ بشكل عام، وبدرجة أساسية الاهتمام بتاريخ حضرموت؛ كونه تعرض للإهمال خلال الفترات الماضية، مؤكدًا بأن المؤتمر العلمي الرابع يأتي ضمن مجموعة من المؤتمرات التي أقامها (مركز حضرموت)؛ حيث شهدت الأربع السنوات الماضية تحريكًا للمشهد الثقافي في حضرموت نتيجة الجهود الكبيرة التي بذلت من قبل المركز، والتي أسهمت

بشكل كبير في شد انتباه الباحثين والمؤرخين إليه. وفي هذا الذي يقوله أ. د. الجعيدي ما يعني تحول التاريخ إلى حدث ملموس من خلال إعادة قراءته وتحليله، بحيث يعاد ترسيخه في الوعي الاجتماعي بالصورة المثلى التي تعنى بتحديد دوافعه واتجاهاته، بحيث يحتل جزءاً من الصدارة في حرية اختيار الإنسان لتاريخه المبني على أسس سليمة، وطي ما كان سيئًا ليدخل في إطار الإضافات الزائدة.

هذا وقد شهد المؤتمر العلمي الرابع في ختامه حفلاً أنيقًا لتكريم مخرجي أفضل فيلمين تسجيليين عن (السقاية في حضرموت)؛ حيث فاز حسن بن عقيل بالجائزة الثانية، وأ. خالد مدرك بالجائزة الثالثة، فيما حجبت الجائزة الأولى. وفاز أ. طه ناصر المشطي بالجائزة الثانية لأفضل بحث تاريخي عن (الكيانات الحاكمة في المدن الحضرمية في العصر الوسيط)، كما تم تكريم الباحثين والمساهمين في إنجاح المؤتمر.

ومن أبرز الشخصيات التي حضرت المؤتمر محافظ محافظة حضرموت، قائد المنطقة العسكرية الثانية اللواء الركن فرج سالمين البحسني، واللواء الركن عويضان الجوهي رئيس هيئة أركان المنطقة العسكرية الثانية، وأ. د سالم مبارك العوبثاني نائب رئيس جامعة حضرموت للشؤون الطلابية، ود. عبدالله محمد بن شهاب نائب رئيس جامعة سيئون للشؤون الأكاديمية، ود. صادق عمر مكنون نائب رئيس جامعة الأحقاف، وأ. أحمد بن دويس مدير مكتب وزارة الثقافة بوادي حضرموت، ود. محمود السالمي مدير مركز عدن للأبحاث والدراسات، وعدد من أساتذة جامعات عدن وحضرموت وسيئون.

الشيخ محمد سالم بن علي جابر

رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر:

هذا المركز جاء لخدمة الثقافة الحضرمية والتاريخ الحضرمي

بين صورته المنشورة على الورق وبين نبرة صوته الأجش تشعر بضخامة الشخصية، ورجاحة الفكر، ورصانة العبارة، ورؤى عميقة، ولأن شعره قد ابيض فمن خلف نظارة سميكة، يتحدث بهدوء ويسترسل ليمتعك دقائق معدودات.

الشيخ والأستاذ ورئيس مجلس إدارة (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) محمد سالم بن علي جابر، على هامش جلسة المساء التقيته في واحدة من قاعات المبنى.

حاوره: أحمد زين باحميد

• كيف كانت الفكرة وبداية التأسيس للمركز؟

- أعتقد بأن فكرة إنشاء مركز يُعنى بتاريخ حضرموت أو بالوثائق الحضرمية أو بالتوثيق لحضرموت وتراثها وأعلامها وتاريخها وبلدانها ليست وليدة اليوم وليست صادرة من عندي شخصيًا، بل يحملها كثير من الناس تناقشناها كثيرًا في أكثر من مجلس مع كثير من المثقفين بضرورة إنشاء مركز منذ سنوات، لكن أي فكرة تظل حبيسة، إلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى أن تظهر وتبرز للناس.

فالفكرة كنا نتداولها مع الإخوة في السعودية أو في اليمن عندما نزور البلاد، ونلتقي ببعض المثقفين ونشعر ونستشعر الحاجة الملحة لمثل هذه المراكز لخدمة الثقافة الحضرمية والتاريخ الحضرمي. حتى قررنا أن نجعل هذه الفكرة واقعًا ملموسًا، وبدأنا بإشهار (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)، كان ذلك في ٢٠ ديسمبر ٢٠١٥م ونحن الآن نطوي العام الرابع من عمر المركز المديد بإذن الله تعالى حقق فيها المركز الكثير من أهدافه، ونتطلع إلى أن تكون هناك مراكز متعددة وأن يكون بينها تعاون وتنسيق، فحضرموت أكبر من أن يحتويها مركز أو اثنان، حضرموت بحاجة إلى كثير من المراكز لتغطي كافة الجوانب الفكرية والثقافية وبقية الجوانب الأخرى.

• اهتمامكم بالتاريخ هل هو نابع من خلفية تاريخية معينة؟

- الاهتمام بالتاريخ هو من باب التخصص، نريد أن ننجح في جانب معين لأننا نعيش في عصر التخصصات والتشعب وتعدد المجالات قد يجهض المشروع ويفشله، ولكن عندما نركز على جانب محدد ونحدد وجهة خاصة فنحن أقرب إلى النجاح كثيرًا.

ليس عندي خلفية تاريخية، ولست مؤرخًا ولكني محب للتاريخ منذ نعومة أظافري، فأنا أقرأ في تاريخ حضرموت منذ أن كنت في العاشرة والحادية عشرة من عمري، وكنت ألمس الفجوات التاريخية في التاريخ الحضرمي، وكنت ألمح التقصير الكبير في جانب التوثيق لتاريخ حضرموت، فلما تقدم بنا العمر لاحظنا المشكلة بشكل أكبر وأن التاريخ الحضرمي لم يكتب بصورة مثلى، وأن ما كتب منه فإنه إنما كتب بوجهات نظر معينة فردية يعتورها الكثير من القصور، ونحن نسعى في المركز لأن يكون مركزًا أكاديميًا متخصصًا يعالج القضايا الفكرية والتاريخية معالجة أكاديمية، وأن يحيط بالقضية من جوانبها كافة، وبذلك نحصل على مادة تاريخية هي أقرب إلى ما تكون عليه الحقيقة، وإن كانت الحقيقة عزيزة في هذا المجال.

• اليوم وقد قطعت هذا الشوط من عمرك المديد كيف تنظر إلى ما حققته وتقييم ذلك؟

- بفضل الله عز وجل في (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) شهدنا ولمسنا التعاون الكبير في إنجاح فعاليات المركز، وفي إنجاح أهداف المركز، والوصول بالمركز إلى أهدافه التي رسمت له وبشكل كبير ومتسارع وفق الظروف التي نعيشها، فالمركز أسس في ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م، والمكلا حينها كانت في وضع سياسي صعب، كانت تحت سيطرة القاعدة في ذلك الوقت، ولكن من فضل الله عز وجل برغم الظروف السياسية التي تحيط بالبلاد والتي انعكست على الجانب الاقتصادي أيضًا استطاع المركز أن يمضي بخطى ثابتة، وأن يحقق الكثير من الأهداف.

وفي هذا المجال يطيب لي أن أشكر كل من أسهم سواء شارك بأبحاثه أو بحضوره أو بتشجيعه أو بجاهه وأخص من شارك بماله في إنجاح المركز وتحقيق أهدافه ونشاطاته

المركز يتسع لكل الحضارمة بتوجهاتهم الفكرية كافة فهو لحضرموت بكل تنوعها الثقافي والفكري

وهم كثر، وسيأتي اليوم الذي نرد لهم فيه الجميل، ونعبر لهم فيه عن شكرنا وتقديرنا لهم لما قاموا به نحونا.

• رؤيتكم للمؤتمرات العلمية التي أقمتموها ولهذا المؤتمر؟

- نحن نخوض لأول مرة تجربة إقامة المؤتمرات العلمية، ونخوضها بفكر أكاديمي علمي بحت، ولكن لا شك أن أي تجربة بحاجة إلى بحث وتطوير، وأن ينظر إليها من جوانبها كلها، وأن تقوَّم بصورة شاملة، ونحن الآن نطوي هذه السلسلة التاريخية التي تبناها المركز منذ إنشائه، وهي التاريخ والمؤرخون الحضارمة عبر القرون ابتداء من القرن السادس الهجري، لنبدأ مستقبلاً في عنوانات جديدة، وهذا ما يتعلق بالمؤتمرات المحلية.

وهناك خطة أخرى تتعلق بعقد مؤتمرات دولية لتسليط الضوء على فعالية دور الحضارمة في المهاجر التي هاجروا إليها، وابتدأنا بمؤتمر في إندونيسيا عن فاعلية دور الحضارمة في إندونيسيا، وكان المؤتمر في أكثر من سبعة محاور، وشارك فيه أكثر من خمسة وعشرين باحثًا من مناطق مختلفة من السويد والنمسا، ومن أمريكا واستراليا وكوريا واليابان، ومن الوطن العربي، إضافة إلى باحثين إندونيسيين وماليزيين.

• هناك من يقول إن أدب المهجر المشرقي هو أدب الحضارمة هناك فكيف تعلقون على ذلك؟

- إذا نجح اللبنانيون في نقل الثقافة العربية إلى أمريكا الجنوبية، فقد سبقهم الحضارمة إلى شرق آسيا والهند

وأسسوا هناك عدداً من المؤسسات الثقافية التي تعنى بالثقافة والأدب بشكل عام، وقد أنشئت أكثر من أربعين صحيفة ومجلة في سنغافورة وإندونيسيا إذ صدرت أول صحيفة عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م في سنغافورة تسمى (الوطن) رأس تحريرها حسين علوي بن شهاب الدين، وكان الحضارمة هم ناشروا صحف كثيرة هدفها نشر العلوم الدينية والفكرية والثقافية، وكذا صدرت صحفٌ أخرى مثل صحيفة (الإمام)، و(الإقبال)، و(البشير)، و(الميزان)، و(السلام)، و(الإرشاد)، و(القسطاس)، و(الوفاق)، و(حضرموت)، و(الشفاء)، و(الأحقاف)، و(الإصلاح)، و(الذكرى)، و(الترجمان)، و(المرشد)، و(البلاد)، و(برهوت)، و(الرابطة)، و(المصباح) وغيرها، كلها صدرت على يد حضارمة كانوا يتنافسون في ثقافتهم، حتى إن بعض تلك الصحف نشر باللهجة الحضرمية كما كانت عليه صحيفة (الشعب الحضرمي)، التي رأس تحريرها فرج طالب الحضرمي عام ١٩٣٣م، وتضمنت عدداً من الأزجال الشعبية.

• على مشارف ٢٠٢٠م كيف تنظرون للمستقبل وما هي خططكم القادمة؟

- نحن الآن بهذا المؤتمر قد طوينا مرحلة من مراحل التأسيس، والعام الجديد ٢٠٢٠م سيبدأ بخطة جديدة لمدة ثلاثة أعوام قادمة، الخطة مكتملة الأركان ستكون وتشمل نقلة نوعية لطرح المركز للقضايا ونقلة نوعية لمعالجة تلك القضايا، ونحن نسعى من خلال خطتنا القادمة أن ندشن مشروعنا العالمي مشروع الموسوعة الحضرمية، وهي موسوعة ضخمة جداً، وقد تصدر فيما لا يقل عن أربعين مجلداً إذا ما قدر لها الاكتمال، فهذه موسوعة سعينا من خلال الاحتكاك بالموسوعات العالمية لنجعلها بإذن الله تعالى وفق المعايير التي وضعناها والخطة التي رسمناها لهذه الموسوعة، لست أنا ولكن فريق متكامل يعمل في هذا المجال، ووصلنا بخطة محكمة وبإذن الله تعالى ستكون ذات معايير وجودة عالمية تجعل المؤسسة بعد صدورها مرجعًا علميًا موثوقًا في الجامعات الأخرى.

الموسوعة الحضرمية هي أنموذج لعمل أكاديمي علمي بمعايير دولية وهي مرجع مهم لتاريخ مجيد وماضٍ تليد لحضرموت

نحن لا نكتب تاريخنا لأنفسنا فقط وإنما نريد الآخرين أن يتعرفوا على هذا التاريخ أن يتعرفوا على هذه الثقافة وعلى حضرموت وما تحتويه حضرموت من موروث ثقافي وتاريخي عميق.

نريد العالم الغربي والعالم الشرقي نريد العالم الأدنى والعالم الأقصى أن يتعرف على هذا التراث، ولن يكون ذلك إلا إذا كتبنا تاريخنا بمعايير علمية وفق الجودة العالمية المطلوبة.

• الطير المهاجر محمد سالم بن علي جابر وأنت تسافر ذهابًا وجيئة كيف تجدك؟

- كنت سعيداً وأنا بينكم وبين الإخوان في هذا المؤتمر، وهذه الفعالية (المؤتمر الرابع) هي الفعالية الوحيدة التي أحضرها بالمكلا من إنشاء المركز، وأعتقد أنها فرصة طيبة أن تمكنت من الحضور لنعلن إنهاء مرحلة وبدء مرحلة جديدة في (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)، فهذا المركز هو مركز حضرموت لكل الحضارمة بكل أطيافهم وتوجهاتهم الثقافية والفكرية والاقتصادية، نسعى أن يكون محايداً وعلى مسافة واحدة من كافة الشرائح الحضرمية.

25
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

أكاديميون وباحثون
في رحاب قرن من الزمان في تاريخ حضرموت

بين سني التأسيس وبداية التوثب والانطلاق، تنوعت الرؤى والنعوت للمؤتمر العلمي الرابع فاختيار (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن الثالث الهجري/ التاسع عشر الميلادي) عنوانًا ليس اعتباطًا فالقرن كان مليئًا بالأحداث، وقد كانت الجلسات الثلاث بمحاورها ونقاشاتها تكشف اللثام عن حقبة تاريخية مهمة من تاريخ حضرموت.

• اللواء فرج سالمين البحسني محافظ حضرموت قائد المنطقة العسكرية الثانية لم يفته الحدث وقال في كلمته: (نحن نسعى لتقديم حضرموت للعالم بشكل أفضل في مختلف المجالات وعلى كافة المستويات والمحافل الإقليمية والعربية والدولية، وندرك أن التراث والثقافة والتاريخ في حضرموت بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات المكثفة، وندعوكم إلى الاستمرار في تنظيم وإقامة مثل هذه المؤتمرات العلمية والثقافية، وسنقف معكم وسندعمكم في مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر لتحقيق كافة الطموحات التي تسعون إليها).

• وبدوره رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية الأستاذ محمد سالم بن علي جابر تحدث قائلاً في حفل الختام: (بإسدال الستار اليوم وقد استعرضنا في أنشطتنا تاريخ حضرموت والمؤرخين الحضارمة منذ القرن السادس الهجري، فإننا اليوم وفي هذا المؤتمر نطوي العام الرابع من عمر المركز الذي بدأ نشاطه في ديسمبر من العام ٢٠١٥م، وهي مرحلة التأسيس وقد حققنا الكثير من الأهداف والمنجزات.

لقد أقام مركز حضرموت أكثر من ٤٠ فعالية، شملت عدداً من المؤتمرات أحدها في جاكرتا، إلى جانب الندوات، وحلقات النقاش، والمحاضرات، التي أقيمت في المكلا

وغيرها من مدن ساحل ووادي حضرموت، شارك فيها أكثر من مائتي باحث في هذه المدة القصيرة من عمر المركز، ونحن نتطلع في خطة العام القادم إلى نقلة نوعية من خلال إطلاق أكبر مشروع ثقافي حضرمي؛ وهو مشروع الموسوعة الحضرمية، وهي موسوعة تقارن الموسوعات العالمية، وسيتم اعتمادها من أكبر الجامعات العالمية، وتترجم إلى اللغات العالمية، الأمر الذي سيكون له أثر كبير في ثقافتنا وإبرازها للعالم الخارجي ليعرف العالم ما هي حضرموت ومن هم الحضارمة وما هو الإرث التاريخي العظيم الذي لديهم).

• **أما أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر** فأشار إلى أن هذا

المؤتمر العلمي ركز على عدد من الجوانب المختلفة من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي الذي اتسم بأحداث كبيرة وبخاصة السياسية منها في عهد الإمارتين الكسادية والبريكية، وعلاقات السلطنتين القعيطية والكثيرية وما شابها.

ويستطرد قائلاً: (إن من أبرز أهداف مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر هو خدمة تاريخ حضرموت وتراثها وتوثيقه والحفاظ عليه، والاهتمام بالتاريخ بشكل عام، لكن بدرجة أساسية الاهتمام بتاريخ حضرموت كونه تعرض للإهمال خلال الفترات الماضية).

• **ويقول أ. د. خالد يسلم بلخشر مدير دائرة الترجمة بالمركز:** (ناقش المؤتمر سبع عشرة ورقة علمية، على ثلاثة محاور، ناقشت ملامح في تاريخ حضرموت، وتنوعت المشاركات من جامعة حضرموت، وسيئون، وعدن، وشارك باحثون من الوادي والساحل، وهذا تقليد سنوي دأب المركز عليه وبإذن الله سنستمر، وإن بمسميات أخرى، والمركز اختط لنفسه عقد المؤتمرات وحلقات النقاش والمحاضرات في مدن وادي حضرموت: شبام، سيئون، تريم، ودوعن، وأيضًا في ساحله من الريدة الشرقية، وقصيعر، وبروم، ونتمنى أن يغطي كل المساحة الحضرمية، فهو مركز حضرموت كلها دون استثناء).

• **يشير د. حسن صالح الفلام -أستاذ التاريخ بجامعة حضرموت ومدير إدارة الأبحاث والدراسات بمركز حضرموت-** إلى أن هذا المؤتمر جاء مختلفًا عما سبقه من

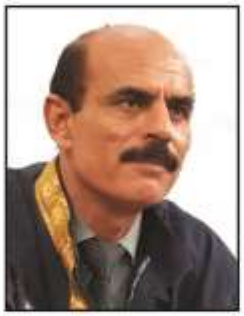

مؤتمرات حيث كان للأبحاث والدراسات سمة خاصة إذ إن بعضها كان مخطوطات ووثائق تكشف لأول مرة، ولم تعد دراسات مصدرية مكتوبة بل وثائق تخص الإمارة الكسادية والبريكية وبموجبها تم تصحيح مراحل في تاريخ هذه الدول ونتمنى أن تأتي الأبحاث القادمة بما لم يكتب عنه، ونبحث في الذاكرة الجمعية أو وثائق بحوزة مواطنين وفي خزائنهم. لقد تمت إماطة اللثام عن أسرار من تاريخ حضرموت، وهذه خطة ينتهجها المركز لقراءة أعمق لتاريخنا وإرثنا الحضاري.

• **وعدَّد. عبدالقادر علي باعيسى مدير دائرة الثقافة والإعلام بالمركز** المؤتمر محطة

التقاء سنوية يقيمها (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)، فنرى في ساعات محدودة قرنًا

كاملاً من تاريخ حضرموت بعدسات عدد من الأساتذة الأكاديميين المتخصصين بالتاريخ وعدد من الباحثين المهتمين.

في أثناء حضور الجلسة الافتتاحية
نائب رئيس الجامعة لشئون الطلاب:
مؤتمر المؤرخون الحضارمة إضاءة جديدة على الطريق الصحيح

• قال **أ. د. سالم مبارك العوبثاني نائب رئيس جامعة حضرموت** إن انعقاد المؤتمر العلمي الرابع لمركز

حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر (التاريخ لمؤرخون الحضارمة في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)، هو إضاءة جديدة في الطريق الصحيح للبحث في التاريخ وإماطة اللثام عن فترات من تاريخنا الغني بالعبر، وأضاف في أثناء حضوره للجلسة الافتتاحية للمؤتمر الخميس ١٩/ ١٢/ ٢٠١٩م، -بحضور كل من العميد عويضان سالم عويضان أركان المنطقة العسكرية الثانية، والشيخ محمد بن سالم بن علي جابر رئيس مجلس إدارة المركز وأ. د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير المركز وعدد من الباحثين والمهتمين- أضاف نائب رئيس الجامعة قائلاً: (إن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهو يضم مجموعة من أساتذة الجامعة، لا ريب أنه خطا خطوات جادة خلال مدة وجيزة منذ تأسيسه، عقد خلالها أربعة مؤتمرات علمية، إضافة إلى إصداراته الثقافية، فضلاً عن (مجلة حضرموت الثقافية)، وتمنى أن تستمر عطاءات المركز لما فيه الخير والنماء للمشهد الثقافي بصورة عامة.

• أما **د. أحمد صالح بافضل** فقال: (سعدنا حقيقة واستفدنا في هذا المؤتمر عن (التاريخ والمؤرخون الحضارم في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)، ولعل من إيجابياته بما حمله من أمل في هذه الظروف، وكذا نوعيات البحوث ومواضيعها القيمة والعميقة والرصينة والممتازة، وأيضًا إدارة المؤتمر كان واضحًا إتقانها ومثابرتها، وكذا الحضور المتنوع والطيب جداً.

وأتمنى أن يؤخذ بعين الاعتبار تنسيق أبحاث كل جلسة بحيث يوضع للجلسة عنوان محدد وتصب الأبحاث في اتجاه واحد، ويا ليت لو يتم إشراك بعض الجامعات مثل تعز وصنعاء، وبالجملة المؤتمر ناجح وآثاره بادية).

• وبدوره قال **أ. أحمد عبدالله بن دويس مدير عام مكتب الثقافة بالوادي والصحراء**: (إن انعقاد المؤتمر وتنظيمه من قبل مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يعد مساهمة فاعلة في إثراء المشهد الثقافي في محافظة حضرموت، وأبحاث المؤتمر تناولت حقبة زمنية مهمة في تاريخ حضرموت اتسمت بحراك سياسي ساخن قامت خلاله دول أو

دويلات، وسقطت أخرى، وكشفت الأبحاث اللثام عن نقاط قوة ونقاط ضعف شابت تلك الحقبة الزمنية في مختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في مجتمع حضرموت).

بعيونهم ينظرون وبأقلامهم يكتبون وعنه يتحدثون القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي رؤية ورأي، وقراءة وتأمل، وبحث وتنقيب، وكشف لأوراق تنشر لأول مرة.

ومن جامعات عدن حضرموت وسيئون، من مركز الرناد وغيره، من مدن وقرى في الساحل والوادي جاء باحثون يضعون أبحاثًا وقراءات في التاريخ. تجمعهم محبة التاريخ والغوص في أعماقه يجمعهم حب حضرموت.

• **د. علي حسن العيدروس مدير الإعلام بجامعة سيئون** قال:

(بهذا المؤتمر نشعر أن الإخوة بالمركز قد غيروا المشهد الثقافي بحضرموت، وهم يؤسسون لبنات ثقافية تجعلنا نعيد قراءة تاريخنا، نعيد قراءة سياستنا، نعيد قراءة تشكيلنا الإنساني من جديد في حضرموت، وأعتقد أن الجرأة التي يعتمدها المركز ويتحرك بها سيكون لها أثرها في قراءات أعمق لتاريخ حضرموت).

• **د. محمد بن هاوي باوزير** أشار إلى أن المؤتمر ناجح بكل المقاييس من حيث التجهيزات والأبحاث وينقصه فقط غياب وقلة العنصر النسائي).

• **الباحث خالد سعيد مدرك رئيس (مؤسسة حضرموت للتراث والتاريخ والثقافة) بالمكلا** قال: شكل المؤتمر العلمي الرابع (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)، إضافة مهمة وقيّمة لما كتب في فترات تاريخية سابقة عنه، وقد تضمنت الأبحاث تقديم العديد من المعلومات مثل المراسلات الخاصة بين اليافعيين الذين قدموا إلى حضرموت مع أهلهم في يافع، وكذا الوثائق الدالة على ذلك، ونظام الري، والصراعات، ولكنها لم تخل من مظاهر حضارة في حركة التأليف، والملاحة البحرية، والتجارة، والصراع من أجل الحكم بين الكثيري والقعيطي.

29
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

بُلْدَانُ وأَمَاكِنُ رَيْدَةِ الدَّيِّنِ والسِّيطَانِ المُجَاوِرَة لَها

(الحلقة الثالثة)

محسن علوي أبوبكر باعلوي

حَرْفُ التَّاء

تُلْمُص:

بضم التاء، واللام، والميم المثقلة، هكذا ينطقه العامَّة اليوم، وأورده الزَّبيدي في (تاج العروس ١٥/ ١١٨) بفتح التاء، واللام، والميم المثقلة، وقال: «تَلَمَّص اسم موضع، قال الأعْشَى:

هَلْ تَذْكرُ العَهْدَ في تَلَمُّصَ إذْ ... تَضْربُ لي قَاعِدًا بِهَا مَثَلا؟».

وتلمص قد تكون من أَلْصَ الشَّجر إلماصًا: أمكن أن يُلْمص: أي يُرْعَى. (ينظر: تاج العروس ١٨/ ١٥٠).

وهذا منطبق عليها إذ هي حجل زراعي ينبت به الكلأ والعشب، أما موقعه فيقع في الجهة الشّمالية لبلدة الضَّليعة بعد (الحَنُو)، مقابل لقرية (المكْراب)، بينه وبين الضليعة نحو سبع دقائق بالرِّجل، وهي على يمين الذاهب إلى الضَّليعة تحت قارة تلمص.

ويسكن في (تلمص) آل بامكْراب: بكسر، فسكون، وآل بارَزَيْقة: بفتح الراء، والزاي، وسكون الياء: وكلهم من المسَادسَة (بامَسْدُوس)، وهم من حلف الدَّيِّن من ثلث الأجاردة، وآل بارزيقة يسكنون في طرف تلمص في المكان المسمى (المنْقع)، وفي تلمص أيضًا أموال لآل باعَبَد.

و(تلمص) حجل زراعي للمسَادسَة قريب من الضَّليعة كما سبق، وفيه (سره): بكسر السين، والراء: مَبْنَى لاستظلال الرُّعاة، أو مبيتهم، واحتمائهم من البرد، والمطر.

وهذا الاسم (تلمص) لا نظير له اليوم في شيء من مناطق حضرموت فيما نعلم، إنما نظيره في (صَعْدة اليمن)، وقول الأعشى السَّابق ما أخاله إلا في (تلمص صعدة)؛ لأنَّ الأعشى مَدَح بقصيدته هذه (ذا فائش الحمْيري)، وقد قال في مُستهلِّها:

وإنَّ مَحلًّا وإنَّ مُرْتَحلا ... وإنَّ في السَّفر إذ مَضَوا مَهَلا

وإنْ كان قد زار ديار كندة بحضرموت؛ كما في قوله:

وطَوَّفتُ للمَال آفاقَهُ ... عُمَانَ وحِمْصَ فأُوْرَى شَلَمْ
أتيْتُ النَّجاشيَّ في دارِهِ ... وأَرْضَ النُّبيطِ وأرضَ العَجَمْ
فنَجْرَانَ فالسَّرْوَ مِنْ حِمْيَرٍ ... فَأيَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أرمْ
ومِنْ بعدِ ذاكَ إلى حَضْرَمَو ... تَ أوْفيْتُ هَمِّي وحينًا أهمْ

وفي (تاريخ شنبل، ص١٩٢) في حوادث سنة (٧٩٤هـ): «وفيها بنى آل سُوَيد بن ظبيان قرن تلمص بوادي بيهوض»، كذا ورد في الطبعة الثانية الصادرة في سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م عن مكتبة الإرشاد بصنعاء، وجاء في الطبعة الثانية الصادرة في سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م عن مكتبة صنعاء الأثرية ما نصه: «بنى آل سويد بن طبّال قرن بَلْمص بوادي شُهُوص» ومثله في (جواهر تاريخ الأحقاف لباحنان، ص٤٤٩).

وفي (إدام القوت لابن عبيدالله السقاف، ص٢٥٦ طبعة المقحفي): «أن آل سويد بن عسّال بنوا قرن باليص بوادي يبهوض».

فهي وردت على ثلاثة وجوه: (تلمص)، و(بـــلمص)، و(باليص) ولا شك أن الصواب واحد، والبقية تصحيف.

وعمومًا فلو ثبت أنها (تلمص) فهذه حديثة؛ لأنها بُنيت أواخر القرن الثامن، وليست هي بـ(تلمص) التي في ريدة الدين المذكورة.

ووادي (يبهوض) المذكور يحتمل أن يكون المراد به (وادي يبهوظ) بالظاء، كما في (الشامل للحداد، ٢/ ٥٦٧ و٦٠١ تحقيق: د. عبدالنور)، وضبط بالضاد، كما في (إدام القوت، ص٢٥٥): وهو من أودية حضرموت الداخل ويسكنه آل بن (حريز)، قال في (إدام القوت، ص٢٥٥): «وادي عن يمين الداخل من الشرق إلى وادي سرَ».

ويحتمل أن يُفرَّق بين (القَرن) و(تلمص)، فيكون (القَرن) هو الذي بُني في آخر القرن الثامن، بخلاف تلمص نفسها، وهذا كالتفريق بين (سيئون)، و(قرن سيئون)، والله أعلم.

وتوجد مناطق أخر في (ريدة الدَّيِّن) متشابهة في الاسم مع مناطق في صعدة اليمن كـ(الـعَبْلا)، (والخَانـق)، و(الخليف)، وفي صعدة: (الصَّفـراء)، وفي الرَّيـدة: (الصُّفيراء) -(الصَّفارة)-: تصغير صفراء، فيحتمل أن تكون هذه الأسماء من تسميات جيش الإمام المتوكل الذي مرَّ بالرَّيدة في غزوه حضرموت سنة (١٠٧٠هـ)، ونزل بعد ذلك إلى الهجرين، ويحتمل أن تكون من توافق الأسماء.

تَنَيْبة ابن يَزيْد:

تَنَيْبة: بفتح التاء، والنون، وسكون الياء، وكسر الباء: هكذا ينطقها أهل تلك الجهات، ووقعت في كتاب (الشَّامل لعلوي بن طاهر الحداد ٢/ ٤٧١) بتقديم الباء على الياء، وبالهاء بدل التاء: تنبيه، ولعله خطأ من الناسخ أو الطابع.

والذي يظهر أنَّ أصلها بضم التاء، وتشديد النون: تصغير تَنَّبة؛ فقد جاء في (تاج العروس للزبيدي ٢/ ٧٧) أن تَنَّب:

جانب من تَلَمُص

على زنة قَنَّب: اسم موضع بالشَّام، وفي مراصد الاطِّلاع: أنهَّا من قُرى حَلَب.

تقع (تَنَيْبة) في الجهة الشّمالية للرَّيدة، غرب سوط القشم، قريب من بلدة طسلة، تقع منها في جهة الشمال الشرقي، فيها حجل وسرين، ويحلها بعض القشم من آل بامَغْرُومة من بلدة (نُعُومة) الواقعة في سوط القشم.

ويقال إن ملكها يعود لبعض الجعدة من آل (لجُدَم) من وادي عَمد.

التُّوَيْلَقِة:

بضم التاء المثقلة، وفتح الواو، واللام، وسكون الياء، وكسر القاف: حنكة صغيرة من شروج المشاجرة تقع في قرية (قاطين) في الجهة القبلية -الشّمالية- للرَّيدة قريب من قريتي (عَيْدمَة)، و(المَحَافِل).

ويسكنها آل (بامَعَوَّض): بفتح الميم، والعين، والواو المثقلة من قبيلة المشاجرة الحميرية.

حَرْفُ الثَّاء

ثَبْرَة:

بفتح الثاء، والراء، وسكون الباء بينهما: حُفرة مثل الحَوْمة، أو القَلْت، أو الكريف تمتلئ بالماء أيام المطر، وتستمر لمدة طويلة قد تبلغ خمسة أشهر، تقع في شعب المِلاح قريب من سَدَّ باقبيلي.

تنمو في حروفها أشجار الرَّاك، والسَّمُر، ويستفاد منها في شرب الأغنام، والإبل، وكذلك يستفيد منها الناس في تغسيل الفرش ونحوها.

والفرق بين القَلْت والثبرة أن القلت قاعُهُ من حَجَر، بخلاف الثبرة فأرضها قد تكون من حجر، وقد تكون من طين، والقلت يكون في الشعاب بخلاف الثبرة فإنها تكون فوق الشعب.

وهناك ثَبَرَات أخر في ريدة الدَّيْن، منها: ثبرة الحُبَيْنْ: - بضم، ففتح، فسكون- لكنها أصغر من هذه، وثبرة الشرُّيج: بضم المثقلة، ففتح، فسكون: تصغير شرج.

والثَّبْرُة لغة فصيحة، ففي (تاج العروس للزَّبيدي ١٠/ ٣١١): «الثَّبْرة: النُّقْرَة في الجَبَل تُمسك الماء، يَصْفُو فيها كالصَّهْرِيج». اهـ.

وهي كالحَشْرُج، ولهذا قال الأزهري كما في (تاج العروس ٥/ ٤٨٢): «والحَشْرُج: النُّقرة في الجبل يصفو فيها الماء». اهـ. وفيه (١٤/ ٢٧٦): «النُّقْرَة: بالضم: الوَهْدة المستديرة في الأرض ليست بالكبيرة يُستنقع فيها الماء». اهـ.

الثَّجَر:

بكسر الثاء المثقلة، وفتح الجيم، تقع في الجهة الشّماليَّة للرَّيدة قريب من قرية (عَنَق بَلْشرَف)، ومن قريتي (الحُرَيْث) و(الوليْجَات)، وهي في شمال براورة، بينهما نحو ثلث ساعة بالسَّيارة، وبالرِّجل نحو ساعة.

وذكرها العلاَّمة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشَّامل ٢/ ٥٠٣) ضمن سوط الأبارقة، وهم من الدَّيْن الحميريين، والصَّواب أنهَّا ضمن سوط الأشاعلة الكرَب، لكنها قريبة من سوط الأبارقة.

وقول المقحفي في (معجم البلدان ١/ ٢٥٣): «قرية في منطقة الضَّليعة من مديرية دوعن»، غير دقيق؛ فليست هي في منطقة الضَّليعة؛ وإن كانت تتبعها من الناحية الإدارية، وقد سبق التنبيه على نظائره مراراً.

والثَّجَر: جمع ثُجْرة: بالضَّم، وتعني عندهم المكان المنخفض الذي يرقد فيه الماء، وهو صحيح لغة ففي (تاج العروس للزَّبيدي ١٠/ ٣١٢): «الثُّجْرَة: بالضم: الوَهْدة المنخفضة من الأرض». اهـ.

ويسكن الثَّجَر آل (باقَارِح): بكسر الراء: قبيلة من الكرَب الأشاعلة، وهم من حمير كما سبق.

وفيها مسجدان، وحصن كبير فوق الحجل، وبها أكثر من كريف لحفظ ماء السَّماء، ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والتِّجارة.

ويأتيها الماء من رؤوس (إلُر)، وتصب في وادي (عَمِد).

الثُّجْرَة:

بكسر الثاء المثقلة، وسكون الجيم، وفتح الراء: ومنهم من ينطقها بضم الثاء، وقد سبق أنها تعني المكان الذي يرقد فيه ماء المطر، ويقال لها: (ثُجْرة بامَسْدُوس)، وتقع في الجهة القبلية -الشّمالية الغربيَّة- للضَّليعة قريبًا من شرج (باغَنيم)، الواقع في الجهة الجنوبيَّة، بينهما نحو خمس دقائق بالسَّيارة، ومن قرية (صَاهِد) الواقعة في الشّمال، وبينهما أيضًا نحو خمس دقائق، وتبعد (الثُّجْرة) عن الضَّليعة بنحو (٧كم)، يفصل بينهما شرج (الأصْفَى) التابع للنُّوَيْس من المسَادسَة.

ووردت في كتاب (الشَّامل للعلامة علوي بن طاهر الحدَّاد، ص١٥١) بلفظ: (الشِّجْرة) بالشين، قال رحمه الله: «والشِّجْرة -بكسر فسكون- للمسَادسَة - آل بامسدوس»، والظَّاهر أنَّه خطأ من النَّاسخ، أو الطَّابع.

ويسكن (الثُّجْرة): آل (النُّوَيْس): بضم النون المثقلة، وفتح الواو، وسكون الياء: تصغير نوس، وآل (الهُنُود)، وآل (بلْحمد): بكسر فسكون، وآل (باعَوْزر)، وآل (باقُنْبِع)، وكلهم من قبيلة (المَسَادسَة -آل بامَسْدُوس- وبامسدوس جريدي، وهو رأس الدَّيْن، ويقال له (أبو الدَّيْن)، ومرجعهم إلى قبيلة حمير.

وبالثُّجرة مسجد قديم، يحتاج إلى ترميم، وإصلاح، لا يسع المُصلِّين في صلاة العيد؛ بل يصلي بعضهم خارجه، وبها حصن، وعدد من الكرفان، ومدرسة ابتدائية بها فُصُول صُغرى.

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والتَّدريس، والسَّفر.

وتُسقى من (صَاهِد)، ويصب ماؤها في قرية (باغنيم)، ومنها إلى (الأسيودات)، إلى أن يصب في وادي (عَمِد).

الثُّرَار:

بفتح الثاء المثقلة، والراء: جمع ثَرَّة، وتجمع الثَّرَّة في اللغة على ثِرار بالكسر، والضم، وهو يخالف ما عليه نطق العامة هنا إذ ينطقونه بالفتح.

والثَّرار: عطف يقع غرب براورة في عطفة فوق شعب الملاح، ولهذا يقال لها: (عَطْف الثَّرار)، سمي بذلك لأنه تنمو به شجرة الثرار؛ وهي شجرة شوكيَّة طولها يقارب طول الإنسان، لها عيدان قوية لا تندخل، غبراء اللون تستعمل في ودف البيوت، وتنمو بالعطف أيضًا كثير من أشجار الشَّخَر، والشَّخر عندهم يعني أشجار الشَّوك: كالسَّمُر، والقَرَظ، والعَوْسَج، والقتاد، والضَّب.

*والثرار: أيضًا خلاء يقع بين قرية (باجوف)، وبين (رَوْضة باقطيَّان) في الجهة الشرقية الجنوبية للرَّيدة.

حَرْفُ الجيْم

الجِدَاب:

بكسر الجيم، وفتح الدال المهملة: قرية تقع في (مجْرى الحَنُو)، في الجهة الشّمالية قريبًا من الحنُو، بينهما نحو نصف ساعة بالرِّجل، ومن قريتي (فشْلة باجعَيْم)، و(صَبَلة).

والجِداب: جمع جدْبة، بسكون الدال المهملة: وهي تعني عندهم القطعة من الأرض التي ينبت فيها الرَّمام (الحشيش)، وهو ينبت بسبب الأمطار بطبيعة الأرض بغير بذور، وهي لا تكون إلا محدودة الجهات، هذا هو معنى الجدْبة عندهم، وهو عكس ما في اللغة؛ فإنَّ الجَدْب هو القَحْط، وأما إنْ كانت بالذال المعجمة، فيحتمل أن يكون لها أصل في اللغة، ففي (تاج العروس للزَّبيدي ٢/ ١٤٣): «وبينه وبين المنزل جَذْبة: أي قطعة بعيدة». اهـ.

ويسكن في (الجداب) آل (باهنْدي): بكسر الهاء، وسكون النون، ويرجعون إلى آل (بامجْبور)، وهم من آل (سُويدان) من الدَّيِّن من الثلث الحميري.

وآل (المُقْرُوع): بضم الميم، والقاف، والواو، وسكون الراء: وهم من المسَادسَة - آل بامَسْدُوس - من الدَّيِّن من ثلث الأجاردة.

وفيها أموال لبعض السَّادة من آل الجيلاني أهل (براورة) يذهبون إليها وقت الموسم، ولآل (باسُودان) أصحاب (الميراد)، وكذا لآل (باعَمَرو) أهل (الأبيضين).

وفيها كريف، ومسجد صغير فوق الجداب لآل (بلحمد)، و(الهندي) من المسادسة أهل الثجرة، ولا مدرسة بها، ولا جامع، إنما يصلون الجمعة في قرية (صَبَلة) القريبة منهم، وأما الدراسة فيدرس أولادهم في مدرسة مشتركة بين (الحَنُو) و(صَبَلة).

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والبيع والشراء.

ويسيل ماؤها في شعب (صَبَلة)، إلى أن يصل إلى (السَّد) سَدّ باقبيلي -، ثم يصب بعد ذلك في (الرَّضْحين)، ثم في (الشُّعبة) - شُعبة بامحَمَّد: بتفخيم الميم، والحاء بوادي (عَمد).

الجِدْفِرة:

بكسر الجيم، وسكون الدال المهملة، وكسر الفاء، والراء: قرية تقع في الجهة الشّمالية الشرقيَّة للرَّيدة قريبًا من (راس كَرَع) الواقعة في قبلتها، وبينهما نحو خمس دقائق، ومن (الذِّياب) بينهما نحو نصف ساعة.

وتقع قرية (الجدفرة) فوق صَبر الحاجب.

وهي واقعة ضمن (سوط الأشاعلة الكَرَب)، وهو خارج حدود رَيْدة الدَّيِّن، وهي قاعدة الأشاعلة الكرب في السَّيطان، ويقال لها: (جدفرة الأشاعلة)، ويقال لها كذلك: (جدفرة المشايخ): أي المشايخ آل العمودي؛ لأنهم من سكانها، وجعلها العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشَّامل ٢/ ٥٠٤) ضمن (سوط الأبارقة)، والصَّواب أنها ضمن (سوط الأشاعلة).

والجدفرة: تعني الطين القوية المتماسكة، قال العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشَّامل ٢/ ٥١٨): «والجدْفر: كلمة حضرمية تعني طبقة طينية من الطِّين الحُرّ الصُّلب، قد تكون بسطح الأرض، وقد تكون تحت طبقة أخرى من الرَّمل، أو الحصى». اهـ.

والطين الحُرُّ: هو الطين الخالص سمي بذلك لخلوصه من الرَّمل، والحصى.

ويسكن (الجدفرة): آل (باجَعْوَل): بفتح الجيم، والواو، وسكون العين بينهما، وآل (بلَهيج): بكسر الباء، وفتح اللام المثقلة، وآل (باسُليمان)، وكلهم من الأشاعلة الكَرَب، وفيها مشايخ من آل (العمودي) يقال لهم: (باعمودي)-، وناس من آل باجَوْهر (باجاهر)، وآل باحمادي: بتفخيم الحاء، والميم المفتوحتين.

ومقدم الأشاعلة اليوم: عمر بن أحمد باقارح، قد سبق ذكره مراراً.

وقد خَلَط المقحفي في (معجم البلدان ١/ ٣٠٠) بين (جدفرة المراضيح) في وادي عَمد، وبين (جدفرة الأشاعلة) هذه، فقال: «قرية الجدفرة في وادي عمد بمديرية دوعن، وفيها يسكن الباجعول -بفتح الجيم، والواو، وسكون العين- من الأبارقة، كما أن فيها المشايخ آل العمودي، وطائفة من آل العطاس، وثلاثة بيوت من الجعدة». اهـ.

فالمراضيح الجَعْدة (آل ابن مرضاح)، والسادة آل العطاس هم الذين يسكنون في جدفرة المراضيح بوادي عمد، وأما باجعول، والعمودي فيسكنون في جدفرة الأشاعلة بالسَّيطان، وشتان بينهما، وسبب خلطه أنَّه جمع بين كلام العلامة ابن عبيدالله السَّقَّاف في كتابه (إدام القوت، ص ١٣٠) في قوله عن جدفرة المراضيح: «ثم الجدفرة: فيها ناس من آل العطاس، وثلاثة بيوت من الجعدة». اهـ وبين كلام العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشَّامل ٢/ ٥٠٤) في قوله عن (جدفرة الأشاعلة): «الجدفرة: بكسر فسكون، فكسر الفاء: فيه آل باجعول بفتح الجيم، والواو، وسكون العين من الأبارقة، وفيه المشايخ آل العمودي». اهـ وحصل له مثل هذا الخلط في قرية (الخليف)، وسيأتي التنبيه عليه في (الخليف) من حرف الخاء.

وبالجدفرة مسجدان: قديم، وجديد، وجامع، وبها حصنان، أحدهما صغير، وبها دكاكين ومدرسة، وبسيل ماؤها في شعب قيدون.

ويشتغل أهلها بالرَّعي، والحرث، والتجارة.

جَدْفُون:

بفتح الجيم وسكون الدال وضم الفاء، من شروج آل (بَارشَيد) تقع في مجرى بين صفينْ الوادي في الجهة البحرية، وقارة (العبلاء) في الجهة الشمالية، وبينها وبين الحيسر نحو ثلث ساعة بالسيارة.

ويسكنها آل (باسندوة)، وآل (باراس)، وآل (باضروس).

وبها مسجد، وتستقي من العبلاء وتصب في جهة (رُوبة) من أرض حجر، كما أفادنا بذلك العم عبدالله بارشيد.

جَدَم الأسْفَل:

مضى في (أجدم الأسفل) من حرف الألف.

جَدَم الرَّاس:

مضى في (أجدم الرَّاس) من حرف الألف.

الجُدَيْبَة:

بضم الجيم، وفتح الدال: تصغير جَدْبة: والناس هنا ينطقونها بفتح الجيم: قطعة الأرض التي ينمو بها الرَّمام.

جَدَم الرَّاس

والجُدَيْبات في الرَّيدة كثر، منها: الجديبة التي في شعب (الملاح) غرب براورة، ينمو فيها الرَّمام، والعَنْصَل: هكذا ينطقونه بفتح العين والصَّاد، (وهو في اللغة: بضم العين، والصَّاد: نبات ينمو في البراري أغصانه تشبه أغصان بصل باغفَّار، تؤكل بعد غليها كالضَّبِح)، والقَيْصَم (وهو القَيْصُوم لغة من نبات البادية تشبه أوراقه أوراق البقدونس تخُرط أوراقه ثم تؤكل مغلية)، والعَضرُوط: شجر تأكله الإبل.

الجِرَاف:

بكسر الجيم، وفتح الراء: جمع جرف: قرية تقع بالقرب من قرية (الغميس)، ومن (الخليف) الواقع في غربها.

يسكنها آل باشملان من الدَّيِّن.

وبها مسجد، وحصن، ويسيل ماؤها في (الخليف) و(النجيدين).

جَرَب القَارَة:

(جَرَب): بفتح الجيم، والراء، جمع جِرْبة، والقارة كما في كتاب (تاج العروس للزَّبيدي ١٣/ ٤٨٨): «الجُبيل الصَّغير، وزاد اللحياني: المنقطع من الجبال، وتجمع على قارات، وقار، وقُور بالضم».

والقارة عند أهل هذه الجهات هو هضبة الأشعر المنقطعة عن الجبل ينفصل جانباها عن الجبل بطريق يقال له خليف، وسيأتي بيان هذا عند الكلام على (الخليف) من حرف الخاء، وما ذكرناه من تحديد القارة عند أهل هذه الجهات يوافق ما زاده اللحياني.

وجَرَب القارة: حجل زراعي لآل (بامكْراب)، وهم من المسَادسَة من أهل الضَّليعة، يقع في الجهة الشَّمالية للضَّليعة، وفوق الحجل قارة يستخرج منها القِرف لبناء البيوت.

جِرْبة بارَحِيم:

الجربة: بكسر الجيم، وسكون الراء: تقع في الجهة الشرَّقية للرَّيدة، شرق الجدفرة.

والجِرْبة: هي الأرض المُصْلحة للزّراعة، ويختلف تقديرها فقد يصل بعضها إلى مائة مطيرة، والمطيرة محددة في مناطق حضرموت؛ لكن يختلف تحديدها من منطقة إلى أخرى، فعند بعضهم اثنا عشر ذراعًا مربعًا، ولهذا يقسمها بعضهم إلى مطر قيدونيَّة، وإلى مطر ثُلثيَّة، وهي أصغر من القيدونية.

والجرب الكبيرة يقال لها الوَدِن: بكسر الدال، وسيأتي الكلام عليها عند الكلام على (راس الودن) من حرف الراء، والخُط عندهم خمس مطر فأقل، والمِتن: أكثر من خمس مطر، وفي أرياف المكلا التقسيم عندهم يبدأ بالمطيرة، ثم الحاد، ثم العتم، ثم الجربة.

وجربة بارحيم ملك لآل بارحيم من آل العمودي، كانوا يأتون إليها وقت الموسم، وبسبب مشقة الصُّعُود فقد عاملوها لبعض القثم من آل (باسِت)، وهو ساكن بها اليوم.

وفي جربة بارحيم يلتقي السيل القادم من الجدفرة، والقادم من الحولا، والصَّيْعرية.

الجَرْف:

بفتح الجيم، وسكون الراء: حجل زراعي لآل (بارزيقة)، وللمسَادسَة من أهل الضَّليعة يقع في الجهة الشَّماليَّة للضَّليعة.

وهو في اللغة بكسر الجيم، أو ضمها، ففي (تاج العروس للزَّبيدي ٢٣/ ٨١): «الجِرْف: المكان الذي لا يأخذه السَّيل، ويُضم». اهـ، يعني يجوز فيه الكسر، والضم.

وهناك (حصن الجرف) كان يسكنه قديماً بارزيقة، وبامكراب، والآن ليس به سوى سرِيْن: مكان للاحتماء والاستظلال.

الجُوْر:

الجور بضم الجيم، وسكون الواو: وتعني عند أهل هذه الجهات: الحي، أو الحارة، ويجمعونه على جُوار، ومن هذه الجُوار:

جُوْر ابن علَوي:

ويقع في بلدة (براورة)، ويبدأ من الجهة الشرَّقيَّة، ويمتد إلى جهة الشَّمال إلى عند نقاب (الباحسين)، وعلى ظهره تقع بعض حصون براورة.

جُوْر السَّادَة:

ويسمى (بالحارة)، وهو للسَّادة آل الجيلاني سكان براورة، ويقع في قرية (الذِّياب) في جهة الشّمال قريب من (مَعْصُورة باثابت).

وفي الجور نحو أربعة بيوت، ويسكنها السَّادة في وقت الموسم، ولهم فيه حجل.

وقرية (الذِّياب) مقسمة إلى نحو ثلاثة جوار (أحياء): جُور السَّادة، ويسمى بالحارة كما سبق، وجور باصرةٌ، ويسمى بالحتار، وجُور باثابت، ويسمى بالمعصورة، وسيأتي مزيدٌ من البيان عند الكلام على (حتار باصرةٌ) من حرف الحاء، وعند الكلام على (الذِّياب) من حرف الذال المعجمة.

جُوْر باعَبَد:

ويقع في الجهة الشرَّقيَّة للضَّليعة، ويسكنه آل باعَبَد: بفتح العين، والباء، وبه بعض الحُصُون.

جُوْر بَلْجَنَف:

يقع في بلدة (الحجْلَين)، وقد مضى له ذكر في (بلجنف) من حرف الباء، وسيأتي في (الحجلين) من حرف الحاء.

جُوْرُ المسَادِسَة:

ويقع في الجهة الشّماليَّة الغربيَّة للضَّليعة يسكنه آل (بامَسْدُوس) الجريدي -رأس الدَّيِّن-، وتقع به حصون عدَّة نحو ستة، ويفرقه عن جور الباعَبَد مسجد الحَيْلة جوار حصن المَعْصُورة.

الجَوْل:

الجَوْل: بفتح الجيم، وسكون الواو، ويجمع على أجوال، وأهل حضرموت يجمعونه على جيلان؛ كسَوْط وسيْطان.

والجَوْل: هو سطح قاحل لعلها قريب من الاستواء، أو هو الصَّحراء الجبيليَّة، ولا ينبت فيه إلا نباتات صغيرة كالقَرْمَل: على زنة جعفر: شجر ضعيف ينمو بعد الأمطار له سويقة قصيرة، لا تُكِنّ ولا تُظِل، ولهذا يقول الحضارمة في أمثالهم: (تغط من الشرَّ بقرملة)، ولها زهرة شديدة الصُّفرة يجُرُسُها النَّحل، وكذا الراء: وهو نبات معروف تحُشى منه الوسائد، والمخاد.

وقد ذكرنا الفرق بين الجول، والبيد، في (البيد) من حرف الباء، وأما الفرق بين الجول، والسَّوط، فالسوط أعم، فهو يشمل أجولة عدة، وبه مراع، وخليان، وبيود، ومحال للسُّكنى، وإنما لم يسكن أصحاب الأرياف الجيلان؛ لأنه ليس بها مراع لأنعامهم وليس بها أحجال للزراعة التي يعتمدون عليها في الغذاء، وبخلاف أهل المدن فإنهم يسكنونها لأنهم ليسوا بحاجة إلى الرَّعي.

وفي الرَّيدة، وما جاورها أجوال عدَّة، منها:

جَوْل شَعْفُور:

ويقع بعد الزَّعْفَرانة -وهي قرية للقثم- في الطريق الذاهبة إلى عقبة الخريبة، وبمناسبة الحديث عن جول شعفور نتكلم عن واقعة حصلت بين القثم، وبين الخامعة في شعب شعفور في عهد السَّلطنة القعيطيَّة، (وهي وقعة خَدَع القثمُ فيها الخامعةَ، وغشَّهم رجل من آل برَّبيعة)، وكان صديقًا للخامعة، فدفع له القثم (١٠٠) ريال فرانصة على أن يستدرج خصومهم من الخامعة إلى شعب شعفور، فأخبر الخامعة بوجود إبل للقثم في الشعب، وأنه سيدلهم على موضعها لأخذها، فذهب معه مُحَمَّد سَعَيد باصرةً - مُحَمَّد بضم الميم، وسَعَيد بفتح العين المفخمة، وصالح بافاجع باسلوم، فصعد بهما في بداية الليل فوق شعب شعفور، وذهب ليأتي بالإبل، لكنه تركهما ولم يعد، (وكان القثم قد سبقوا إلى الأماكن العالية)، بحكم أنهم يسكنون السِّيطان، فكان القثم في الأعلى، والخامعة في الأسفل، لكن بحكم ظلمة الليل لم يتبين القثم أشخاص الخامعة، فكان أحد القثم يطل برأسه من رأس الشعب ليتراءى الخامعة، فكان إذا شرف حجب النجم في السماء بالنسبة للخمعي الخادع في الأسفل، إذا نظر إلى أعلى الشعب، ففطن لها بافاجع فصوَّب بندقيته على موضع النجم، فلما شرف القثمي رماه فأرداه، ثم اشتدت الحرب بينهما، وهي الوطيس، (وأظهر الخامعة من ضروب الصَّبر والشجاعة ما لا يزال حديث الناس)، وقُتل بافاجع، وأصيب محمد سعيد باصرةُ في يده

اليمنى، وقارب الموت، فنادى في القشم، وهو مرمي على الأرض، وقال: يا سليمان بن هرهرة تعالَ وتجمَّل بخالك قبل ما يتجمَّل به غيرك، يعني يريد من سليمان أن يطعنه ويخلِّصه، ولا يريد غيره أن يقتله، وكانت بينهما صهورية، ولهذا ناداه بلفظ الخؤولة، وكان قد رمى بندقيته ليطمئن القشم؛ لكنه خبأ جنبيته بيده اليسرى تحت ظهره، فنزل سليمان بن هرهرة القشمي، وأخذ بعكفة رأس باصرةٌ لينحره، فتناوله باصرة بجنبيته فقصَّ بطنه نصفين، فماتا في الحال، وقد قصَّ لنا هذه القصة الفاضل عبدالله باصرة، وذكرها العلامة الحداد في كتابه (الشَّامل ٢/ ٦٢٨)، وما بين الأقواس مأخوذ منه، وقد تناول الشعراء هذه الحادثة، وجادت بها ألسنتهم، من ذلك قصيدة الشَّاعر السَّومحي المشهورة، والتي تغنَّى بها الناس، ووصل خبرها إلى المكلا وعدن، نذكر منها هذه الأبيات:

شدَّت خيُول العَوالق رَيْتني عَوْلقي
يا رَيْت مَا نا قبيلي رَيْتني إلا صَبي
با شِلْ صَعيلي وبا رُوح مع الأوْلي
مَا ضويك يا طَاق باصرَّة ولا أنتَ ضُوي
على مُحمَّد وصَالح يا الرَّشيد احْزني
بَجْسَاس يحْزن ويحْزن بَلْحُلوق الزَّهي
في شِعْب شَعْفُور ظل الدَّم يعْوي عَوي
وطَاعنوا بالحديد المَيْس لمَّا رُوي
ومُحمَّد سَعيد يهْري وين لي با يجي
مَا فزَّعه الموت قدْ قاداه ما بو عَلي
يا رَيْتَ لي حصن في ذاك الجبل يبتني
يا القبُولة عند باصرَّة سعيد احتبي

وقال شاعر آخر في زيارة باراس بدوعن:

يا مَا بحَالي لا ذكرتْ الفَاجعي
وبقيتْ صَابي بين ليَّات العَضَيْد
وضَاع ترْتُوبي وسَمْعي والبَصَر
مِنْ بَعْد ما رَوْح مُحمَّد بن سَعَيد

و(ليات العضيد): هي مجموعة الناس، والشَّطر الثاني في القصيدة الأولى يُروى أيضًا هكذا: (يا رَيْت مَا نا قبيلي عَبْد وإلا صَبي)، ويا ريت: معناها يا ليت، وقوله: (على مُحمَّد وصَالح يا الرَّشيد احْزني)، مُحمَّد: هو باصرة، وصَالح: هو بافاجع، والرَّشيد بلدة بدوعن قريبة من الخريبة، و(على) تنطق: عالي، وبَجْسَاس: حصن، وبَلْحلوق: كذلك حصن لباصرةٌ في الرَّشيد المذكورة، وقوله: (يا رَيْت لي حصن في ذاك الجبل يبتني) أي في الجبل المُطل على شعب (شعفور)، وذلك لصد هجمات القشم، ويقال إن المقدم عمر باصرةٌ بنى بعد ذلك حصنًا عليه.

وحدثني الفاضل (المقدم عبدالله بَصْفر) بعد الكلام على هذه الحادثة أن الحضارمة السابقين لو كانت عندهم هذه الآليات والبنادق الحديثة، التي تقتل المئات في طرفة عين لم يبق اليوم في حضرموت أحدٌ، وصدق؛ فإن كثرة الحروب والقتل بين الحضارمة في السَّابق إنما كان ببنادق قديمة لا تطلق إلا رصاصة واحدة، ومع ذلك فإعداد هذه الرصاصة للرَّمي يحتاج إلى زمن، فكيف إذا وقعت بأيديهم الآلات الحديثة؟

جَوْل العَبْلا:

ويُسَمَّى (عَبْلة باسَالم): وهو أعظم الجِيلان في رَيْدة الدَّيْن، وأوسعها، يتيه فيه السَّالك الغريب، ويضيع، وسيأتي الكلام عليه في (العَبْلا) من حرف العين.

جَوْل النَّقع:

يقع بين بلدة (براورة) وبين (الزُّرُوب)، سيأتي الكلام عليه في (النَّقع) من حرف النون.

جِيْلان الغَبَر:

(الغَبَر): بفتح الغين، والباء: وتقع هذه الجِيلان بعد سَوط المعُوس، في الجهة الشرَّقية للرَّيدة، قريبًا من (خطْمَة مَنْقَل)، وسيأتي الكلام عليها في (الغَبَر) من حرف الغين بإذن الله.

جِيْلان المِدْلاة:

(المِدْلاة): بكسر الميم، وسكون الدال، وتقع هذه الجيلان في الجهة الغربيَّة الجنوبية للرَّيدة، فوق عقبة المِدْلاة أعلى وادي بيعث، ويقال إنها أعظم وأكبر من جول العبلا المشهور، وكانت هذه الجيلان -أي جيلان المدلاة- في القديم سببًا في الحروب والمعارك بين قبائل المشاجرة، وقبائل الدَّيْن، كل قبيلة تريد الاستيلاء على أكبر قدر منها، وسيأتي الكلام عليها في (المِدْلاة) من حرف الميم.

37
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

أسرار القدماء في الطب القديم وأعشاب حضرموت في الصدارة

ما أجمل أن نعود لأحضان الطبيعة، بمائها الصافي الزلال، وهوائها النقي، وطعامها الشافي، ونفرُ فِرار الصحيح من المجذوم، من كل ما أخرجته أمعاء المصانع، فهو السم والموت البطيء، فهل من عودة إلى ذاك الزمان الأول؛ عصر الأجداد، يأخذ أحدهم منجله ويغدو إلى مزرعته، ويحرث فيحصد ما زرع، لا يعرف مواد كيميائية سامة، مهلكة للجسد ممرضة للأبدان، كانت أجسادهم قوية متينة، رغم قلة طعامهم؛ ولكنه خال من كل ما نجده اليوم من سموم وحميم، فكثرت الأمراض وعمَّ البلاء، وزاد المرضى، والله المستعان.

سالم محمد بجود باراس

في هذا المقال سوف نستعرض شيئًا من عبق ذلك الزمان الأصيل، في علاج الأمراض بكل بساطة وسهولة، فعند التشخيص يكون العقل حاضراً والحكمة والفراسة تسبق العمل والوصف للعلاج، عندما يكون هَمُّ الطبيب الكسب والمال، يكون الضمير الإنساني في إجازة مفتوحة، وتكون أرواح البشر مستباحة، كثر الأطباء فزاد المرضى.

حكمة القدماء في العلاج:

كان أحد الأطباء القدماء، وأظنه ابن سيناء عندما جاءهُ مريض يشكو وجعًا شديداً في بطنه، عجز الأطباء عن علاجه، سأله عن مهنته، وماذا يأكل ويشرب؟ فقال الرجل: كنت صاحب إبل، فعرف ابن سيناء سبب وجعه الشديد، وأنّ هناك دويبة تلتصق بالإبل تسمى بحضرموت (قراد)، فربط بخيط قطعة من أمعاء الإبل، وجعل المريض يبلعها، وبعد لحظات، ولمعرفة الطبيب الحاذق الخبير، بأنّ (القراد) يشم ويلتصق بجلد الإبل، خفّ وجع المريض، وشعر بالخيط يتحرك، سحبه ابن سيناء وتخلّص الرجل من ألمه ووجعه.

كنت أُدوِّن الكثير من هذه الوصفات من أفواه الحكماء، ودونت تجارب مهمة في كتابنا المسمى (السراج الوهاج في معرفة العلاج) طبع عام ٢٠١٨م، فالذي شدني الذكاء والفراسة ودقة التشخيص قبل وصف العلاج، كان هناك شخص بلغ من العمر عتيًّا، مُدمن على المُداع (شيشة) ثم تركها، وبعد سنة مرض هذا الشخص بمرض جلدي خطير، وحساسية مفرطة، ذهب به أبناؤه إلى معظم الأطباء، ووصفوا له العلاج تلو العلاج، ولكن دون جدوى، فوالدهم يبيت ليله ونهاره، يحك جلده بأظافره،

ويصيح من هذا المرض الغريب.. فجاء أعرابي إليهم بعد أن عرف مرضه وقال: أنا أعرف علاجه.. وكان العلاج الغريب والمستغرب، أن نصحه للعودة (للشيشة)، كما كان يفعل في السابق، وبعد أسبوع شُفي تمامًا من جميع مرضه، أعرف أبناء هذا الرجل حق المعرفة، فطريقة العلاج تثير الدهشة والاستغراب، ولله في خلقه شؤون.

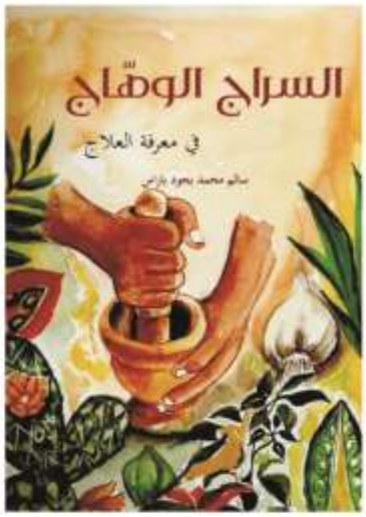

فلما قصصتُ على أحد العقلاء تلك القصة الغريبة، قال لا تستغرب، لقد كنت بالمملكة العربية السعودية، وكان هناك رجل يشكو من صداع رهيب، فلم يترك طبيبًا إلا وذهب إليه، ولكن دون جدوى، فجاء رجل أعرابي إلى أولاده؛ بعد أن سمع بمرضه، وقال: أنا إن شاء الله أعالجه.. فدخل وسلم عليه، وأمر الجميع أن يتركوهما وحدهما.. فقال له: أصدقني القول عن مهنتك قبل أن تصبح غنيًا وذا مال وعيال؟ فاستحيا الرجل، ثم قال: كنت أعزك الله أحمل العذرة، لسنوات طِوال لكي أعيش أولادي، ثم كما ترى أصبحت غنيًا، ولا أحد يعرف سر مهنتي إلا أنت وأنا.. فحينها قال له الأعرابي: علاجك بيدك، عليك أن تدخل الخلاء وتضع رأسك حيث تعرف، ثم تستنشق الرائحة بعمق.. افعل ذلك لمدة أسبوع وستشفى سريعًا، وفعلاً شفي الرجل من صداعه الشديد الذي عجز عنه الأطباء، والقصة واقعية، ليست من نسج الخيال ولا من قيل وقال.

كان قديماً عندما يُلدغ أحدهم من أفعى سامة، يحضرون له ديك، ويتم وضع مؤخرته موقع اللدغ، فيسحب السم من المريض، ويموت الديك، ويشفى المريض، أحيانًا يتم استخدام أكثر من ديك، فإن بقي الديك حيًّا، عرف الحكماء بأن السم تم إخراجه كله، وهي طريقة مجربة، تستخدم عند الضرورة لإنقاذ إنسان مُشرِف على الموت.

وهذا ليس بالغريب فقد تم استخدام الحمام في بعض الدول العربية لعلاج مرض (الصفار) وهو ما يسمى قديماً (باليرقان)، حيث يتم إحضار حمامة، وتوضع مؤخرتها على سُرَّة المريض، فتقوم بسحب العلة المسببة للمرض، فيشفى صاحب العلّة وتموت الحمامة.

كان أحد أصدقائي واقفًا عند عتبة الباب ويخاطبني، وفجأة صاح قائلاً: لقد لدغني عقرب.. أسرعت إليه، وإذا بعقرب كبير انسلَّ تحت قدميه، ففصلت رأسه وذيله، وأخذت ما بقي من جسده، ومسحت به على موضع اللدغة، فشفي سريعًا كأنه نشط من عقال..

هناك علاجات بسيطة، تركها لنا القدماء، لم نستفد منها في حياتنا اليومية، وتُعد إسعافات أولية لمساعدة من حولك، عندما تكون بعيدًا عن المستشفيات كالريف مثلاً أو في رحلة مع أصدقائك.. أصاب أحد الطلاب عندي بالمدرسة بالرعاف من أنفه ولم ينقطع الدم، فأمرته ببساطة أن يمضغ لبان أو أن يحُرّك فكيه وكأنه يمضغ لبان، يفعل ذلك لمدة ثلاث دقائق تقريبًا، وبعد لحظات انقطع الرعاف وشفي.. أحد الأشخاص عندنا بقرية مجاورة، قام عطشان في المساء، فوجد إناء واسع به ماء فشرب منه، فصار يتقيأ ويصيح، شيءٌ ما دخل بطني، فسقوه العسل الصافي (البغية) مرارًا، حتى تقيأ (الوزغة)، وهي حيوان صغير يسمى في بعض مناطق حضرموت بـ(الضفَّة).

ومن أعجب ما سمعت من حكيم قال: عندما يشرب أحدهم ماء غير صالح للشرب وتكثر به (العَلقة)، وهي حيوان صغير معروف يعيش في الماء، فهنا تحدث ما لا

يحمد عقباه، فلقد حصلت عندنا أن غلامًا صغيرًا التصقت (العلقة) بحلقه وبدأ يصيح، ثم حصل له ورم كالغدة الدرقية، حاولنا أن نسحب العلقة، ولكنها التصقت التصاقًا قويًا، يستحيل اقتلاعها إلا بعملية جراحية، فقلت لهم: لا تسقوا الغلام أي ماء من الصباح حتى صلاة المغرب، ثم أحضروا له من البركة الآسنة طين وماء، ما يسمى ببعض مناطق حضرموت (الحَمة) أي ماء عكر ووسخ، ويوضع في صحن وينكب عليه المريض فاتحًا فاه، وهنا تشم العلقة الماء وتقفز إليه من شدة العطش، لرغبتها للماء، وفعلاً ما أن وجدت رائحة الطين مع الماء حتى قفزت إليه، وبهذه الطريقة شفي الغلام.

القصص في الطب القديم:

للقصص نصيب الأسد في الطب القديم، بغض النظر عن صحتها، ولكنها تطعيم بطيء لما يُراد غرسه في عقول مستمعيه، فالبعض منها يعالج جانبًا نفسيًا ويحررها من عقالها لتنطلق، وتشفى من مرضها، والجانب الآخر تعالج أمراضًا مستعصية بطرق أكثر غرابة وذكاء، وفي الأخير تنجح في ما عجز عنه الأطباء، ويقف الطب الحديث حائرًا في تفسير ما حدث، سنذكر أهمها؛ والعبرة في النتيجة في آخر المطاف، فمثلاً: الطفل الصغير؛ الذي يمر عليه سنوات ولم يستطع المشي، يُسمى هذا المرض ببعض مناطق حضرموت (الرويبضة) فيكوى آخر فقرة في عموده الفقري (العصعص) فيشفى، أو يتم حمله على ظهر كلب، فينطلق بعدها ويمشي؛ وربما الأخير، هو إعطاؤه هزة نفسية تُنشِّط ما ألمّ به من ضعف ومرض، وسنتطرق لذلك في بعض القصص التي تؤدي الهدف نفسه؛ وهو تحرير المريض عبر اختراق العقل الباطني، وبهذه الطريقة يتم العلاج.

القصة الأولى: يُقال إن هناك رجلاً لديه ابنة مقعدة؛ بسبب خوف شديد حصل لها، فلم تستطع بعدها الكلام ولا الحركة، كان أبوها رجلاً غنيًا، لم يترك طبيبًا ولا بلدًا إلا وذهب إليه، ولكن دون جدوى، فسمع برجل حكيم يعالج أمراضًا مستعصية، فلما كلمه في شأن ابنته، قال له الحكيم: سأفعل إن شاء الله، ولكن طريقة علاجي ستكون بدون أدوية، فوافق الأب على كل شروطه، قال له: سأدخل على ابنتك في آخر الليل متسللاً إلى غرفتها، ولا أحد يكون معي؛ حتى أناديكم أنا بنفسي، واتركوا ضوءًا خافتًا في غرفتها، وفي ظلمة الليل تسلل الحكيم إلى حيث ترقد، وقد غطى وجوهه، وبدأ يسرق من دولابها كل ما يجده، وهي تنظر إليه بخوف ورعب، وزاد خوفها أكثر؛ عندما حاول أن يعتدي عليها، موهمًا إياها؛ بأنه يخلع ملابسه ليقع عليها، وهنا بدأت تنطلق لسانها وصرخت: ساعدوني.. سارق.. لص.. وتحركت رجلاها وخرجت خائفة مرعوبة، وهنا هرع الجميع إليها، وكشف الحكيم عن وجهه، وقال: الحمد لله تم علاج ابنتك، ولم يأخذ فلسًا واحدًا عن علاجه، رغم إصرار الأب على مكافأته على صنيعه هذا.

القصة الثانية: تحمل بصمات الأولى نفسها، رجل لا يستطيع السير نتيجة مرض ألمّ به فجأة، الأطباء يقولون: لم نعرف لمرضه سببًا، وكل الفحوصات سليمة.. وهنا قال لهم رجل حكيم: لِمَ لا نجرّب علاج النفس ونحررها من قيودها، فمعظم الأمراض نفسية بامتياز، فوضع خطة لا يعرفها المريض، تقرر إخراج المريض من المستشفى بعد غروب الشمس، يمشي به أحدهم، وهو مستندًا على ظهره خطوات، حتى يصل به إلى السيارة، التي تم إيقافها بعيدًا عن المستشفى حسب ما خطط له، وهنا شاهد صديقه كلبًا عقورًا ينبح بصوت مخيف ومتجهًا إليهما، فمن شدة الرعب، ترك الرجل المريض وفر هاربًا بجلده، وهنا حصلت المعجزة، لقد انطلق الرجل وتحرر من مرضه، وكان الحافز؛ هو الخوف الشديد من هذا الكلب

العقـور، وهنا ظهر الجميع، وتم الإمسـاك بـالكلب، ونجحت خطة الرجل الحكيم في علاج هذا الرجل.

القصة الثالثة: تحث على نوع الطعام الصحـي، تقـول الحكاية إن رجلاً لديه ولدان، ربّى الأول منذ صغـره عـلى السـمن البـلدي، وربّى الآخر على (المنَقَّس) وهو دهن السمسم يطبخ بطريقـة معينة، سيتم شرحـه لاحـقًا؛ مع بيان خصائصه وفوائده، وهو من طعام أجدادنا القـدماء، المهم ترعرع الولدان، ولما أصبحا شابين قـويَّينْ، أدخلهما والدهما في زريبة مقـفلة بشبـك؛ وأطلق عليهما ثورًا قـويًا ليرى ما يفعلان، أما صاحـب (المنقّس) عندما رأى الثور مقبـلاً إليه، قـفز بـخفة ورشاقـة على ظهره، ومن ثم قـفز خارج الشبـك؛ الذي يبـلغ طوله قرابـة المترين، والأب يشاهد ما يحصل، ولما جاء دور الآخر لم يستطع الهروب؛ لأنه لا يتمتع بالخف والسرعة مثل أخيه، فصمد مكانه ولما أقبـل عليه الثور، أمسـك بقـرنيه واقـتلعهما، وهنا تدخل الأب لينقذ الثور قبل أن يجهز عليه ولده.

ما يفهم من القصة أن السمن البلدي يهبك القوة والتحمُّل، والمنقّس يهبك الخف والسرعة، والأخير أنا جربته، يجعل منك شـخصًا رشـيقًا وخفيف الحركة، وهذه الوصفة العجيبـة؛ تصلح لأصحاب القفز العالي، والمتسلقين وغيرهم.

يتضح لنا من هذه القـصص التي تتبـعت خيوطها، ولم أقـف على مصدر أو مرجع لها، ما عدا قـصة (الشيشـة) و(العلقة) و(الوزغة)، أنها قـصص حقيقـية ومن مصدر موثوق، ما عداها هي من باب الموروث الشعبي في العلاج القديم، ولكن النتيجة صحيحة لا ريب فيها، فقد تتبـعت دراسـات أجنبـية، تتبـع هذا الأسـلوب نفسـه في علاج أمراض مسـتعصية ونفسـية، فمثلاً صاحـب (اللوق)؛ شـلل نصفي في الوجه، يتم بـطرق عدة لعلاجه، منها: يُؤْتَى إليه وهو غافل وبـدون علمه، وبـخاصة في بـداية المرض ويصفع بقـوة على خده السـليم، فيعود كما كان ويشـفى المريض، وهذه طريقـة لا أُحبـذها، فاللطم في الوجه خطير وله عواقب وخيمة؛ في ضعف البـصر وغير ذلك.. وهناك طريقة أخرى يؤتى إليه من الخلف في ساعة غفلة منه، ويتم حرقه في ظهره، بطرف عود به جمرة، فيعود شقـهُ الذي مال كما كان، هذه طرق لتنبـيه الأعصاب من سباتها وعودتها لطبيعتها.. كذلك يستخدم (للفهقـة) طويلة الأمد، بـأن يأتي إليه شـخص ويخبره بـأن فلان صديقه مات، هنا تحدث له صدمة مؤقتة؛ ويشفى من هذه (الفهقة) سريعًا، بعدها يخبره بالحقيقة.

العطارون وخلطات التسمين:

كانت معظم الأمراض قـديماً، تعالج بالأعشـاب والنباتات، بـطرق بـدائية وبسيطة، حـتى تطور العلم واسـتخلص علاجات وأدوية عن طريق الفحـص والمختبرات بـطرق علمية وحـديثة، ثم بـدأ هذا العلم يضمحـل ويختفي عن الأنظار، وتحل بـدلاً عنه الأدوية الحديثة التي أسـهمت في علاج الكثير من الأمراض، وإن كان لها جوانب سلبية ليس هذا موضوع بحثنا.. استغل العطارون جهل الكثير من البسـطاء، وبـدأت المحـلات تنتشر بـدون رقـيب ولا حسـيب، أو تخصصات علمية معترف بها، والناس بطبـيعتهم، يهرعون للعلاج بأقـل الأسعار؛ نتيجة ظروف معيشية صعبة؛ فظهرت خلطات التسـمين، التي راح ضحـيتها مئات البـشر، فالخلطات مبـهمة ومكممة، لا يعرف المواطن المغلوب على أمره مما تتكوّن، وإن كان ظاهرها العسل، فباطنها السم الزعاف، حـيث يتم إضافة مادة كيميائية، تعمل على نفخ الجسـم، وتعطل وظائف الكبد والبنكرياس، فيظن المسكين بـأنه أصبح سمينًا بين عشـية وضحـاها، نحـن لسـنا من دعاة محاربـة الطب الشعبي، ولكن كثر المتاجرون بـه؛ لأجل الكسـب السريع على حسـاب ضعاف النفوس، نريد طبًا شعبيًا قـائماً على أسـس علمية واضحـة، ومتخصصين

41
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

وبضوابط، ولا ننكر بأن هناك وصفات شعبية بسيطة وفي متناول الجميع لا ضرر منها ولا ضرار، ساعدت في علاج الكثير من الأمراض، أنا ضد كل خلطات سواء مسمنة أو غيره، أنا مع الوصفات الطبية المنزلية، ولا بد أن تكون هناك رقابة ومتخصصون في هذا الجانب، فالطب الشعبي بحضرموت استفاد منه خلق كثير، تجدهم أناسًا بسطاء لا يطلبون منك مالاً كثيرًا، ويصف لك علاجًا أنت تشتريه من أي عطّار شئت، وهناك الحجّام ولكن لا بد من وسائل السلامة والرقابة، وهناك من يجُبرّ الكسور، وهؤلاء جميعهم يعمل لمساعدة الناس وخدمتهم، بأجر شبه مجاني، يقنع بما تعطيه، هذا تمهيد قبل الولوج إلى العلاجات الشعبية.

الطب الشعبي.. في الصدارة:

علاج السَفَر في حضرموت:

السَفَر: هو انسداد الأمعاء (التربيب) وهو تداخل إحدى الأمعاء فوق الأخرى، مُشكلاً عقبة خطيرة في الأمعاء، من جراء حمل ثقيل، تم حمله على جوع، أو حركة غير إرادية قام بها الشخص، من أبرز علاماته عدم الرغبة في الطعام، غثيان مع القيء، انحناء في الجسم، لا يستطيع الشخص المشي مستقيماً، ويشعر بألم داخلي في البطن، للتأكد تأمر المريض بالنوم على ظهره، فتجد خطًا مستقيماً واضحًا، من أعلى الحجاب الحاجز إلى أسفل البطن.

وعند الأطباء يتم إقرار عملية جراحية فورًا، ولكن في الطب الشعبي، يعالج سريعًا في دقائق معدودة، وذلك أن تجعل المريض يستلقي على ظهره، وبطنه مكشوفة تمامًا، ثم قم بشد البطن وتدليكه بزيت من جوانب البطن إلى سرةّ (صرُ) المريض، ثم احضر عود ثقاب وفي رأسه قطنة بها قليل من زيت مشتعل، ومُثبته بتمرة لكي يثبت على سرةّ (صرُ) المريض، ثم اشعل النار في رأس عود الثقاب، ثم ضع كأسًا عليه، وهي ما تسمى (بالحجامة الجافة)،

علاج السَفَر

لتتركها عشر دقائق ثم انزعها واربط البطن بقطعة قماش لمدة ربع ساعة فقط، بهذا اكتمل العلاج ويشفى المريض، وكأنه نشط من عقال؛ لأن هذه الطريقة تعمل على فك هذا الالتواء في الأمعاء، وقد عالجت الكثير بهذه الطريقة.

كي اللوز:

وهو علاج شعبي مجرب، حيث يعمد الطبيب العربي، أو من لديه الخبرة، إلى كي القدمين، وتحديداً كية فوق الإصبع الصغير، فوق المفصل الذي يلي مشط القدم، تجد عظمة بارزة يكوى عليها، وبالمثل القدم الأخرى، بهذا يتم الشفاء من أوجاع والتهابات اللوز، ولقد كويت اثنين من أولادي الصغار، وتم الشفاء تمامًا من التهاب اللوز.

المَنقّس:

المنقس: هو شراب الطاقة والقوة والصحة قديماً، ليس بمنتج صيني أو أمريكي في علبة مزخرفة، وعليها عضلات مفتولة ودعاية جذابة، وفي الأخير هي قوة في

الدعاية والأسلوب، بينما ما تشربه هو ماء وغازات، ربما ضره أكثر من نفعه، حيلة لجذب دراهمك ونقودك من محفظتك.. ما هو المنقس الحقيقي للقوة والخفة؟

هو دهن السمسم الصافي وغير المغشوش، تأخذ مثلاً فنجانًا من دهن السمسم وفنجانين من الماء وتخلطهما، وضعهما على نار هادئة لساعات حتى تجده امتصَّ كل الرغوة، وبقي الدهن صافيًا لا رغوة فيه، وسكنت القعقعة، وجمد الدهن لوحده، هنا أخرجه، فقد تحصلت على الشراب الروحي والقوة السحرية، الآن وعلى الريق اشرب فنجانك من المنقّس، ولا تأكل ولا تشرب عليه، وحاول تمشي عليه حتى تتعب، وبعد الظهر كل ما شئت من طعام، والأفضل خبز الخمير، وفنجان من القهوة، وفائدة الخمير يقوم بامتصاص ما بقي في جوفك من المنَقَّس، وبعد العصر كل ما شئت، هنا انتهت الوصفة السحرية، ولا تعاد إلا بعد سنة أو سنتين، فبعد شربك لها ستشعر بنشاط غريب وخفة عجيبة، هكذا كان أجدادنا، ونادرًا ما تجد جيل هذا العصر من الشباب استخدم هذه الوصفة، لضعف أجسامهم، فقد كان أجدادنا يستخدمونها في الشهر مرتين أو ثلاث مرات، حتى إنهم استخدموا كمية منها، وتستخدم كإدام للطعام، فتفتح الشهية، وتقوي الجسد والبدن، للمزيد انظر كتابنا (زبدة الخلاصة في عادات وتقاليد حضرموت).

علاج الريح الكافت:

أحيانًا قد يصيب شخصًا مرض مؤلم وأوجاع مبرحة، مثلاً أسفل الظهر، وعند الفحص عند الطبيب يخبرهُ، بأن نتائج الفحص سليمة ولا شيء عنده، هنا نقول له: احتمال كبير جدًّا أن يكون عندك ريح كافت، إذا كان الوجع جاء فجأة، بدون أسباب واضحة، وقد يستمر معه الألم أشهرًا، وقد يقعده طريح الفراش، وإليك العلاج:

تحضر ٢ كيلو لحم ضأن، ثم ضعه بقدر (إناء) واجعل النار عليه لمدة عشر ساعات، كلما نفد ماؤه أضف له ماءً جديدًا، وهكذا حتى تُنهي العشر ساعات، ثم أضف للقدر سمنًا وحُلبة وثومًا وحبة سوداء بمقدار أوقية تقريبًا من كل صنف، ثم اتركه خمس دقائق يغلي بهذه المقادير، ثم أخرج القدر، واسكب لك كأسًا كبيرًا من المرق، ثم أتبعه بالكأس الثاني، ثم نم واجعل عليك أكثر من بطانية (غطاء) قرابة الأربع أو الخمس من الأغطية، حتى تعرق عرقًا شديدًا، اصبر قرابة الخمس ساعات وأنت متدثر بالأغطية، وإذا نمت نومًا عميقًا، لا بأس وهو الأفضل، تذكر لا ترفع الفُرش عنك أبدًا واصبر، المهم سوف تستيقظ من نومك، وقد زالت كل آلامك وأوجاعك، وكأنك نشطت من عقال بإذن الله[1].

العشبة المعجزة بهضبة دوعن:

هذه العشبة لم يتطرق إليها أي باحث ولا يعرفها أحد، من غير أهلها بمرتفعات الهضبة الجنوبية بحضرموت التابعة لمديرية دوعن، حتى كتبتُ عنها أول مقال بصحيفة (أخبار دوعن) سنة ٢٠١٥م بعنوان (عشبة

ترياق السموم بدوعن) فانتشر خبرها كانتشار النار في الهشيم، ولا أعلم حسب علمي، أي وجود لها بغير هذه المنطقة المشار إليها.. ولأهمية هذه العشبة حاولت كشف القناع عنها ونشرها في الصحف الإلكترونية، كصحيفة دوعن، وموقع اليمن العربي، لتلتفت إليها الأنظار، وتوليها الجهات ذات الاختصاص اهتمامًا كبيرًا، وحتى الصحف الورقية؛ حاولت أن تأخذ نصيبها في التدوين والتوثيق، فكتبت بصحيفة (٣٠ نوفمبر) مقالاً عنها بعنوان (عشبة ترياق السموم بدوعن أعجوبة تستحق الدراسة)[٢].

وسنسلط الضوء هنا أكثر وضوحًا في مجلة (حضرموت الثقافية)، لتخرج من الحيز الضيق؛ إلى الفضاء الواسع. هذه العشبة تعد معجزة في حد ذاتها؛ في علاج السموم كافة من: (أفاعٍ شديدة السُمية، وعقارب، وعناكب سامة، وتسمم غذائي، وغيرها).

ونحن لن نجزم بأنها علاج قاطع لكل أنواع السموم، من الحشرات الأخرى السامة، كلسع النحل، وسام أبرص، فهذا يحتاج إلى دراسات علمية ومختبرات، فهناك أعشاب ذات وسط حمضي وأخرى قلوية، يعرفه المتخصصون وذوو الشأن.

ومن القصص التي أنا شاهد عليها، بل ممن وصفتها لحالات خطيرة وحرجة.. لدغت بنت من منطقة روكب بالمكلا بحية سامة، وأخذت لمستشفى (ابن سيناء)، كانت الحية من نوع (الكوبرا السامة)، كانت في حالة يرثى لها ولصديق عزيز عليَّ.. فحملت له هذه العشبة للمستشفى، وأصررْتُ عليه، وعلى مسؤوليتي الخاصة، أن يسقيها العشبة، ولكنه استشار الطبيب المعالج لها، وشيء طبيعي أن يمنعه، وبأن هذه خرافات وخزعبلات، والسم خطير وما إلى ذلك من كلام؛ بديهي يقول هذا الكلام أي طبيب؛ لا يعرف سر هذه العشبة ولم يسمع عنها، فزادت حالتها خطورة في المساء، فأصررْتُ عليه وبقوة يعطيها العشبة فورًا، وبفضل الله بعد ساعات تعافت البنت، استغرب الطبيب هذا التحسن المفاجئ، ولم نخبره بالعلاج لمعارضته له في بداية الأمر.

القصة الثانية: تم إسعاف اثنين من الشباب إلى مستشفى (ابن سيناء)، وكانا من منطقة فوة، وصل الخبر إلى والدي فهما ابنا صديقه، وعلى الفور أخذ هذه العشبة التي نحتفظ بها سنويًا لمثل هذه الحالات؛ سواء لنا أو لمساعدة الناس، وبفضل الله عندما شربا منها تعافا سريعًا.. وهناك امرأة تحتطب ولدغتها حية، تم أخذها إلى مستشفى (بضة بدوعن) ولكن قد تم سقيها كأسًا من هذه العشبة؛ لأن أهل هذه المناطق بالهضبة يعرفون سر هذه العشبة، وتم أخذ (الحية داخل قنينة زجاج) رآها الطبيب فقال: إنها سامة وخطيرة، أجرى الفحص وقال: عجيب لا يوجد أي تسمم بالجسم!! فأخبروه بقصة العشبة.. فقال أرسلوا لي منها؛ فإنها معجزة في سرعة القضاء على السم.

لم أكن يومًا أصدق بأن هناك عشبة سوف تجتاح قلوب كل محبيها، ويتهافت عليها الجميع، وتنسج حولها القصص والأساطير، وتصبح ديدنهم وحديثهم، بين الفينة والأخرى، والعجب العجاب تم اكتشافها قبل سنوات قليلة جدًّا، من الذي اكتشفها وكيف ولماذا، ومتى، وتحديدًا في أرياف دوعن؟!!

بحثت كثيرًا، قبل كتابتي عنها، فلم أجد جوابًا علميًا يشفي غليلي، فاكتفيت بخصائصها السحرية في الشفاء من السموم كافة، وبأسرع مما تتصور بالبرهان والتجربة.

تتبعت كل الحكايات والقصص العجيبة عنها، فوجدت الكل أصاب كبد الحقيقة، هذه العشبة هي ترياق السموم كافة، وسريعة الأثر والشفاء في غمضة عين بقدرة الله.

ذهب إلى مزرعته وإذا بثعبان أسود يلدغه، فيصرخ لقد لدغت من حية سامة، فيهرع الجميع لهذه العشبة السحرية، ويشرب منها، وكأنه نشط من عقال، يذهبون به إلى المستشفى سريعًا، ولكن المفاجأة وبعد الفحص يقول الطبيب: لا أثر أبدًا للسم.. وتوالت القصص، وأصبحت حديث الناس في مجالسهم وأسمارهم، حتى من شدة تعلقهم بها أضافوا لها قدرات شفائية، للكثير من الأمراض، كالمسالك البولية، ومرض البواسير، وهلم جرًا، وجعلوها عشبة مقدسة، فخلطوا بين العلم والخرافات، ولكن حقيقتها، حسب الدليل والبرهان والتجربة، أنها البلسم الشافي والترياق العجيب لكل السموم.

لن أطيل عليك، فالشوق والمعرفة، تستهويك لمعرفة هذه العشبة، إنها عشبة تنمو بأرياف مديرية دوعن، تسمى (الحَقْطَة) بفتح الحاء وسكون القاف وفتح حرف الطاء، ذات شوك لا يتجاوز طولها الذراع، وعند نزول الأمطار تصبح خضراء ومزهرة، ولها ثمر كحبة البن حمراء اللون، ليس لها وقت محدد لنموها، بل هي على طول السنة، الجزء الطبي فيها جميع أجزائها، تنقع ويشرب كأس عند لدغات الحيات أو العقارب أو العناكب، ولكل حشرة ذات سم.

هذه العشبة ترياق السموم كافة، لذا تجد أهالي أرياف دوعن عند هطول الأمطار ينتظرون بلهفة عجيبة، حتى تخضرَّ أوراقها، فيقومون بالبحث عنها وقطفها ورضخها بالحجارة، ثم تجفيفها، والاحتفاظ بها لوقت الحاجة ويرسلونها كهدية غالية لمحبيهم وأقاربهم، فكم أنقذت هذه العشبة من إنسان قد شارف على الموت، فالقصص التي تتبعتها عن هذه العشبة كثيرة جدًا ومعظمها صحيحة، ولكن نصيحتي، وبحكم خبرتي ومتابعتي للأعشاب وفوائدها وأضرارها، عدم الانجراف والتهور في استخدام هذه العشبة وغيرها، فيجب استخدامها عند الضرورة، وبمقدار كأس واحد فقط حال التسمم من أفعى سامة، وعند لدغة عقرب، تقل الكمية بمقدار السم كنصف كأس مثلاً، وهكذا فكثرة استخدامها داء وليس دواء، فالشيء إن زاد عن حده انقلب ضده.

ونأمل أن يكون هناك متخصصون بشهادات وخبرات معتمدة، في الطب البديل، والأعشاب الشعبية، لتبصير الناس، بالمقادير الطبية الموصى بها، فهذه العشبة (الحَقْطَة) فعلاً أثرها عجيب في الشفاء السريع من كافة أنواع السموم، ودعونا نطلق عليها (عشبة ترياق السموم بدوعن)[٣].

وأخيرًا نقول: حضرموت غنية بأعشابها ونباتاتها ذات المفعول السحري، ولكن نحتاج لمن يزيح القناع عنها، وتتكاتف الجهود لكشف خفاياها، لذلك كمحاولة مني، وضعت كتابًا هو تحت الطبع، في مطبعة دار الوفاق بالسعودية، فهم أصحاب التوزيع والنشر، وسينشر قريبًا، حسب الخطط المرسومة عندهم، وهذا الكتاب باسم (الأعشاب والنباتات بمرتفعات الهضبة الجنوبية... بالصور)، نأمل أن يسهم هذا الكتاب في كشف خفايا هذه النباتات والأعشاب في حضرموت، فهذه لبنة نضعها في طريق الباحثين والمهتمين بكنوز حضرموت وخفاياها وأسرارها التي لا تُقَدَّر بثمن.

الهامش:

١. انظر: السراج الوهاج في معرفة العلاج، ط١، ٢٠١٨م.

٢. انظر: صحيفة (٣٠ نوفمبر)، العدد (١٧٨)، لعام ٢٠١٨م.

٣. انظر: زبدة الخلاصة في عادات وتقاليد حضرموت، ط١، دار الوفاق، ٢٠٢٠م.

٤. صحيفة أخبار دوعن الإلكترونية.

٥. صحيفة موقع اليمن العربي.

45
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

منجزات المرأة الحضرمية في حقل التصوف والتربية

منير بن سالم بازهير

التصوف هو: العلم الذي يُعنى بتهذيب النفس وتطهيرها، وتنوير القلب وتحليته بتجميل الصفات، وتطهيره من قبيح العادات.

وهو روح الإسلام، وميدانه التطبيقي والعملي؛ وهو العلم المحقق لمراحل مقام الإحسان الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الحنيف؛ ولذا فقد عرَّفه الكتاني (ت ٣٢٢هـ) -رحمه الله تعالى- بقوله: «التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف»(١).

والمرء كما يقال ابن بيئته، فلنشأة المرأة الحضرمية في محاضن الزهد والتصوف -بطبيعة البيئة الحضرمية- أثر بالغ على صلاحها وأدبها وتميزها في إنجاح عملية التعليم والتربية، والارتقاء بالمجتمع في سلالم الفضيلة، ومدارج الأخلاق الكريمة، والقيم النبيلة.

ولذا إن رأينا وفرة في علماء حضرموت، وكثرة في عدد صلحائها، فإن قاعدة ذلك كله عائدة إلى ذلكم التفوق والنجاح في ميدان السلوك، والأخلاق الربانية الجامعة بين العلم والعمل، فقد كانت المرأة الحضرمية: العالمة المربية، والعابدة الزاهدة، والمتوكلة المتصوفة، التي نقلت تلك المشاعر العظيمة إلى أولادها بسلوكها وأخلاقها، وإشراقة روحها وجمال أحوالها.

فارتضع منها الناشئة من بدايات الصبا الأولى الخلق والفضيلة، وسلامة القلب، وشفافية الشعور، واكتحلت بصائرهم عند أول تفتقها بأم: تحافظ على الصلوات والذكر، والقيام والدعاء، والصيام والصدقة، والخوف والبكاء حبًا لله وحياءً منه.. فكان ذلك محفزًا لهم نحو المعالي من العلوم والأحوال، وصاروا بذلك عناصر سلام في أنفسهم وأوطانهم.

وكان أهل التصوف يحيطون أولادهم بمزيد عناية وتربية؛ لينشؤوا على حال جميل في السلوك والأخلاق، والعلم والفضيلة، وقد أشار إلى هذه الميزة في التربية العلامة ابن عبيدالله السقاف (ت ١٣٧٥ هـ) -رحمه الله تعالى- حيث قال: «كثيرًا ما سمعت والدي يقول كان لآل جديد ولآل بصري وآل علوي ثلاث ديار؛ عليها سور بمدينة تريم، يقال له: (الحوطة)، وكانوا يحوطون أولادهم فيها بالنظر، ويلاحظونهم بالتربية حتى لا يبرحوها، ولا يطر شارب الشاب الغلام منهم، إلا وقد روى زناده، وتجوهر فؤاده، وشملته الأسرار، وأشرقت عليه الأنوار، والتحق بالصالحين الأخيار، فلا يخافون عليه بعد من مخالطة الأغيار»(٢).

وهذا نمط من أنماط التجارب الناجحة في فن التربية لمدرسة التصوف الحضرمي، أفاد ابن عبيدالله السقاف أنه نشأ قديماً في حضرموت.

وبالنظر في كتب التاريخ نعلم بأن التصوف يعود إلى القرون الثلاثة التالية: الخامس والسادس والسابع الهجرية، أزمنة وجود آل الجديد وآل بصري، وامتد هذا الاختيار التربوي الوجيه حتى فترات قريبة من عصورنا الهجرية القريبة، حتى اختلط الحابل بالنابل في الفترات المتأخرة من تاريخنا الحضرمي المعاصر، وصار يشارك الأسرة الحضرمية في التربية والتعليم كل شيء!! من: الأفلام والمسلسلات.. ومواقع النت المجهولة.. والرفقاء الغرباء في قيمهم وعاداتهم؛ بل في أديانهم وأنماط تفكيرهم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وساق العلامة ابن عبيدالله السقاف صورة رائعة لنمط التربية الصوفية في البيت الحضرمي آنذاك فقال: «روي عن بعض أجدادنا العلويين أنه قال: جئت وأنا في التاسعة من عمري، وأمي تسبح الضحى -أي تصلي الضحى- فرأيت ما ارتفع له صوتي قليلاً بالضحك؛ فما انفلتت أمي من صلاتها.. إلا وهي قد بلت خمارها بالدموع تسترجع، وتقول: لقد أصبحت بيوتنا شبيهة بالأسواق، وما كان يسمع فيها إلا ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فقالت لي أختي مريم: هل لكَ في التوبة؟ قلت: نعم، وتبت على يدها، وأخذت عليَّ ميثاقًا أن لا أعود إلى مثلها، وبقي الخدم سنةً يؤنبوني، ويقولون: توبة مقبولة.

ثم أخذ يقول في مدحهم:

ملائكةٌ في سمتهم ولدى الوغى
ليوثٌ لهم في المشرفيةِ أخياسُ
عليهم من الباري وقارٌ لأنهُم
بأرواحهم في حضرةِ القدسِ جلاسُ» (٣).

ولا يظن المتوهم أن التربية الصوفية انحصرت في البيت العلوي فحسب؛ بل الصواب أن التربية الصوفية تغلغلت في غالب البيوت الحضرمية وأشهرها؛ بيوت: آل باعباد، وآل باجمال، وآل باعشن، وآل باسندوة، وآل الخطيب، وآل بافضل، وآل بامخرمة، وآل باسودان، وآل باشراحيل، وآل باعيسى، وآل باراس، وآل بحرق، وآل بن سمير، وآل باقيس، وآل باذيب، وآل بن ثعلب، وآل العمودي؛ والقائمة تطول. فكل هذه البيوت الحضرمية أخرجت أفذاذًا من الرجال في حقول المعرفة المختلفة (العلم، الدعوة، القضاء، الأدب) متكئةً على ركيزة الأم الصالحة المتقنة لعملية التنشئة والتربية، المدركة لأهمية التعليم والمعرفة.

ومن أعظم النصوص المؤكدة لتحقق النساء الحضرميات بمقامات التصوف العالية، قول العلامة عبدالله بن أحمد باسودان (ت ١٢٦٦هـ) -رحمه الله تعالى-: «لقد بلغ من نساء آل باجمال أربعمائة؛ مقام الأبدال»(٤)، ومقام البدلية: مقام عظيم من مقامات التصوف.

وقد اقتعدت كثير من النساء الحضرميات منصة التعليم والتربية لكتب التصوف، **كالسيدة زينب أم الفقراء زوجة سيدنا الفقيه المقدم**(٥)، **والشيخة سلطانة بنت علي الزبيدية**(٦)، وكانت لهن أربطة يمارسن فيها التعليم والتربية، **والشيخة العابدة الصالحة بدرية بنت محمد بن علي بن ثعلب** (ت ٩٨٧هـ) والدة العلامة محمد بن عبدالرحمن باجمال (ت ١٠١٩هـ) مؤلّف كتاب: (الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر)، وكان الشيخ أبوبكر بن سالم يثني عليها ثناء جليلاً، ويسميها: (أم الذرية الصالحة)(٧).

ومنهن: **الشيخة مريم بنت العلامة الفقيه أبوبكر بنت أحمد بن عبدالرحمن باجمال**، وهي وأخواتها أسماء

وفاطمة؛ من اللواتي عرفن بكثرة الطاعة والقنوت وقيام الليل؛ وورْدُهُنَّ كما وصفهن في (الدر الفاخر): (يستغرق أكثر العمر)(٨).

ومنهن: **الشيخة العالمة العابدة فاطمة بنت عبدالله بن أحمد باجمال**؛ وهي من أهل القرن العاشر، وكان صلحاء زمانها يعظِّمونها ويجلُّونها، ويثنون عليها، ويحلُّونها محل رابعة العدوية؛ لما جُبِلَتْ عليه من الطاعة والأخلاق(٩).

ومن هؤلاء المربيات الصالحات العالمات البارزات في ميدان تعليم علوم التصوف والسلوك والتربية فيما بعد القرن العاشر الهجري: **السيدة العالمة القانتة سلمى بنت العلامة أحمد بن زين الحبشي**(١٠)، التي قرأ على يدها العلامة محمد بن زين بن سميط كتاب (عوارف المعارف) كاملاً، وتأتي بعد ذلك **الشيخة وزيرة بنت الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير**(١١)، **والشيخة فاطمة بنت سالم باغريب**(١٢)، **وفاطمة بنت أبي بكر بن عمر بن يحيى**(١٣)، **ومسعدة بنت أحمد بن هادي الهدار**(١٤)، **والسيدة أم كلثوم بنت طاهر بن محمد بن هاشم**(١٥)، التي اجتمعت فيها كل شروط القضاء إلا الذكورة، وغيرهن كثير.

ولنعلم أن هذه المجموعة من النساء ثبت من خلال النظر في كتب التراجم أنهن تحقَّقْنَ بالتصوف ذوقًا وحالاً وانفعالاً ووجدانًا.. وثبت تدريسهن لأمهات كتب التصوف، من مثل كتاب: (الإحياء)، و(منهاج العابدين)، و(بداية الهداية) للإمام الغزالي، و(عوارف المعارف) للسهروردي، و(قوت القلوب) لأبي طالب المكي، و(الرسالة القشيرية) للإمام القشيري، بالإضافة إلى الاهتمام بالكتب الشعرانية، والنبهانية، وكتب الإمام الحداد، وغيرها من المتون الصوفية.

أقول: وإنما اختفت مجمل سيرهن، ولم تذكر تفاصيل أخبارهن في الكتب؛ لأنهم أسسوا أعمالهم على الكتمان والستر، والابتعاد عن حب الشهرة والظهور، إمعانًا في الإخلاص، ولكن ومع كل هذه الأسباب بقيت إشارات وومضات في بطون الكتب المختلفات، تبصرنا بتلك الحقائق المخفيات، ومن تلك الإشارات اللطيفة انتهل الباحث معين بحثه هذا.

وقد أفصح العلامة عيدروس بن عمر الحبشي (ت ١٣١٤هـ) عن السر في قلة تراجم النساء الحضرميات فقال: «إن في ساداتنا العلوية كثير من النساء الصالحات ممن لها قدم في الولاية تزيد في الحال والمقام على كثير من النساء المترجم لهن من المشهورات بالصلاح والولاية من غيرهم، وإنما لم يذكروهن ولم يترجموا لأحد منهن غيرة عليهن، وصونًا لهن من الذكر عند الأجانب؛ لما جبلوا عليه من الخمول وكراهة الذكر والشهرة بالولاية، اكتفاء منهم بعلم الله تعالى، وتمام الإخلاص لله تعالى»(١٦).

وأعتقد أن هذه ظاهرة عامة عند كل الشعوب العربية، أسهمت بلا شك في عدم تدوين تفاصيل تاريخ حياة المرأة، في زوايا التربية والتعبد، أو زوايا حياتها الأخرى؛ وما ظهرت موسوعات تراجم النساء العابدات والصالحات بل حتى العالمات؛ إلا في وقت متأخر من تاريخ الأمة العربية المسلمة.

وهنا سأحاول أن ألخص أبرز المكاسب والمنجزات والآثار التي حققتها التربية الصوفية لشخصية الناشئ الحضرمي:

١- بروزه ملازمًا للأخلاق الكريمة في تعاملاته الواقعية، في وطنه ومهجره.

٢- إدراكه لخطر الحرام وتجنبه له واحتياطه وورعه في مكاسبه وتجارته.

٣- انضباط ألفاظه وخروجها في قوالب ذوقية مهذبة.

٤- إجادته لتلاوة كتاب الله تعالى؛ وحفظه في كثير من الأحيان.

٥- إلمامه بعلوم الدين الواجبة والضرورية.

٦- نفرته من صحبة أرباب التهور والاستعجال المفضي إلى الدمار.

٧- حبهم للبذل والتعاون.

٨- حرصه على نشر تعاليم دينه الحنيف بحاله وقاله بوعي وبصيرة.

٩- إدراكه لشرف الأزمنة والمناسبات الإسلامية؛ فتجد من تربى في مدارس أهل التصوف يصوم الست من شوال ويقدر له قدرها، ويصوم التسع من ذي الحجة، وعاشوراء، ويدرك فضيلة الأشهر الحرم، وقداسة شهر المولد النبوي، وكل ذلك من جراء التعود والتربية، ورؤية القدوة.

١٠- حرصه على الجمع والجماعات ومجالس التعليم والتذكير في يومه وليلته.

١١- التزامه بالسنة في حياته وفي أفراحه وأتراحه، وربطه لأولاده بالصالحين من خلال مناسبة العقيقة، والتحنيك، وطلب الدعاء للمولود، وتسميته من قبل الصالحين.

وفي الختام أقول: لقد اهتم العلماء الحضارمة بالمرأة وتربيتها وتعليمها؛ لتسهم في تنشئة المجتمع الحضرمي تنشئة إسلامية سوية تعشق العلم والسلام.. وتنشد الفضيلة والأدب.. وتحمل بذور الإسلام نقيًا غضًا؛ لتنشر ضياء سناه الساطع في آفاق تفتقر إليه.. ولله در العلامة المربي والداعية الحصيف أحمد بن عمر بن سميط الشبامي (ت ١٢٥٧هـ) رائد تعليم الرجل والمرأة في عصره ومصره حيث يقول: «إن البنت التي لم نعلمها أمر دينها، ولم نمكن الإيمان من قلبها، لا تأتينا بنجباء، ولا تربي أولادها على محبة الخير»(١٧).

أقول: وهذا نصٌ عظيمٌ فريدٌ كاشفٌ عن مدى إدراكِ العلماءِ الحضارمةِ لمكانةِ المرأةِ في الحياةِ العلميةِ والعمليةِ، وضرورةِ إعدادها إعداداً مناسباً يمكنها من القيام بدورها الريادي في بناء الأسر والمجتمعات والأوطان الصالحة الواعية. هذا وبالله التوفيق.

الهوامش:

(١) الرسالة القشيرية، طباعة دار المنهاج، ص٥٢٩.

(٢) العود الهندي، طباعة دار المنهاج، ١/ ٢٩٨- ٢٩٩.

(٣) العود الهندي، ١/ ٢٦٠- ٢٦١، ومعنى المشرفية: سيوف معروفة، وأخياس: ملتفة؛ وأصله الشجر الملتف.

(٤) انظر: كتابه الموسوم بـ(تعريف طريق التيقظ والانتباه لما يقع في مسائل الكفاءة من الاشتباه)، ص١٥٦، تحقيق: علوي بن سالم أبو فطيم، طباعة مركز تريم للدراسات والنشر، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، وأصلها في: الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، للعلامة محمد باجمال، تحقيق: د. محمد يسلم عبدالنور، طباعة مركز حضرموت للدراسات والنشر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٠٣.

(٥) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي، للشاطري، ص٣٠٧.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٣٠٨ وما بعدها.

(٧) انظر: الدر الفاخر في تاريخ القرن العاشر، ص٩١- ٩٢.

(٨) انظر: المصدر السابق، ص١٠٣.

(٩) انظر: المصدر السابق، ص٨١.

(١٠) انظر: نور الأبصار بمناقب الحبيب عبدالله بن طه الهدار، ص٤٧.

(١١) انظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، طباعة المكتبة الصالحية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص١٢٥.

(١٢) انظر: معجم النساء اليمنيات، عبدالله الحبشي، ص١٥٤.

(١٣) انظر: البلبل الغريد، مبارك بن عمير باحريش، ص٩.

(١٤) انظر: معجم النساء اليمنيات، ص١٨٠.

(١٥) انظر: تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، ص١٥٧.

(١٦) انظر: مجموع كلام العلامة المسند عيدروس بن عمر الحبشي، مخطوط، ص٤٥٦.

(١٧) مقتبس من: مجلة (الرابطة العلوية)، ٢/ ٢٥٥.

49
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

المحازي في الأدب الشعبي المشقاصي

الأدب الشعبي المشقاصي متعدد ومتنوع حاله حال الأدب الشعبي الحضرمي، ولكنه لم يلق الاهتمام والعناية اللازمين، وهو في الغالب شفهي تتناقله الأجيال جيلًا عن جيل، وإن كان بعض هذا الأدب ما زال يمارس في الحياة العامة، كالشعر الشعبي المتمثل في قصائد الدان والزوامل ونحوها التي يتبارى الشعراء في نسجها في المناسبات العامة والخاصة، غير أن بعض أنواع هذا الأدب أوشك على الاندثار؛ فهو لم يعد موجودًا في الحياة العامة، كالحكايات والقصص الشعبية التي تعرف في المشقاص بـ(المحازي) أو (المحازر) ومفردها محزاة أو محزارة. فقد كان لدخول التقنيات الحديثة كالتلفاز والتابلات والجوالات دور في انحسار هذا النوع من الأدب، حتى أصبح من العسير على الباحث تقصي هذا الأدب لتدوينه وتوثيقه لذهاب حفظته والمهتمين به.

مسعود علي الفتنيني

والمحازي هي نوع من أدب الطفل الذي تمارسه الجدات عادة في البيوت إلى وقت قريب، والهدف منه التسلية، بالإضافة إلى التعليم وغرس القيم النبيلة في الأطفال، وتوسيع خيالهم، وتنمية مداركهم، وهو أيضًا وسيلة لتنويم الطفل، ولذلك نلاحظ أن هذه القصص والحكايات طويلة نوعًا ما، وفيها مقاطع تتكرر أكثر من مرة إمعانًا في تطويلها؛ لكي يشعر الطفل بالنوم وهو يتابع القصة التي تكون غالبًا بأسلوب محبب ومشوق وتتفاعل معه الجدة، وذلك بتغيير نبرة صوتها بتغيرّ مقاطع القصة فرحًا، حزنًا، استعطافًا، تخويفًا... إلخ، وكأنها تمارس نوعًا من أنواع الموسيقى التصويرية التي تستخدم عادة في الأفلام السينمائية. وتبدأ القصة بلفظة (حزي من حزي عليك)، أو (حزر من حزر عليك) في بعض المناطق، ويرد الطفل بقوله (حزي) في الأولى، و(حزر) في الثانية، ثم تبدأ الجدة بقص القصة، فإذا بلغت نهايتها تقول: (قصّت)، أي: انتهت.

وإن من نافلة الحديث أن نقول إن هذه القصص الشعبية المشقاصية لها مثيلات في الأدب الشعبي الحضرمي وحتى العالمي، وقد تختلف تسمية شخصياتها أو أماكنها وبعض أحداثها، ويسري الأمر نفسه على مناطق المشقاص فيما بينها البين أيضًا، فتجد اختلافات هنا وهناك، لكن في الأغلب الأعم أصل القصة وفكرتها واحدة.

وللمحازي سمات عامة تتسم بها، وقواسم مشتركة تتقاسمها، فهي قصص خيالية غالبًا، ولا يعرف مؤلفها، مثلها مثل الأمثال الشعبية التي يتداولها الناس دون معرفة قائلها، وهي تحمل أفكارًا سطحية وليست عميقة تتناسب وتفكير الطفل، وهي تعتمد على التشويق والإثارة، وشخصياتها بسيطة ومتواضعة، وأبطالها قد يكونون من البشر أو الحيوانات، وحيواناتها ناطقة تحاور وتفهم لغة البشر. فمن شخصياتها السلطان وهو شخصية أساسية في غالب هذه القصص، وهو إنسان بسيط يعيش مع عامة الناس ولا يختلف عنهم في شيء غالبًا، ولكنه في بعض القصص يمتلك قصورًا ودورًا، كما هو الحال في قصة (عمرو الكيسح)، (وبنت اللوتي)، مثل قولها لابن السلطان: (ولا بقصر بوك الغالي الزين)، وتوصف البلاد التي يحكمها بالقرية عادة. وهناك الخالة وهي زوجة الأب

سواء كان هذا الأب السلطان كما في قصة (فاطمية)، أو كان شخصية عادية من عامة الناس كما في قصة (بهلة)، وهذه الخالة تسوم ابنة زوجها صنوف العذاب وتذيقها أنواع المعاناة. وهناك الأم عجيوز تصغير عجوز، وهي شخصية محورية في معظم القصص، ودورها يختلف من قصة إلى أخرى، ففي قصة (سمسانة)، وقصة (سعيّد بلال)، تلعب دور المرشد الذي يخبر عن مكان المفقود، فهي التي تخبر أخت سمسانة بأن (المنكري)، هو الذي أخذ سمسانة، وتطلب منها أن تتبعها على قطرة دم وقطرة رماد، وهي التي تخبر الأم أن سعيّد بلال التهم أولادها الثلاثة، فتذهب للبحث عنه لإنقاذهم، وقد تلعب دور الشرير كما في قصة (عمرو الكيسح)، التي توقع بين المرأة وابن أختها حمد، وتوغر صدرها عليه، وتعمل المكائد والحيل في سبيل التخلص منه، وقد تلعب دور الأناني كما هو الحال في قصة (عكنبر وعكنبرة)، فهي لا تعطي عكنبرة (الرويبة)(١)، التي طلبتها لإنقاذ أخيها عكنبر حتى تأتيها بالماء، وتمر عكنبرة بمراحل طويلة ومضنية حتى تحصل على هذه الرويبة في النهاية. وهناك العديد من الشخصيات الأخرى التي تتكرر في غالب القصص ولكن بأدوار مختلفة.

وقد وصلتنا بعض من هذه القصص الشعبية، منها قصة سعيّد بلال، وقصة سمسانة، وقصة فاطمية، وقصة علي بائعيلب، وسبعة من المهرة، وقصة بهلة، وقصة عمرو الكيسح وغيرها، وإن كان بعض هذه القصص غير مكتملة، وقد ينقصها بعض التفاصيل، وربما يتداخل بعضها في بعض إلا أن فكرتها العامة موجودة.

وسنورد هنا بعض النماذج من هذه القصص (المحازي)، حسبما وصلتنا -ولعلها تروى في مكان آخر بطريقة أخرى- بهدف توثيقها وحفظها، ولعله يأتي وقت لاحق لدراستها وتحليلها، وستكون القصة بلغة هي أقرب إلى الفصحى، أما الحوارات ستكون بالمشقاصية الدارجة مع شرح بعض المصطلحات والمفردات في الهامش.

قصة عمرو الكيسح:

وتحكي قصة امرأة توفيت أختها، وتركت لها ابنها الرضيع حمد لتربيه مع ابنها الصغير أحمد، فربتهما حتى شبا فأصبحت لا تستطيع التفريق بينهما أيهما ابن أختها وأيهما ابنها، وكانت تدخل عليها (أمها عجيوز)، وتردد على مسامعها:

- يا مربي عيال الناس يا حامل ماء في الكياس.

حتى أوغرت صدرها على ابن أختها، وقررت التخلص منه، ولكنها لا تستطيع التفريق بينه وبين ابنها، وتخوفت أن يصيب ابنها مكروه، فبقيت في حيرة من أمرها، وشكت الأمر لأمها عجيوز، التي أرشدتها إلى طريقة تستطيع بها التفريق بينهما:

- إذا عرفت أنهم جايين(٢) صيحي(٣) كانش(٤) مريضة، وخريي(٥) ملابسش، وجلسي عريانة، لاهو بنش بايجيي يغطيش، ولاهو بن ختش بايستحي يدخل، ولادخل بنش كويه(٦) في صنحته(٧).

ففعلت المرأة مثل ما قالت لها أمها عجيوز فخلعت ملابسها، وأخذت تصيح، فابن أختها استحيا ولم يدخل عليها، وأما ابنها دخل فغطاها فكوته في جبهته، وهنا أصبحت تميز بين الاثنين، فعادت تسأل أمها عجيوز:

- ذلحين(٨) عرفتهم من بعضهم البعض، ويش سوي(٩) بين ختي حمد.

- لاخرج(١٠) بنش عملي السم في غداء حمد، ولاكله بيموت.

وبقيت المرأة منتظرة خروج ابنها حتى إذا خرج وضعت السم في طعام ابن أختها وقدمته له.

لكن ابن أختها حمد كان معه خيل تتكلم كلام البشر، وسمعت ما دار بين المرأة وأمها عجيوز، وعلمت أن في الطعام سماً، فأعلمت حمد بالأمر، فلم يأكل الطعام، وفي اليوم الثاني حضرت العجوز إلى المرأة تسألها:

- هاه أيش(١١) عاده حصل للوليد(١٢).

- مشي حصل له(١٣) الخيل قالت له إن الأكل فيه سم. مشي طريقة ثانية؟

- خلاص لاقده طالع(١٤) الغرفة حقه كسرّي قوارير(١٥) وعمليهن في الرقاد(١٦) وعملي له سلالي(١٧).

- خلاص تمام.

وبعد خروج ابنها قامت المرأة بتكسير زجاج وتجميع شوك وقامت بوضعه في الدرج حيث يسكن حمد في الطابق العلوي، لكن الخيل سمعت ما دار بين المرأة والعجوز، فأخبرت حمد أن يلبس حذاء من حديد، وفعل مثل ما أخبرته الخيل، فنجا من هذه المكيدة أيضًا.

وفي اليوم التالي حضرت العجوز:

-هاه أيش حصل للوليد؟

- ما شي حصل له، مكانها الخيل قالت له.

- ما عليش منه ني الآن معي لش طريقة جديدة تخلصش منه.

- ويش من طريقة؟

- قلدي له أنك مريضة، ولا جاش قولي له إنش بغيتي تمر من نخلة العفريت، ولا راح قبله(١٨) بايقتله العفريت وبترتاحي منه.

وعندما حضر حمد تظاهرت بالمرض وأخذت تصيح!

- وراش(١٩) تصيحي يا خالة.

-ني مريضة والعلاج حقي صعب حد يجيبه.

- أيش من علاج نا باجيبه لش.

- تمر من نخلة العفريت.

- ولا يهمش نا باجيبه لش.

وكانت هذه النخلة بعيدة أقصى الوادي، ولا يستطيع أحد أن يقترب منها، وكان العفريت ينام تحتها، وإذا سقط منها شيء يستيقظ العفريت، ولكن لا يستيقظ في المرة الأولى ولا الثانية، وإنما يستيقظ إذا سقط منها شيء في المرة الثالثة، فركب حمد خيله وانطلق إلى ذلك الوادي حتى إذا وصل النخلة وجد العفريت نائماً بجوارها فتسلقها في مهارة وخفة وأخذ يجمع التمر منها فسقط منه (قنسور)(٢٠)، فصاح العفريت:

- عا ريح إنس(٢١).

فأجابه حمد:

-ولد السلطان عدى(٢٢) أمس.

ثم واصل جمعه فسقط (قنسور) آخر، فقال العفريت وبصوت مرتفع هذه المرة:

- عا ريح إنس.

فأجابه حمد:

- ولد السلطان عدى أمس.

ثم أخذ يجمع حتى إذ أكمل جمعه رمى بتمرة متعمداً على العفريت الذي نهض للفتك بحمد، وهو يقول:

- عا ريح إنس.

فيجيبه حمد وهو يقفز على ظهر خيله وينطلق بها:

- ولد السلطان عدى أمس.

وأحضر التمر وسلمه لخالته.

وفي اليوم التالي حضرت العجوز وسألت المرأة:

- هاه ويش حصل للوليد؟

- ماشي حصل له جاب التمر من النخلة، ورجع سالم الخيل حقته عا تساعده.

-خلاص لاشفتيه جاي قلدي(٢٣) إنش مريضة، وصيحي ولا سألش أيش فيش قولي له مريضة، ولا قال لش ويش علاجش قولي له الكبد حق الخيل حقتك.

وعندما شاهدت حمد قادم أخذت تصيح وتتلوى كأن بها مسًا.

اقترب منها حمد وهو يردد:

-ويش بش يا خالة.

-ني مريضة والعلاج حقي صعب.

- ويش من علاج نا بجيبه لش.

- علاجي الكبد حق الخيل حقتك.

- باذبح لش الخيل الصغيرة وباعطيش الكبد حقها.

-علاجي الكبد حق الخيل الكبيرة.

وعدها حمد خيراً.. ولكن عندما أمعن النظر في الأمر تيقن أن خالته تضمر له وخيله الشر، وأنه ليس بها أي مرض عندها قرر الرحيل.. وأخبر ابن خالته أحمد بأمر رحيله وما فعلته أمه به، وحاول ابن خالته أن يثنيه عن الرحيل ولكنه لم يستطع، وسأله كيف يطمئن عليه فقال له:

- تعين(٢٤) في ذه الشجرة إذا شفتها(٢٥) خضرة فإني بخير وإذا شفتها يبست فإني متوفى.

وأشار إلى شجرة كبيرة كانت تظلل بيتهم، ثم انطلق على خيله، وسار حتى وصل إلى إحدى القرى وقد بلغ منه التعب والجوع ما بلغه ووجد حصاة كبيرة فناداها:

- ياذه(٢٦) الحصاة ياذه الحصاة فتحي لي كما قلب بوي وأمي.

ففتحت له فدخل فيها وأدخل خيله وغيّر ملابسه النظيفة ولبس ملابس متسخة، وخرج وطلب من الحصاة أن تنغلق فانغلقت، وأخذ يمشي باحثًا عما يأكله وفجأة رأى أمامه فتاة بالغة الجمال ومتزينة بأجمل الملابس وكأنها عروس تزف إلى عريسها، وكانت تحمل في يدها (سحفة)(٢٧) كبيرة بها (جفنة)(٢٨) ومصبوغة بالسمن البقري، وهنا أوقفها وسألها:

- وين بغيتي(٢٩) وانت وذه الجفنة؟

فأجابته:

- ني بنت السلطان ورسلني بوي وأصحاب القرية إلى (الطاهشة)(٣٠) مع الجفنة من شان تفك لهم الماء وكل سنة يرسلوا لها بنت، وهذه السنة قع عندي الاختيار.

- هاتي الجفنة بانكلها نا واياش وبعد يقع خير.

- ما قدر الناس باتموت من الظماء.

- ماعليش منهم مالهم إلا ماء.

وبعد إلحاح من حمد وتمنع من البنت رضخت بنت السلطان أخيرًا وجلسوا وأكلوا الجفنة، وبعدما أكلوها وضع حمد حصاة كبيرة وسطها وغطاها ببقايا الجفنة، وسأل البنت عن مكان الطاهشة - وهي ثعبان عظيم ملتف كان يحرس الماء ويمنعه عن القرية حتى يقدموا له قربانًا بنتًا بكرًا وجفنة فيأكلها ويسمح بمرور الماء، حتى إذا أتى العام القادم قدموا لها بنتًا وجفنة- فدلته على مكانها فطلب من البنت أن تتقدم إليها، وعندما اقتربت البنت فتحت الطاهشة فمها فألقى الحصاة فيه، ثم قفز عليها وقطع رأسها بسيفه، ووضع يده في الدم، وأخذ البنت معه وعندما وصل إلى قصر السلطان قفز ووضع يده الملطخة بالدم في أعلى مكان يصل إليه وذهب. تعجب الناس من رجوع بنت السلطان وسألوها ما الذي حصل وكيف عادت؟ وأيضًا كيف أتى الماء؟

حيث جاءهم الماء مخلوطًا بالدم فأخبرتهم بالقصة.

وكان للسلطان سبع من البنات، وكان لأخيه سبعة من الأبناء، وهنا قرر السلطان أن يزوج بناته لأبناء أخيه، إلا أن هذه البنت وهي الصغرى فيهن رفضت الزواج، وقالت لأبيها: لن أتزوج إلا من يقفز ويصل إلى العلامة التي في القصر، وكان كل أبناء عمها حريصين على الزواج منها لجمالها الأخاذ، فهي أجمل أخواتها وأذكاهن، فنزل والدها إلى رغبتها، وذاع في البلاد أنه سوف يزوج ابنته الصغرى لأي شخص يقفز ويصل بيده إلى علامة الدم الموجودة في جدار قصره، وحدد يومًا معلومًا لذلك. وحضر الناس من كل مكان وجلس السلطان على كرسي وجلست ابنته بجانبه، وأخذ الناس يقفزون تباعًا لمحاولة الوصول إلى علامة الدم، ومنهم أبناء عم البنت، ولم يستطع أحد الوصول إليها، وعندما يئس الكل حضر شاب مهلهل الثياب بأحد رجليه عرج عرّف عن نفسه بأنه عمرو الكيسح، واستأذن السلطان في المشاركة، ولكن الأب رفض في البداية، ولكنه وافق بعد مراجعة ابنته له، وذكرته أن الأمر متاح للجميع، والشرط أن يصل إلى علامة الدم.

فجرى عمرو الكيسح وقفز ووضع يده كاملة موضع اليد المرسومة بالدم.

ولكن السلطان أخبره أنه لم يشاهده وطلب منه أن يقفز مرة ثانية، وقفز مرة ثانية ووضع يده في الموضع نفسه، ولكن السلطان طلب منه أن يعيد القفز مرة أخرى! وأعاد القفز للمرة الثالثة لكن هذه المرة تعمّد أن يضع يده أعلى من العلامة بمسافة كبيرة.

وهنا لم يجد السلطان بدًا من الموافقة، فزوج ابنته بعمرو الكيسح على مضض، وزوج بقية بناته على أولاد عمهن، وأعطى كلاً منهن قصرًا، أما عمرو الكيسح وابنته الصغرى فأسكنهم في بيت قديم جوار قصره. وبقي الأمر على هذا الحال حتى مرض السلطان مرضًا شديداً جعله طريح الفراش، وعجز الأطباء عن علاجه حتى حضر طبيب حاذق من بلاد أخرى وكشف عليه، وأخبره أن علاجه لبن الوعال(٣١)، فطلب من أزواج بناته البحث له عن لبن الوعال، وخرجوا

للبحث عنها، ولكنهم عادوا خاليي الوفاض، وسمعت ابنته الصغرى بالأمر فطلبت من زوجها عمرو الكيسح أن يجلب لوالدها لبن الوعال فلم يتردد في ذلك، وذهب إلى مكان الحصاة التي بها حصانه وملابسه وسلاحه ونادى :

- يا ذه الحصاة يا ذه الحصاة فتحي لي كما قلب بوي وأمي.

ففتحت الحصاة فدخل فيها وأخذ سلاحه ولبس ملابسه وركب حصانه وانطلق بها إلى أقصى الوادي، ولم يعد حتى أمسك بالوعال وحلبها حتى ملأ (قربة) من حليبها، ثم عاد بعد أن غيّر ملابسه وترك خيله وملابسه في الحصاة. وأحضر الحليب إلى زوجته التي أخذته فرحة إلى والدها، وأخبرته أن زوجها عمرو الكيسح أحضر له لبن الوعال الذي طلبه. فشربه بعد تمنع. وفي اليوم التالي أصبح السلطان أكثر نشاطًا وبدأت تعود له صحته، ولكنه كان بحاجة إلى المزيد من اللبن، فقالت بناته: ما دام عمرو الكيسح استطاع أن يجلب اللبن فإن أولاد عمهن يقدرون على إحضاره أيضًا، وطلبن منهم الذهاب لإحضاره، فانطلقوا وبحثوا في كل مكان فلم يستطيعوا العثور على شيء.

وفي الوقت نفسه طلبت البنت الصغرى من زوجها عمرو الكيسح الذهاب لإحضار اللبن لوالدها، وحصل هناك منافسة بينها وبين أخواتها من منهن يستطيع زوجها إحضار اللبن المطلوب.

وفعل عمرو الكيسح مثلما فعل في المرة الأولى، فذهب إلى الحصاة وناداها، ودخل فيها وغيّر ملابسه وأخذ سيفه وانطلق، واستطاع أن يمسك بالوعال وحلبها وأخذ لبنها. وأما أزواج بنات السلطان الأخريات عندما يئسوا من العثور على شيء قال بعضهم لبعض سوف نطلب من عمرو الكيسح أن يعطينا شيئًا من اللبن الذي يحصل عليه، وبحثوا عنه حتى وجدوه، وطلبوا منه أن يعطيهم شيئًا من لبن الوعال، فوافق ولكن اشترط عليهم أن يكويهم في (يعابهم)(٣٢) صب وهقف(٣٣) فلم يمانعوا، وأعطى كلاً منهم قليلاً من اللبن بعد أن كواهم.

أما عمرو الكيسح فقد رجع بالقربة ملأى وأعطاها زوجته بعد أن قص عليها ما وقع بينه وبين أولاد عمها، وحملت اللبن إلى والدها فوجدت أخواتها عنده وكل منهن حاملة طاسة من اللبن، وهي حاملة قربة ملأى ومع ذلك أخذن يتفاخرن :

- شوفي عيال عمنا اليوم جابوا البن الوعال.

- هههه صح اليوم جابوا اللبن بس قلّبن(٣٤) يعابهم.

ولما عرف السلطان أن الذي أحضر اللبن هو عمرو الكيسح، والذي فعله أولاد أخيه مقابل أن يحصلوا على اللبن بعد أن عجزوا عن الحصول عليه بأنفسهم طردهم من القصور وسلمها لعمرو الكيسح، وجعله هو السلطان وابنته السلطانة.

قصة سعيد بلال :

وتحكي قصة أم وأولادها الثلاثة حيث تتركهم في البيت، وتذهب إلى الحطب، وتحذرهم من الفتح لأي كان حتى تعود إليهم فإذا أتت تناديهم :

- عيالي عيالي عشيكم غديكم روح البر وارميكم(٣٥) فتحوا لي.

فيفتحون لها.. وفي اليوم الثاني تغادرهم للبحث عن الحطب، وإذا أتت نادتهم بذلك الصوت فيسمعها شخص يدعى سعيّد بلال، وهو شخص يأكل الأطفال، فيأتي إلى البيت ويحاول تقليد صوت الأم كما فعل (المنكري) في قصة سمسمانة وينادي:

- عيالي عيالي عشيكم غديكم روح البر وارميكم فتحوا لي.

ولكن كان الصوت مختلفًا وهو صوت أجش ولا يشبه صوت الأم -وعند قص هذه القصة تحاول الجدة وهي تروي القصة تغليظ صوتها والإتيان به بشكل مخيف- ولكن الأولاد لم يفتحوا له فيغادر وتأتي بعده الأم، وتنادي بصوتها العذب الرقيق:

- عيالي عيالي عشيكم غديكم روح البر وارميكم فتحوا لي.

فيفتحون لها ويجلس سعيّد بلال على مقربة من البيت لسماع الصوت لعله يتقنه، ويأتي في اليوم الثاني بعد مغادرة الأم وينادي :

- عيالي عيالي عشيكم غديكم روح البر وارميكم فتحوا لي.

بعد أن غيرّ صوته وأصبح أكثر رقة، ولكنه لا يتقن صوت الأم ويعرفه الأولاد فلا يفتحـون له. ولكنه في اليوم الثالث يتمكن من تقليد صوت الأم بإتقان وينادي :

-عيالي عيالي عشيكم غديكم روح البر وارميكم فتحوالي.

فينخدع الأولاد ويفتحـون له ظانين أنه أمهم ويتفاجأون بسعيّد بلال الذي يلتهمهم الواحد تلو الآخر ويغلق البـاب ويذهب.. فتأتي الأم وتنادي :

- عيالي عيالي عشيكم غديكم روح البر وارميكم فتحوالي.

فلا يفتح لها أحـد وتكرر الصوت أكثر من مرة وفي كل مرة تعيده يتهدج صوتها وتغلبـــها دموعها فتأتيها أمها عيوز وتخبرها أن سعيّد بلال قد أكل أولادها.. فتنطلق باحثة عنه فتصادف قطار(٣٦) فتسأله بصوت حزين منكسر :

- يا ذا القطار يا ذا القطار حد شاف لي سعيّد بلال في بـطنه ثلاثة عيال واحد حاج، وواحد ماي، وواحد ناقة الحجاج؟

فيخبرها القـطار بـأنه لم يشـاهده ويطلب منها أن تسـأل القطار الثاني فتتلقاه باكية:

- يا ذا القطار يا ذا القطار حد شاف لي سعيّد بلال في بـطنه ثلاثة عيال واحد حاج، وواحد ماي، وواحد ناقة الحجاج؟

فيخبرها إنه لم يره فيزداد حـــزنها ويعلو بـــكاؤها، فترى القطار الثالث فتناديه بصوت أكثر حزنًا :

- يا ذا القطار يا ذا القطار حد شاف لي سعيّد بلال في بـطنه ثلاثة عيال واحد حاج، وواحد ماي، وواحد ناقة الحجاج؟

فيخبرها إنه شـــاهده نائماً تحت شـــجرة، فيصفها لها، وينصحـــها أن تحذر من ســـعيّد بـــلال، فإذا كانت عيناه مغمضتين فهو منتبه وليس نائماً، وإن كانت عيناه مفتوحتين فهو نائم، فانطلقت إلى تلك الشجرة فوجدته مستلقيًا تحتها وعيناه مفتوحـتان فعرفت أنه نائم، فأتت بسـكين وفتحـت بـطنه وأخرجت أولادها منه، وملأت بـــطنه بـــالحجارة وخيطتها، وانطلقت فرحة بسلامة أولادها ونجاتهم.

قصة أرض خلب خلب:

وتحكي قـصة ابـن الســلطان الذي خرج متنزهًا في أحـــد مزارع والده العامرة فيلتقي ببنت فاتنة آية في الجمال والرقـة، فتسـلب عقـله ولبـه، ويحادثها وتحادثه، فيقـــرر الزواج بها، ويعطيها سـاعته وخاتمه هدية، ويسـألها عن بـلادها ليتقـدم لخطبتها من والدها فتجيبه:

- ني من أرض خلب(٣٧) خلب لا فيها لا ماء ولا لُب.

حـاول أن يسـتفسر منها أكثر عن بـلادها فلم يظفر منها بشيء سـوى هذه الإجابـة. عاد إلى والده السـلطان وأخبره بقصته مع الفتاة ورغبـته في الاقـتران بها والزواج منها، وأنه يرغب في الخروج للبحث عنها، حاول والده منعه ورغّبـه في تزويجه ممن يختار من بنات القـرية، لكن الولد رفض الزواج إلا من تلك البـــــنت، وفي النهاية رضخ له والده وأعلن في البلاد أن ابنه خارج للبحث عن عروسته، وطلب السـلطان من كل بنات القرية إحضار خبز الطحين لابـنه ليتزود بـه في سفره، ولبّت بـنات القـرية طلب السـلطان وأرسـلن خبـز الطحين إليه، وكان للسلطان أخ، وهذا الأخ منبوذ من قبـل السلطان، وقد طرده من قـصره ويعيش وحـيداً مع ابـنته في بـــيت قـــــديم في مزرعته الخاصة، التي عدا عليها الزمن، وأنهكها القحط، فهي جدبـاء لا زرع فيها، وأرسـلت ابـنته الخبز المطلوب في زنبيل إلى ابن عمها السلطان، حـالها حـال بقية بنات القرية، وعندما علم ابن السلطان أن هذا الخبز من ابنة عمه لم يحفل به، ولكرهه لأبـيها واحتقـاره لها فقـد ربـط الزنبيل في ذيل الحمار في آخر القافلة، وانطلق في رحـلته بـعد أن ودّع والده وســكان القـــرية، وأخذ يمشي من مكان إلى مكان حتى وصل إلى قرية نائية وسأل أهلها :

- تعرفوا أرض خلب خلب لا فيها لا ماء ولا لُب؟

فأجابه أهل القرية:

- لم نسمع بها، تخبرّ(٣٨) في القرية الثانية قد يعرفونها.

وانطلق إلى القرية الثانية حتى وصلها، وسأل أهلها مثل ما سأل أهل القرية الأولى :

- تعرفوا أرض خلب خلب لا فيها لا ماء ولا لُب؟

وكان الجواب نفس الجواب :

- لم نسمع بها، تخبر في القرية الثانية قد يعرفونها.

وأخذ يتنقل من قرية إلى قرية ومن بـلاد إلى بـلاد، ويسـأل

السؤال نفسه:

- تعرفوا أرض خلب خلب لا فيها لا ماء ولا لُب؟

وتأتيه الإجابة نفسها:

- لم نسمع بها، تخبر في القرية الثالثة قد يعرفونها.

وطالت عليه المرحلة حتى أنهكه التعب وكاد ييأس من العثور على هذه الأرض، وفي أثناء تنقله ذلك كان يأكل من الخبز الذي أعطته إياه بنات قريته حتى نفد ما معه منه ولم يبق معه شيء سوى الخبز الذي أعطته إياه ابنة عمه، وتمنع عن أكله حتى أوشك على الهلاك، فأخذ الزنبيل وفتحه وأخذ الخبز منه، ولكن كانت مفاجأته كبيرة عندما عثر على خاتمه وساعته داخل الزنبيل، وهنا عرف أن البنت التي قابلها هي ابنة عمه، وأنها تشير إلى أرض أبيها القاحلة، التي منع والده عنها الماء بقولها:

- أرض خلب خلب لا فيها لا ماء ولا لُب.

فزاد إعجابه بها وبذكائها، وعاد إلى قريته وأخبر والده أنه وجد البنت التي يبحث عنها، وأنها ابنة عمه، وأنه يرغب في الزواج منها، فوافق والده السلطان وتصالح مع أخيه، وأعاد الماء إلى مزرعته وزوّج ابنه ببنت أخيه.

قصة عكنبر وعكنبرة:

وتحكي قصة أخ وأخته، الأخ يسمى (عكنبر)، والأخت تسمى (عكنبرة)، فعكنبر طلع فوق النخلة، وعكنبرة طلعت فوق العلب، وبعد أن أكل كل منهما من ثمار الشجرة التي طلع عليها نادى عكنبر أخته عكنبرة:

- عكنبرة ختي عطينا دوم(٣٩)، ونا باعطيش تمر.

فلم تمانع عكنبرة فرمت له سبع دوم، ورمى لها بسبع تمر، ولكن عكنبر في أثناء أكله الدوم غص بـ(عيرة)(٤٠)، ولم يستطع بلعها ولا لفظها وهنا نادى أخته عكنبرة:

- عكنبرة ختي عكنبرة ختي جيبي لي رويبة من عند مي عجيوز لشعت(٤١) في حيقي عيرة.

وهنا انطلقت عكنبرة مسرعة إلى أمها عجيوز لإحضار الروبة:

- مي عجيوز مي عجيوز عطيني رويبة، والرويبة بغيتها لعكنبر خوي لشعت في حيقه عيرة بايموت.

وهنا ترد عليها أمها عجيوز:

- جيبي لي ماء.

وتنطلق عكنبرة إلى الماء فتجد الكلب داخل الماء فتناديه:

- يا ذا الكلب يا ذا الكلب خرج من الماء، والماء بغيته لمي عجيوز، ومي عجيوز باتعطيني رويبة، والرويبة بغيتها لعكنبر خوي لشعت في حيقه(٤٢) عيرة بايموت.

لكن الكلب يرفض الخروج من الماء:

- جيبي لي سلاء(٤٣) من عند البقرة.

وتذهب عكنبرة مسرعة إلى البقرة وتخاطبها بصوت حزين:

- يا ذه البقرة يا ذه البقرة عطيني سلاء، والسلاء بغيته للكلب، والكلب با يخرج من الماء، والماء بغيته لمي عجيوز، ومي عجيوز باتعطيني رويبة، والرويبة بغيتها لعكنبر خوي لشعت في حيقه عيرة بايموت.

والبقرة ترفض إعطائها السلاء:

- جيبي لي شير من عند المشيرّات.

وتنطلق عكنبرة إلى المشيرّات وتخاطبهن بصوت متهدج:

- يا ذيه المشيرّات يا ذيه المشيرّات عطنّي شير، والشير بغيته للبقرة، والبقرة باتعطيني سلاء، والسلاء بغيته للكلب، والكلب بايخرج من الماء، والماء بغيته لمي عجيوز، ومي عجيوز باتعطيني رويبة، والرويبة بغيتها لعكنبر خوي لشعت في حيقه عيرة بايموت.

ولكن المشجّرات لم يتأثرن بتوسلات عكنبرة، ويطلبن منها إحضار مهارم لقطع الشجر:

- جيبي لنا مهارم(٤٤) من عند الحداد.

وتنطلق عكنبرة حتى تصل عند الحداد، وتردد بصوت باكٍ:

- يا ذا الحداد يا ذا الحداد عطني مهارم، والمهارم بغيتهن للمشيرّات، والمشيرّات بايعطنّي شير، والشير بغيته للبقرة، والبقرة باتعطيني سلاء، والسلاء بغيته للكلب، والكلب بايخرج من الماء، والماء بغيته لمي عجيوز، ومي عجيوز باتعطيني رويبة، والرويبة بغيتها لعكنبر خوي لشعت في حيقه عيرة بايموت.

ولكن الحداد يرد عليها:

- جيبي لي صخر(٤٥) من عند الخشبة.

وتنطلق عكنبرة حتى تصل إلى الخشبة وتناديها بصوت حزين باكٍ:

- يا ذا الخشبة يا ذا الخشبة عطيني صخر، والصخر بغيته للحداد، والحداد بايعطيني مهارم، والمهارم بغيتهن للمشيرّات، والمشيرّات بايعطنّي شير، والشير بغيته للبقرة، والبقرة باتعطيني سلاء، والسلاء بغيته للكلب، والكلب بايخرج من الماء، والماء بغيته لمي عجيوز، ومي عجيوز باتعطيني رويبة، والرويبة بغيتها لعكنبر خوي لشعت في حيقه عيرة بايموت.

وهنا ترق لها الخشبة وتعطيها صخر، والصخر تعطيه الحداد، والحداد يعطيها مهارم، والمهارم تعطيها المشجرات، والمشجرات تعطينها شجر، والشجر تعطيه البقرة، والبقرة تعطيها سلاء، والسلاء تعطيه الكلب، والكلب يخرج من الماء، والماء تعطيه أمها عجيوز، وأمها عجيوز تعطيها رويبة فتحملها لأخيها عكنبر فتجده قد ماااات.

وفي الختام نتمنى أن نكون قد وفقنا في جمع هذه المادة، ولعلها تكون خطوة في توثيق القصص الشعبية بالمشقاص، التي هي جزء من التراث الحضرمي الخالد.

الهوامش:

١) الرويبة: تصغير لكلمة روبة، والروبة لبن يوضع فيه روابة من الليل حتى يتخمر، ثم يتم تحريكه (مخضه) بعد وضعه في (المثري) حتى يصبح رائبًا.

٢) جايين: آتين.

٣) صيحي: ارفعي صوتك بالأنين.

٤) كانش: كأنك يلقب حرف المخاطبة الكاف في اللهجة إلى حرف الشين، والأمر نفسه في بقية الألفاظ ملابسش، بنش، يغطيش، ختش، فهي ملابسك، ابنك، يغطيك، أختك... إلخ.

٥) خربي: انزعي.

٦) كويه: ضعي له الكي وهو الوسم بحديدة حامية.

٧) صنحته: جبهته.

٨) ذلحين: الآن.

٩) ويش سوي: ما الذي أفعل.

١٠) لا خرج: إذا خرج.

١١) أيش حصل: ما الذي جرى.

١٢) الوليد: تصغير كلمة ولد.

١٣) مشي حصل له: لم يحدث له شيء.

١٤) لا قده طالع: وقت طلوعه وصعوده.

١٥) قوارير: بقايا الزجاج المتكسر الذي له حواف حادة.

١٦) الرقاد: السلم أو الدرج الذي يصعد به إلى أعلى.

١٧) سلالي: جمع سلاه وهو الشوك.

١٨) راح قبله: ذهب إليه.

١٩) وراش: ما الذي أصابك أو ما الذي ألم بك.

٢٠) قنسور: من أجزاء البسر والتمر البسيطة، وهو الذي يأتي في أعلى الثمرة مثل الغطاء والذي يربطها في العذق.

٢١) عاريح إنس: أشمّ رائحة إنسان.

٢٢) عدّى: مرّ أو عبر.

٢٣) قلدي: تظاهري.

٢٤) تعين: انظر.

٢٥) شفتها: شاهدتها.

٢٦) ياذه: بمعنى (ياهذه) فالياء حرف نداء، وذه اسم إشارة للمؤنث القريب، وتحذف (هاء) التنبيه في اللهجة.

٢٧) سحفة: وعاء من الفخار يوضع فيه الطعام عادة.

٢٨) جفنة: أكلة شعبية مشقاصية، وهي من طعام الذرة مع الحليب وتصبغ بسليط السمسم أو السمن البقري عادة، الذي يسمى في المشقاص بـ(الدهن).

٢٩) وين بغيتي: إلى أين أنت ذاهبة.

٣٠) الطاهشة: تطلق في اللهجة على الثعبان العظيم، أو أي حيوان عظيم مفترس.

٣١) الوعال: جمع وعل، وهو جنس من المعز الجبلية.

٣٢) يعابهم: مؤخراتهم.

٣٣) صب وهقف: على شكل علامة +.

٣٤) قلبن: بمعنى فتشن وانظرن.

٣٥) ارميكم: بمعنى أتركم.

٣٦) القطار: القافلة، وهي مجموعة الإبل مقطورة بعضها إلى بعض على نسق واحد.

٣٧) خلب: طين.

٣٨) تخبر: اسأل.

٣٩) دوم: ثمار (العلب) السدر.

٤٠) عبرة: نواة الدوم.

٤١) لشعت: وقفت في حلقه فغص بها.

٤٢) حيقه: حلقه.

٤٣) سلاء: هي مشيمة الحيوان، التي تخرج بعد الولادة.

٤٤) مهارم: جمع مهرم ويطلق عليه البعض (شريم)، وهو أداة مسننة لقطع الحشائش.

٤٥) صخر: فحم.

57
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

دوعن أرض المهاجرين

عرف وادي حضرموت الهجرة بنوعيها الداخلية والخارجية منذ أن استوطنه الإنسان، ولذلك فإن هجرة الحضارم موغلة في القدم، تعود بدايتها إلى الهجرات التي حدثت قبل الميلاد.

والهجرة الحضرمية في طبيعتها لم تكن حركة مجموعة بشرية في مرحلة معينة ثم توقفت بل هي حركة أفراد وجماعات حدثت خلال حقب زمنية من التاريخ الحضرمي؛ فقد كونت لديهم خبرة كافية بمعرفة البحار والمحيطات، ومعرفة تلك المناطق التي ذهبوا إليها.

وهكذا استمرت هجرة الحضارم على مر العصور التاريخية مروراً بعصر الحضارة الإسلامية إلى وقتنا الحاضر.

صالح سعيد باحيدرة

دوعن أرض المهاجرين:

هكذا يحلو تسمية البعض لوادي دوعن، وهذا يدل على كثرة المهاجرين منه، فهنا موطن الإنسان الذي أمسى عاشقًا للأسفار تاركًا بصماته في مختلف الديار، هنا موطن الإنسان الذي صال وجال شرقًا وغربًا وما زال هاويًا للارتحال. فالإنسان الدوعني حليف للأسفار فلا غرابة عندما قال الرحالة البريطاني الشهير ريتشارد باريتن: «إن الشمس لا يمكن أن تشرق إلا وتشرق على رأس حضرمي»، فسكان دوعن هواة للأسفار والترحال، فهناك نجد منغصات كانت سببًا لتلك الهجرة من ذلك الوادي الجميل، ومن المعروف أن وادي دوعن قامت على أرضه حضارة تليدة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، وكشاهد على ذلك مستوطنة ريبون التاريخية التي كانت مقصداً دينيًا بمعابدها، ومقصداً تجاريًا بأسواقها.

دوعن الوادي الخصيب:

نعم إنه وادي دوعن أحد روافد وادي حضرموت، وهو وادٍ خصيب صالح بتربته ووفرة مياهه الموسمية التي استصلحها الإنسان وهيَّأه لصالحه مستفيداً من تلك

المقومات الأساسية لقيام الزراعة عليه، فمنذ القدم عرفت أرضه الزراعة وطاب العيش للإنسان الدوعني، وما وجود بعض قنوات الري والسدود والحواجز في ريبون إلا خير دليل على ذلك؛ فوفرة محاصيله وتربته اللزجة ذات المسامات الدقيقة جدًّا التي توجد بها رطوبة جعلت من أشجار النخيل وغيرها من الأشجار تحتفظ بحيويتها وإنتاجها حتى في ظل الظروف الصعبة.

فبعض الأسر في بعض المراحل الزمنية شكل وادي دوعن بخيراته منطقة جذب لها، فقد احتضن كثيرًا من الأسر والقبائل وخصوصًا عند حدوث الجدب وعدم سقوط الأمطار في بعض المناطق، ففي عام ١٩٤٣م شهدت حضرموت مجاعة مروعة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقد ظهرت بوادر تلك المجاعة في عام ١٩٤١م في عدد من قرى حضرموت ووديانها حتى عام ١٩٤٣م، حتى اشتدت الوطأة وعم الجفاف أرجاء حضرموت وخصوصًا أسفل وادي حضرموت من القطن إلى قبر نبي الله هود، كما ذكر ذلك د. محمد باحمدان في كتابه (عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي) التي راح ضحيتها كثير، فجذب وادي دوعن كثيرًا من الأسر، التي سكنته بعضها هاجر، والبعض طاب له العيش فيه إلى يومنا هذا.

- مسميات انقرض أهلها عن الوادي:

أحببت أن أبحث في هذا الاستطلاع عن تلك الأسر، التي كانت موجودة واليوم لم يبقَ سوى أطلالهم شاهدة عليهم، ويحدثني كبار السن أن هذا الوادي تعاقبت عليها أسر وقبائل سكنته وهاجرت منه كثير. وبغض النظر عن ذلك فهم يعدون من سكان الوادي في حقبة زمنية، ولهم شواهد دالة على سكناهم، فنجد البعض سكن شعب وادٍ صغير وسُمي في ما بعد باسمه، والبعض الآخر امتلك أرضًا زراعية وهي خالدة باسمه إلى اليوم، والبعض له بيت تركه وهاجر ولم يبقَ اليوم سوى أطلاله المتهالكة، والبعض حكم تلك المنطقة وبنى له مصنعة حربية، وكما حدثني كبار السن أنه سكن وادي دوعن أسر وقبائل لا يعرفون عنهم شيئًا سوى موقع سُمي باسمهم أو أرض أو بقايا بيت، والبعض عاصر وهم إلى عهد قريب.

إن البحث عن هذه الأسر في وادي دوعن بتسميتها وأماكن إقامتها يحتاج إلى وقت طويل، ولكن هنا اختصرت استطلاعي عن بعض مناطق وادي دوعن ليمن التي وجدت بها ما شاء الله من المعلومات من كبار السن فحدثوني عن أسر ورجال كان لهم تاريخ عريق ومشرف يشار لهم بالبنان إلى يومنا هذا، وحُقَّ لهم أن نكتب ونبحث عن مآثرهم وكتبهم التي دلت عليهم، فالبعض منهم كان بيت علم حملوا العلم النافع وعملوا به وتحلوا بالمسامحة القائمة على البر والتقوى ومن أمثالهم كثير جدًّا، ونوجز الحديث عن بعضهم فمن رباط باعشن السادة الباعلوي، وهم بيت علم وصلاح، والبيتي والعيدروس والحبشي وآل المهدي ولهم بيوت فيها،

كذلك المنصب الحامد حاكم وفقيه علم في وقته، والجفري، هذا إلى جانب كثير من علماء الباعشن وصلحائهم ممن عاصروهم في ذلك الوقت، وهناك أسر استقرت لمدة ثم ارتحلت، ومنها الباضاوي، والباقارش، والبن لادن، والباغوزة، والبافرحان، والبامرعي، والباتيسير، وبن ناجي، وآل بن ناشر يزيدي يافعي، والعراقي، وبارميم يقال إنهم من حجر، والباخشب، وبن الحاج، والباسويدان وهم تجار. وهناك ضريح لأحد الصلحاء الذين سكنوا الرباط يقال إنه من زبيد في جور باحمد، وإلى منطقة الخريبة، ونوجز منها علماءها وصلحاءها الباجنيد وهم بيت علم وفقهاء في منطقتهم، وأشهر علمائها الفقيه عمر بن أبي بكر باجنيد، كان قاضيًا، وهم كثير لا يسعنا هنا ذكرهم، ومنهم أيضًا باجنيد اشتغلوا بالتجارة، ومنهم السادة الباهارون، وكذا البار إلى عهد قريب ولهم بيوت، والبامنيع ومنهم الشيخ سليمان بن عبدالله بامنيع، وهناك أسر أخرى، ومنها الباجبران، وآل الروبة، وآل بن قريع، والبحول، والباصفر، والباصقر، والبادعج، ولهم سلطة، والباعوم، ونجد حتى أراضي زراعية، مثل (بدع) بستان نخيل باسم الشريف، ونجد قبورًا بأسماء أناس مثل قبر المخفي، وقبر قرة العين، وقبر المستريح، وقبر الشيخ سعد.

وأما منطقة الرشيد فهناك يذكر الباناجة، ولهم مسجد باسم جدهم الشيخ بحر النور باناجة، وهم بيت علم وتجار أيضًا، وكذا آل ابن عجلان، وهم بيت علم، ولهم مخطوطات ومؤلفات علمية، ويوجد بها إلى الجانب الشرقي قبر لأحد الصلحاء المغاربة، واسمه الشيخ بن يوسف. ومن أسرها البالحمان، ولهم مقبرة شرق الرشيد وكذا أشجار نخيل، وقد ذكرهم ابن عبيدالله السقاف في (إدام القوت)، ومن حكامها البن دغار الذين سكنوا بها وحكموها.

وأما منطقة عُورة المقابلة لمنطقة الرشيد فقد سكنها أسر عدة، ومنهم الباشيخ، ويقال إنهم من منطقة هدون، ولجدهم مسجد وهو جامع المنطقة، والباكدم؛ حيث قال الشاعر عن أسرة الباكدم:

عُورة عُورة البابدر هي والباكدم

والبن حيد، ولهم بيوت مهدمة، والباغشير، ولهم بيوت مهدمة وبستان نخيل، والباعيسى، ولهم أشجار نخيل، وكذا باجعيفر عمودي ولهم أشجار النخيل، والباغفار، والباكحيل، والبارباح، البارحبه، والبن صران، والبابعير، كما سكن هذه المنطقة ثلاثة مغاربة، ولهم مساجد بأسمائهم، ومنها (مولى الذلق)، وهو عبدالله عمر المغربي، وكذلك مسجد يقال له (مسجد درويش)، ولا أحد يعرف عن اسمه سوى ذلك الاسم، ومسجد عبدالرحمن المغربي.

وأما منطقة القرين فهناك أسر كثيرة بها ومشايخ علم، ومنهم بازياد من علماء المنطقة، والشيخ عمر بايحيى، وباداود يقال إنه من مناطق ليسر، والشيخ حمد بلخير، والشيخ بامشموس، وهناك باعرص، وبادحمان، وباقضمة وله مسجد، وهناك باحمدون وهو حاكم المنطقة وله مصنعة حكم، وباحيدر وفتح في بيته المعلم عمر باحيدر كتاتيب، هكذا هي قرى وادي دوعن وادي الأسرار والعجائب والمهاجرين.

60
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

الشيخ عبدالله بن يوسف باناجة

(١٢٧٠- ١٣٤٤هـ/ ١٨٥٣- ١٩٢٥م)

"الباشا وعضو مجلس المبعوثان العثماني"

تمهيد:

موطن آل باناجة هي بلدة الرشيد، إحدى قرى وادي دوعن بحضرموت، وهم أهل فضل وعلم وتجارة، اشتهر منهم جدهم الشيخ الصالح المشهور يوسف بن أحمد باناجة (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)[١].

لا توجد إشارات إلى الحقبة التي هاجر فيها بعض من آل باناجة إلى الحجاز واستقرارهم بها، ولكن أهم شخصية كان لها دور في الحياة السياسية والتجارية في الحجاز هو الشيخ (يوسف باناجة)، الذي كان من بين المشاركين فيما يسمى بـ(مذبحة جدة) عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م، وكان من بين المنفيين من جدة إلى قبرص عقب التحقيق في هذه الحادثة؛ حيث كان الحضارم بجدة أحد الأطراف المؤثرة فيما عرف في تاريخ الحجاز الحديث بحادثة جدة أو مذبحة القناصل الأوربيين عام (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م)[٢].

د. خالد حسن الجوهي

يُعد الشيخ يوسف واضع اللبنات الأولى لتجارة هذه الأسرة في الحجاز، وبعد وفاته في منفاه واصل أبناؤه مسيرة والدهم التجارية؛ حيث أصبحوا من الأسر الأشهر والأكثر غنى ووجاهة اجتماعية في الحجاز؛ حيث أقاموا علاقات تجارية مع الهند وسواحل البحر الأحمر ومصر، ووصل نشاطهم التجاري حتى لندن، وامتلكوا عدداً من السفن الشراعية[٣].

الشيخ عبدالله باشا باناجة:

«ولد الشيخ عبدالله بن يوسف باناجة في جدة، ثم انتقل مع والده إلى منفاه في قبرص، وهناك سنحت له الفرصة بأن ينال حظًا من التعليم. وبعد وفاة والده عاد مع والدته وأخيه الأكبر محمد الذي أصبح رئيسًا للأسرة في جدة.

نشب الخلاف بين صاحب الترجمة وأخيه الأكبر محمد مما حدا به إلى السفر إلى استانبول، وهناك بدأت تتشكل شخصيته التجارية بعد اشتغاله بتجارة المجوهرات ذات التصاميم الفاخرة والمميزة، وقد ساعدته هذه المهنة على التقرب من بلاط السلطان العثماني عبدالحميد الثاني، الذي عينه عضواً في مجلس المبعوثان، وأنعم عليه بلقب الباشوية»(٤).

عاد الشيخ عبدالله باشا إلى جدة بعد وفاة أخيه محمد ليتولى رئاسة العائلة، وحينها انطلقت الأسرة إلى مرحلة مهمة من الشهرة وذيوع الصيت، فبعد أن كان مسكن العائلة في بيت صغير في منطقة سوق الندى محاطًا ببيوت أخرى متناثرة، قام الشيخ عبدالله باشا بشراء هذه البيوت الصغيرة وهدمها ليبني مكانها بيت العائلة الكبير، وكانت المقصورة التي بناها وتسمى (مقصورة آل باناجة) بجدة الملاصقة لمسجد الحنفي وقاعة كبرى لاستقبال الملوك والوزراء والعامة من الناس؛ حيث كان الملك عبدالعزيز يستقبل فيها الوجهاء وبقية المواطنين لمناقشة قضاياهم المختلفة، وبنى حول بيته الكبير المخازن الخاصة بالبضائع، وفي أسفله مكاتب للعمل التجاري(٥). كما كان قصره في مكة المكرمة الذي يقع في مواجهة الحرم المكي نزلاً للعديد من الزعماء والبشوات، أما قصره في الطائف فقد كان الأهالي يطلقون عليه (الباخرة)، لكونه صمم على شكل باخرة، إضافة إلى قصره بعباسية مصر وعقاراته فيها.

«وفي عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م هاجر الشيخ عبدالله إلى مصر، واشترى منزلاً فخماً بالعباسية، حيث كان مفتوحًا لاستقبال أصدقائه القادمين من الحجاز للعلاج أو للترويح عن النفس، ومن ثم انتقلت العائلة بكاملها إلى مصر أثناء الحرب بين آل سعود والهاشميين»(٦).

لقد كان عبدالله باشا رجلاً ثاقب النظر، يجيد قراءة مستقبل الاستثمار، فنجده يحسن اختيار المواقع التي لها جدوى اقتصادية فيعمل على إنشاء عقاراته بها، ولهذا

نجد «أن معظم مشاريعه العقارية في المناطق المطلة على البحر من جهة الغرب والشمال والتي أصبحت مؤجرة فيما بعد على السفارات الأجنبية، وهي أفضل الأماكن العقارية»(٧).

«توفي الشيخ عبدالله في مدينة القاهرة(٨) عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م بعد معاناة مع المرض، وآلت إدارة تجارة آل باناجة الى أخيه الشيخ عبدالرحمن نظرًا لعدم إنجابه، ولا زال بيت آل باناجة في عهده يحتفظ بمجده وثرائه، وهو من أعظم بيوتات جدة(٩) التجارية، توفي الشيخ عبدالرحمن بن يوسف باناجة عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م»(١٠).

ومن أشهر أبنائه (أحمد) وكان من أغنى سكان جدة آنذاك، عمل أمين صندوق البلدية، كما عهد إليه الشريف حسين بن علي بمنصب وزير المالية في أول وزارة له(١١).

الهوامش:

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي وعبدالرحمن حسن السقاف، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٤٥.

(٢) قُتل في هذه الحادثة ٢٢ شخصًا في جدة، من بينهم ٢١ مسيحيًا أجنبيًا، وكان من بين القتلى القنصل البريطاني، والقنصل الفرنسي وزوجته. وقد تحدثنا عن هذه الحادثة في مقال سابق بمجلة (حضرموت الثقافية) بإمكان القارئ الكريم الرجوع إليها.

(٣) سالنامة ١٣٠١هـ. انظر أيضًا: سهيل صابان، مكة المكرمة والمدينة المنورة، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص٢٩٢.

(٤) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، دار تهامة، ط١، ١٩٨١م، ص٢٤٤.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٢٤٥.

(٦) المرجع نفسه، ج٢، ص٢٥٠- ٢٥١.

(٧) مغربي، أعلام الحجاز، ج٢، ص٢٥٣.

(٨) توجد جالية حضرمية ليست بالكبيرة في مصر، وتقع نقطة تجمعهم بدرجة كبيرة في القاهرة، وبخاصة بالقرب من مسجد الحسين، ومعظمهم من طبقة الأثرياء، مثل (آل الكاف، بازرعة، باغفار، باناجة). إنجرامس، حضرموت، ص٢٧. كما وجدت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي عدد من الأسر التجارية الحضرمية في مصر، التي امتلكت العقارات بمختلف أنواعها من منازل وحوانيت ووكالات، كنوع من الاستثمار لرؤوس أموالهم، أمثال: عمر بن محمد الحضرمي التاجر بوكالة عيدة بخط قصر السوق، وجميل بن علي الحضرمي ووكالته بخط الجمالية المتخصص بتجارة الرقيق، والتاجر عمر بن سالم الحضرمي، والتاجر عبدالوهاب بن محمد بارحيم ومتخصص في تجارة الزيوت بالجمالية، والتاجر أحمد باراس الحضرمي بوكالة عباس، والتاجر عمر بازرعة وغيرهم (زوات عرفان المغربي، العلاقات المصرية اليمنية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٨٣- ١٨٧).

(٩) البيوت التجارية في جدة كانت عبارة عن مدارس صغيرة يتعلم فيها الطلبة أعمال الحسابات التجارية حيث يعملون كتاب حسابات للتجار (يمسكون دفاترهم وبعد سنوات طويلة يتحول قدامى الكتبة إلى تجار بعد أن حذقوا عملهم الطويل في البيوت التجارية). مغربي، أعلام الحجاز، ج١، ص١٠٣.

(١٠) مغربي، أعلام الحجاز، ج٢، ص٢٥٤.

(١١) نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٣، (١٩١٧- ١٩١٨م)، ص٩٦.

63
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب ساحل حضرموت (أنموذجًا)

الحلقة الأولى

يزخر بحر العرب بثروة هائلة من الأسماك والأحياء البحرية الطبيعية المتجددة غير الناضبة، والمميز عن غيره من بحار العالم بمصدره المهم الرافد للتنمية الاقتصادية بقدرة الله سبحانه وتعالى، الذي أكرمنا بأسماك وأحياء عالية الجودة في الذوق والطعم، وهذا ما أظهرته الأسواق الدولية وبخاصة في أسماك التونة والبياض والرخويات والقشريات، كما تعد هذه الثروة مصدر دخل لأكبر شريحة مجتمعية (قطاع الصيادين)، ومن أهم الاحتياجات الغذائية الأساسية لتلبية حاجة سكان حضرموت والساحل بصفة خاصة.

عمر خميس بامتيرف

مكونات الأسماك والأحياء البحرية

تحتوي الأسماك والأحياء البحرية على عوائل متعددة الأنواع والمواصفات، وعلى سبيل المثال عوائل الأسماك العظمية البيوض المميزة بهيكل داخلي ساند ومتماسك بالعظام، ويغطي جلدها عادة قشور متداخلة وصغيرة للغاية، وأخرى قشورها معتدلة على شكل صفائح، وبعضها بدون قشور (ملساء)، والقليل منها لها جلد صلب، وطريقة سيرها (حركتها) إلى الأمام، ولا تستطيع الرجوع إلى الوراء (الخلف) غير عائلة القريب حالة تعرضها (شعورها) للخطر، ومدة تزاوج الأسماك محددة بمواسم معينة قصيرة باستثناء الحوت العظمي (الشوحط) الولود الذي يستغرق أشهراً عدة مدة حالة التزاوج، ومدة حضانتها تصل السنتين ومنها حوت العنبر، فالأسماك البيوض تفضي ما في أحشائها من بيض ورحل (بروتين) في وقت واحد، وعلى سبيل المثال: عائلة سمكة الساردين (العيدة) وعملية التزاوج والتلقيح بين الذكر والأنثى عبر الوغز بتلامس بعضها بين أول دفعة من أسماك العيدة في نجم الغُفر ٢٨ أبريل من فصل الصيف كل عام، والذكر الواحد قادر على تلقيح أعداد كبيرة من الإناث، وخلال تلك المدة تكون الإناث الهائلة حاملة بالبيض والذكور الأقل عدداً مرافقة لها لتضع أول دفعة من البيض الناضج لموسم جديد، وبكميات كبيرة وسط حفر عميقة مظلمة، والذكور تحوم حولها لتضخ وتفضي بالبروتين السائل ويلتصق بالبيض في آنٍ واحد، وتكتمل العملية في نجم الزبان وتستمر لمدة ٢٦ يومًا، وتستغرق عملية التخصيب والتفقيس مدة لا تزيد عن

اليومين في وسط حفر رملية عميقة يتوافر فيها مخلفات السيول من مادة الطفل (الطمي) والهوائم النباتية الدقيقة جدًا، ومنها أربعة مواقع رئيسة على طول الشريط الساحلي، الموقع الأول: حفرة رأس الكلب باتجاه ميفع لاعتمادها على مجرى وادي حجر، الموقع الثاني: حفرة جدرفة شحير لاعتمادها على مجرى وادي عيص بويش ووادي حويرة، الموقع الثالث: حفرة سيحوت لاعتمادها على وادي شرخات (رخوت) ووادي المسيلة ووادي طيكر ووادي رخوت وعتاب، الموقع الرابع: حفرة محيفيف باتجاه يروب بالمهرة لاعتمادها على وادي جزع وغيره، وبعدها يفرخ بحيوان قادر على الحياة حتى تصل سطح الماء الدفعة الأولى حديثة العهد وتسمى (عيدة خنين)، وهي المدة التي يزيد فيه اللويسك (السيلك) مع تغير لون البحر المشبع بالهوائم ومخلفات الطحالب النباتية.

طريقة نقل أسماك العيدة من البحر عبر وسيلة الجدج عبر الشواي

وهكذا تستمر العملية بشكل يومي بين مجموعات أخرى من حوت العيدة، وفي نجمي الشول والنعائم يظهر حوت العيدة (النفنوف)، والعيدة (الخضيرة)، وآخر دفعة من سمكة العيدة تفضي كل ما في أحشائها من البيض والرحل في ٣٠ سبتمبر آخر يوم في نجم الفرغ نهاية فصل الخريف من كل عام، وهذه العملية تنطبق على عوائل أخرى من الأسماك العظمية والغضروفية، ولكن بفارق المواقيت، وهناك أسماك تتم عملية التزاوج والتلقيح ووضع البيض في فصلي الصيف والخريف وبخاصة أسماك الساردين والتونة، وأخرى تتم عملية تزاوجها وتلقيحها ووضع بيضها خلال فصلي الشتاء والربيع وبخاصة أغلب أنواع أسماك البياض، وفي حلقة قادمة سوف نقدم تفصيلاً كاملاً عن أسماك الساردين (العيدة).

سمكة المحليل سمكة غنمة الهامور سمكة طيمة

لعل القارئ يحتاج إلى معرفة المزيد عن الأسماء الشعبية المتداولة للأسماك والأحياء البحرية المتوافرة في بحر العرب ساحل حضرموت، والتي تقدر بأكثر من ٤٥٠ اسم لأكثر من ٦٠٠ نوع من الأسماك، والمقسمة على ٦ فصائل، الموزعة على آلاف الأشكال والأنواع من الأسماك البحرية المميزة بدمها البارد، وأكثر من ١٠٠ نوع من الأحياء البحرية بمختلف الأشكال والأنواع المقسمة لعدد ٦ فصائل أخرى، وكل منها تعيش في بيئتها الخاصة بها.

طريقة نقل القارب الخشبي التقليدي من مياه البحر باتجاه البر (الحبي) وقت ظهور وسيلة المكنة ستة خيل في الستينيات بعد التسعمائة والألف للميلاد

ومن خلال ذلك أود توضيح محتويات الأسماك العظمية التي تشمل: ١ - الرأس، ٢ - الفم، ٣ - الأنف، ٤ - العين، ٥ - غطاء الخيشوم، ٦ - الزعنفة الظهرية الأولى، ٧ - الزعنفة الظهرية الثانية، ٨ - الزعانف القريبة من الذيل، ٩ - زعنفة الذيل، ١٠ - الطرف العلوي للذيل ١١ - الطرف الأسفل من الذيل ١٢ - الزعنفة الشرجية ١٣ - فتحة الشرج ١٤ - الخط الجانبي الحسي ١٥ - الزعنفة الصدرية.

مكونات الأسماك الغضروفية تحتوي على: ١ - الرأس ٢ - العينين، ٣ - فتحات الخياشيم، ٤ - الزعنفة الظهرية

الأولى، ٥- الزعنفة الظهرية الثانية، ٦- زعنفة الذيل، ٧- الطرف العلوي للذيل، ٨- الطرف السفلي للذيل، ٩- الزعنفة الشرجية، ١٠- العضو التناسلي للذكر، ١١- الفتحة الشرجية، ١٢- الزعنفة البطنية، ١٣- الزعنفة الصدرية (الأذن)، ١٤- الفم، ١٥- الأنف.

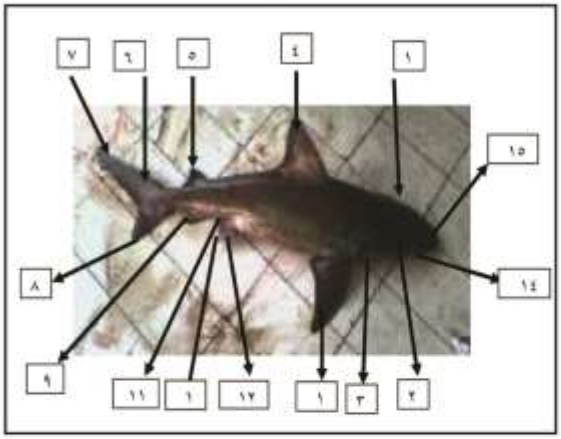

وأما مكونات الأحياء القشرية كالشروخ مثلاً تتكون من: ١- الرأس، ٢- العينين، ٣- الصدر، ٤- قرنيات الاستشعار، ٥- البطن، ٦- الذيل، ٧- الأرجل، ٨- الظهر.

مكونات الحبار (العزيز): ١- الرأس، ٢- العينين، ٣- الفم، ٤- الممصات اللاقطة، ٥- المجسات الماصة، ٦- الأذرع (الجناحين)، ٧- العظم الجيري.

وتتميز الأسماك العظمية مثل الحيوانات الفقارية الأخرى بوجود الهيكل المحوري أو العمود الفقري الذي يحتوي على فقارات منفصلة، وظيفتها الأساسية هي دفع الأسماك في الماء عبر الذيل؛ إذ إن الأطراف وحدها هي التي تقوم بهذه الحركة، وتكسو جلود الأسماك أيضًا طبقة من مادة مخاطية تسمى شعبيًا (سلاكة)، وظيفتها وقائية فهي تحيط بالفطريات والجراثيم التي قد تعلق بجسم السمكة، وعندما تفقد السمكة جزءًا من قشورها فإن الميكروبات تستطيع أن تصل إلى الجزء العاري الخالي من المادة المخاطية، فتتعرض السمكة لكثير من الأمراض، ومن صفات الأسماك العظمية أيضًا وجود الزعانف التي تدعمها أشواك غضروفية أو عظمية، والزعانف تكون فردية أو زوجية، فالفردية هي الزعنفة الظهرية والشرجية والذيلية، وأما الزوجية فهما زعنفتا الصدر.

وفي وقتنا الحاضر بلغ العبث والاستهانة ببعض الأسماك حدًا كبيرًا مما أدى إلى تدني ثقافة الجيل الجديد وعدم الحفاظ على التراث البحري مما أسهم إلى حد كبير بفقدان هوية أسماء بعضها، وهي الأسماء الشعبية المتداولة والمتوارثة من الأجداد الذين يعود لهم الفضل بوضع الاسم على المسمى المتطابق مع مواصفاته، والسبب الاحتكاك والتأثير بالدخلاء الوافدين من خارج حضرموت وبخاصة من القرن الأفريقي الذين تهيأت لهم الظروف بإشاعة أسماء مغايرة وغريبة لتحل محل الأسماء الشعبية المتداولة بين العامة في حضرموت، وذلك مدة تسويق وارداتهم من الأسماك في مواقع الإنزال السمكي في أسواق الحراج بالمكلا والشحر، والمحرِّجون هم أول من يلتقطون الأسماء الدخيلة، ويعطونها قبولاً ويبثونها بين العامة، وشارك في ذلك الصيادون والباعة وجميعهم أسهموا للأسف الشديد في استبدال أسماء بعض الأسماك بسبب الطمع، والنتيجة النهائية عدم معرفة اسمها الحقيقي المتداول قديماً في حضرموت، مثال على ذلك: سمكة (الثمد أبو خنجر إلى اسم سمكة المصارع هوقن)، ومن اسم سمكة (ثمد باهي ربع إلى اسم سمكة ثمد شبابي)، (ومن سمكة مدهر خال الغلس إلى اسم الملكي)، (ومن سمكة شيخ القشار إلى اسم سمكة شركة جونسون)، (ومن سمكة الصعوبان إلى اسم سمكة باص الرويشان)، حتى باعة اللخم المجفف أطلقوا على أي نوع من اللخم أطراف زعانفه عليها علامة سوداء سموها لخم قريني بينما اللخم القريني واسمه العلمي أبو مطرقة، وهو نوع مميز برأسه الشبيه بالمطرقة وعيناه متباعدة في أطراف الرأس(١)، وعليه نعرض صورًا تعريفية لهذه الأسماك التي تعرضت أسماؤها للطمس والتشويه.

سمكة ثمد باهي ربع

تمر أسماك التونة (الثمد) بمراحل عمرية متدرجة بعد خروجها إلى الواقع الطبيعي بالمرحلة الأولى ويسمى (ثمد باطوطة)، طوله يبدأ من ٣٠ سم، ويقدر وزنه حوالي من ١ - ٣ كيلو غرام تقريبًا، وينمو قليلاً حتى يصل طوله إلى ٥٠ سم يسمى (ثمد تيلم)، وصيادو الشحر يطلقون عليه (يحدر) طوله يزيد عن ٨٠ سم، ويستمر في النمو حتى يتجاوز طوله ١٠٠ سم تقريبًا يسمى (ثمد باهي ربع)، وهي المدة التي يتجمع فيها سمك الثمد، ويختلط متوسط الحجم والكبير ويستقران في مواقع معينة وثابتة وفي مدد محددة بحثًا عن الغذاء الذي يقتات منه ويسمى صيد الماء، وموسمها فصل الربيع والصيف.

ثمد أبو خنجر abo khanger - thamad

ثمد أبو خنجر ويتميز بكبر حجمه، وطول الزعنفتين الظهرية والشرجية التي تصل أطرافها إلى عند الذيل الشبيهة بالخنجر، ويصل طول الثمد أبو خنجر حوالي ٢٥٠ سم، وعمره حوالي ١٥ سنة، علماً أن غالب أنواع أسماك الثمد أبو الزعنفة الصفراء يتم اصطيادها من السنة إلى الست سنوات، أي من مقاس ٦٠ سم إلى ١٢٠ سم، وبعضها تصل من ١٤٠ سم إلى ٢٠٠ سم، وتتميز عائلة أسماك التونة بالأوعية الدموية التي تضخ الدم من تحت الجلد إلى داخل العضلات والخلايا مما يكسب لحمها اللون الأحمر، ويُعد الثمد من الأسماك العظمية السطحية المهاجرة عبر المحيطات، ويبلغ سرعته أكثر من ٤٣ ميلاً في الساعة، والثمد نوعان:

النوع الأول: ذو الزعنفة الصفراء، ويوجد في بحر العرب والمحيط الهندي، والنوع الثاني: ذو الزعنفة الزرقاء ويوجد في مياه البحار الباردة.

فترة ظهور القوارب الفيبر قلاس التقليدية بداية العقد الثمانين بعد التسعمائة والألف للميلاد وأول من استخدم الفبرقلاس التقليدي صيادو عدن

وللثمد نكهة خاصةً في ذوقه المتميز ومتانة لحمه، ويتمتع بقيمة اقتصادية عالية في الأسواق المحلية ومطلوب عالميًا، وموسمه في فصل الشتاء والربيع، ويتوفر أحيانًا على مدار العام وبخاصة في فصلي الصيف والخريف، وتربطه علاقة قوية مع بعض الحيتان المهاجرة (الدولفينات) واسمه الشعبي حوت الغَبَرَ (معيلي)، ويفضل تناول أسماك السواد مرتين في الأسبوع وبخاصةً للأطفال وكبار السن وللنساء الحوامل، والذين يعانون من الاضطرابات النفسية، ويتميز أنواع الثمد أبو الزعنفة الصفراء الطويلة الشبيهة بالخنجر وسمك التونة مفضلة ومنافسة عالميًا.

سمكة المدهر (خال الغلس)

سمكة مدهر (خال الغلس): طوله لا يزيد عن ١٥٠ سم، ولون جسمه رمادي، وظهره داكن ضارب للسواد، وجسمه أسطواني، وعليه قشور صغيرة ودقيقة محببة، وزعانفه رمادية داكنة، له عينان واسعتان لونها أزرق مائلة للاخضرار، وأسنان حادة، وذيل هلالي طرفه الأسفل أطول، ويُعد من أسماك الأعماق، ومن خلال البحث عن اسم هذه السمكة عبر الصيادين كبار السن في مناطق ساحل المهرة وحضرموت أكدّوا عدم أحقية ما يطلق عليه مؤخراً من اسم (الملكي)، وهذه السمكة نادراً ما يتم اصطيادها؛ لأنها من أسماك الأعماق، وتوجد في الأعماق على مسافة ٣٠ ميلاً بحرياً داخل البحر، وأحياناً تقترب لمسافة أقرب عندما تشتد برودة البحر خصوصاً في مدة تزايد أحياء قناديل البحر (السليط) وصغار الحبار والجراد وقت برودة مياه البحر في نجوم فصل الخريف السبعة (النعايم، البلدة، المرزم، سهيل، باعريق، خبأ، الفرغ).

وتتميز سمكة مدهر بزيادة الدهون التي يكنزها لحمها الذي يسبب بعض حالات الغثيان والاسهال مما يفضل صناعته مالحًا، ونادراً يتم اصطيادها بالشباك العائمة عندما تعلق بها في مدة موسم استخدام وسيلة التصبية في فصل الخريف، وأحياناً عبر الشكات والشباك القاعية مدة بحثه عن غذائه، ويأتي في المرتبة الرابعة من حيث الجودة في صناعة المالح بعد أسماك الديرك والغودة والعنبرية، وبعدها أسماك مدهر (خال الغلس) الطمكري، والمظراس، والزرب.

سمكة صعوبان abo fiusa sawobinae

سمكة الصعوبان طولها لا يزيد عن ١٢٠ سم، وجسمها مستطيل مضغوط ومتعدد الألوان وبخاصة في مدة اصطيادها مباشرةً، ولها زعنفة ظهرية ممتدة من فوق الرأس إلى قرب الذيل، وزعنفة ثانية تمتد من عند الصرُ (فتحة الأست) إلى قرب الذيل، ورأسها دائري مضغوط من الأعلى أصغره (صعوبان عنفلوس): طوله لا يزيد عن ٦٠ سم، وأكبر أنواع الصعوبان يسمى (أبو فاس): جسمه أصفر وعليه طهوة سوداء وزرقاء، طوله لا يزيد عن ٢٠٠ سم، ويتميز بخورة (عظم) على الرأس، ويتوافر الصعوبان في مختلف الأعماق عرض البحر من الرصيف القاري، ولحمه طيب ولذيذ وشهي، وتسمى كل أنواع الصعوبان في كل دول الخليج (ماهي ماهي). ويفضل نضجه كبسة صيادية، ويصنع مالحًا، أو صفيفًا، وموسمها فصل الربيع حتى منتصف الصيف.

سمكة شيخ القشار

سمكة شيخ القشار: طولها لا يزيد عن ٣٠ سم قشورها مربعة، ولونها برتقالي فاتح ذو لمعة فضية، ولها عينان كبيرتان، وزعانفها لينة برتقالية، وتتوافر مع الأسماك المرجانية والبرعيش وكوس والحصيحصة، وتسمى في دولة الكويت (حمراء)، وهي من الأسماك التي تعرضت مواقعها للتهجير، موسمها في فصل الشتاء، ويفضل نضجها مقلية بالفلفل.

لخم قريني شرت/ أبو مطرقة lakham garyn

حوت القرش القريني ويسمى علميًا أبو مطرقة، وهو نوعان: الأول: لخم قريني مطلوب للاستهلاك اليومي،

طوله لا يزيد عن ٨٠ سم، لون جسمه العلوي رمادي فاتح، وأسفل الجسم ناحية البطن أبيض، وعيناه في أطراف مطرقة الرأس، وأطراف الأذنين، والطرف الأسفل الذيل عليه علامة سوداء، والزعنفة الظهرية عريضة وحادة، وصغار الحوت (الدقوس) الموجودة في بطن الأنثى تطبخ ربيسًا ناشفًا، ويفضل تجفيفه لحماً، وترتيبه الغذائي يأتي رقم ٤، بعد رقم ١ لخم القطقطة، رقم ٢ لخم الحيم، رقم ٣ لخم الجند.

وأكبر أنواع اللخم القريني يسمى ذيلاً، يصل طوله أكثر من ٤٠٠ سم، لون جسمه العلوي رمادي داكن، وعليه طهوة غامقة بين الزعانف وأسفل الجسم الأبيض، والذيل كبير وعريض، النوع الثاني، رأسه منحنٍ شبه دائري.

من سيف روكب صورة سنة ١٩٦٤م
للصياد مبارك عبد الله باعجاج (رحمه الله)

مواقع إنزال الاصطياد:

مواقع الإنزال المتعارف عليها بين عامة الصيادين وهي الأماكن الآمنة لتجمعات أصحاب المهنة كل حسب وسائله وأدواته التقليدية المرتبطة بمراكز اصطياد الأسماك، والتي غالبًا ما تكون محل تسويق الأسماك والأحياء البحرية المستهدفة من جهة الغرب شقرة بأبين، وميناء بلحاف، ومركز بئر علي بشبوة حاليًا الممتد بساحل أنبح من الواد، ورأس الوكفة، ورأس الكلب حتى ميفع إلى بروم وخيصة حصيحصة، ظلومة، شموسة، وحلة، وفوة، حتى المكلا ومن جهة الشرق تأتي روكب، بويش، الريان، شحير، الشحر، الحامي، مقرة، القرن (خيصة شرمة)، يثمون، ذمبات، عسد الفاي، قصيعر، الريدة، العيق، المضي، المصينعة، حتى حضاتهم نهاية ساحل حضرموت، وإلى جهة الشرق تأتي المهرة، وتبدأ من حساي، ومجحب الدمخ، ثمنون، عريوط، رخوت الغربية (يهوت)، شرخات، العيص، درفات، سيحوت، خيصة خطر، رخوت الشرقية، عتاب، ليبن، قشن، هيور، صقر، جدوة، حصوين، ميناء خيصيت، نشطون، والمسافة من ميناء نشطون حتى محمية حوف ٥١ ميلاً بحريًا، وبينها ضبوت، هروت، محيفيف، الغيضة، الكدرة، مونغ، يروب، الفيدمي، ميناء الفتك، دمقوت حتى جادب حوف بالمهرة شرقًا.

فوائد الأسماك والأحياء البحرية:

أثبت الأطباء بأن الأسماك والأحياء البحرية أكثر فعالية وفائدة للإنسان، مؤكدين أهميتها من خلال تناول وجبات رئيسة من الأسماك والأحياء البحرية، وبشكل منتظم، ويفضل الإكثار منها، وبخاصة أسماك البياض، وهذا ما كان عليه سكان المناطق الساحلية، واعتمادهم على الوجبات المفضلة لتكزم مع التمر والخبز والآن مع الأرز، والنتيجة فيما كانوا عليه الأجداد من صحة جسمانية خالية من أمراض السكر، والبواسير، وأمراض القلب، وضعف النظر، وأمراض تكسرات الدم، والضغط، والأمراض السرطانية الأخرى، وهذا دليل مشهود عليه، وكما هو الحال اليوم أصبح العالم كله يتجه نحو تناول الأسماك والأحياء البحرية ذات القيمة الغذائية الخالية من المواد الكيماوية، ومزايا يتكيف معها الإنسان وقاية وعلاجًا؛ لأن الأسماك تحتوي جميع مكونات الفيتامينات وخاصةً (a – b – c – d) من البروتين، والهرمون، والكالسيوم، والفسفور، والحديد، والصوديم، واليود،

وإن ما يحتاجه جسم الإنسان من السمك في كل يوم بمعدل ٢٥٠ جرامًا (ربع كيلو)، وما زاد فهو أفضل عكس اللحوم الأخرى التي ينصح الأطباء بعدم الإفراط فيها إلا أن بعض الناس يظنون أن تناول الأسماك تصيبهم بالأذى، والحقيقة عكس ذلك؛ لأن الإكثار من أكل الأسماك الطازجة في وجبات منتظمة علاج كامل، وخاصة في أوقات موسمها لكونها تساعد على بنية الجسم، والنوم المريح، وسريعة الهضم، كما تساعد دهونها تدريجيًا في القضاء على الكولسترول، وتساعد لعلاج المسالك البولية، وتفتيت حصوات الكلى، وتقلل من خطر إصابة البنكرياس، وتقضي على الدهون المتجمعة حول الكبد، كما تعالج أمراض السكر، والتهابات كريات الدم، ويفضل تناولها بديلاً عن كل أنواع الأدوية للوقاية من الأمراض الشهيرة التي يعاني منها الإنسان، وتعوض عن نقص المواد المفيدة في الخضار والفواكه؛ لاعتمادها على الشعاب المرجانية، وينصح الأطباء بها خاصة (للنساء) فترات الحمل؛ حيث يساعدهن على إنجاب أطفال أصحاء، وأفضل وجبة يجب تناولها في كبدها، ولكن هناك أنواع قليلة من بعض ذكور السمك الصخري البياض، مثل: الجوار، والبُشت، والطمكري، والطرناك، والريدو، والحذور؛ لكونها تزيد فيها المادة البروتينة والنشوية مما يؤدي إلى نبش بعض الحالات النادرة الموجودة لدى بعض الأفراد المفرطين في أكل المكسرات، وخاصةً اللوز، والفستق، والبيض، والموز، ويقال عنها نشو، وعلى كل إنسان تنظيم تناول وجباته الثلاث (بسط، غذاء، عشاء)، وهذه جوامع طبية متعارف عليها تحددت في خصال عدة تقيد الإنسان، وإن شاء الله لن تراجع الطبيب و(ليكن غذاؤك دواءَك)، وفيما يأتي ملخص بتعدد تناول وجبات الأسماك والأحياء البحرية وذلك من خلال الاستعانة برأي الربان محمد عمر بن قرمان (باجول) البالغ من العمر ٨٠ سنة يقول: بالنسبة لأسماك العيدة كنا نأكلها في موسمها على مدار الوجبات الثلاث (وجبة الفطور كمية من أسماك العيدة غبوبة، تجهز عبر التنور، وتكزم مع خبز الذرة أو بر، ومن بعدها وجبة الغداء وتحل محلها كمية من أسماك العيد، نقوم بشويها بالفحم (الصخر) خارج البيوت، وجبة العشاء كمية من أسماك العيدة تجهز عبر دهرة التنور، وتكزم مع الخبز والتمر وأحيانًا مع الرز)، ولكن هناك أسماك متنوعة أخرى تتوافر على مدار فصول السنة، يفضل تناولها حسب مواسمها، ومن خلالها لخصنا وجبات متوافقة مع حاجة الإنسان ورغبته لها لتمثل رافدًا غذائيًا متنوعًا في الآتي:

- يفضل تناول أسماك العيدة ثلاث مرات في الأسبوع مدة موسمها من ١ أكتوبر حتى ٣١ ديسمبر.
- يفضل تناول الأسماك العظمية الشوكية مرة في الشهر مدة موسمها من ١ يناير حتى ٣١ مارس.
- يفضل تناول الأسماك العظمية ذوات اللحم الأبيض مرتين في الأسبوع، وكل نوع حسب موسمه.
- يفضل تناول أسماك التونة ذوات اللحم الأسود (الأحمر) مرتين في الأسبوع وكل نوع حسب موسمه.
- يفضل تناول الأسماك الغضروفية (اللخم) مرة في الأسبوع، وكل نوع حسب موسمه.
- يفضل تناول القشريات (الشروخ، الربيان، أبو مقص) مرة في الشهر، وكل نوع حسب موسمه.
- يفضل تناول الرخويات (الحبار، البقار) مرة في الشهر، وكل نوع حسب موسمه.
- يفضل تناول أحشاء (كراش) الأسماك مرة في الأسبوع، وكل نوع حسب موسمه.
- يفضل تناول محصول العنبر وفق وصفة متخصصة عند الحاجة بقدر حبة الطعام مرة في العام.

الأسماك العظمية الشوكية في بحر العرب

عائلة الساردينات:

يبدأ موسم أسماك الساردين من فصل الشتاء ١ أكتوبر (تشرين الأول) أول يوم في نجم الدلو، وبخاصة حوت العيدة حتى نهاية ديسمبر (كانون أول) نهاية نجم الهقعة (الهكعة)، ومن بعد ذلك تقل قيمتها الغذائية تدريجيًا، وتنمو في وسط لحمها أشواك (عظام)، ومن ميزتها احتواؤها على كل المواد المفيدة المتوافرة لجميع أنواع الأسماك والأحياء البحرية، ويفضل اصطيادها (بالغدف) بوساطة شباك المغوير، ولها طرق عدة في نضجها، وأفضلها بالفحم (الصخر) عبر التنور، وفي آخر موسمها يتم طحنها أعلافًا أو تصنيعها مالحًا في أحواض الخزف الجير الطيني أو وعاء البلاستيك بدلاً من الأحواض الحديدية، كما أنها مفيدة لكل المخلوقات والأشجار، ويستخرج منها الصيفة.

١- عيدة نفنوف

٢- عيدة خنين

٣- عيّدة دقل طولها ١٠ سم

٤- عيدة خضيرة طولها ٧ سم

عيدة ربع طولها ١٢ سم

عيدة ربع فاخر طولها ١٦ سم

٥- عيدة صيفية

٦- عيدة باتوبه طولها ٢٢ سم

٧- عيدة ربع فاخر

٨- عيدة باتوبة

مراحل نمو العيدة:

العيدة تمر بسبع مراحل، أولاً: عيدة خنين بداية الخُلق في نجم القلب ويبدأ حجمها يتزايد، ثانيًا: عيدة نفنوف وطولها لا يزيد عن ٥ سم، وتتوافر من نهاية نجم النعائم وكثرتها في نجم الخباء (خراء أول) من فصل الخريف، ثالثًا: عيدة خضيرة (سقوط) طولها لا يزيد عن ٨ سم وجسمها نحيف، مع قليل من القشور الدقيقة وعليه نقط، وتكبر قليلاً وتسمى عند البدو (عيدة قنّم)، لون ظهرها أزرق فاتح مائل للاخضرار، وباقي الجسم لماع، طولها لا يزيد عن ١٠ سم، ولحمها لذيذ، وطيب، وتؤكل أحيانًا كاملة باستثناء الرأس (الكور) وتسمى (عومة بكاري)، وتفضل وزيفًا للركاب (الجمال)، ويبدأ حجمها للزيادة وهي الحوت أصلاً، رابعًا: عيدة دقل دون الربع، وعندما تكبر قليلاً يتم شويها أو دهرتها بالصخر (الفحم) الخفيف، وتوجد بكثرة بمختلف الأحجام في كل نجوم فصل الشتاء، خامسًا: العيدة الربع، وتزيد قليلاً وتسمى (عيدة فاخر) طولها لا يزيد عن ١٦ سم، وجسمها من الأعلى أزرق غامق، وباقي جسمها فضي لماع، سادسًا: عيدة صيفية وتسمى (مخشبة) طولها لا يزيد عن ٢٠ سم، ورأسها أكبر، وباقي جسمها نحيل باتجاه البطن والذيل، ولحمها ساه يتخلله الشوك العظمي. سابعًا: عيدة كبيرة وتسمى (باتوبة) طولها لا يزيد عن ٢٢ سم، ولون ظهرها أزرق غامق بلون عمق البحر، وباقي جسمها فضي مائل للبياض، وموسمها من نجم المرزم في فصل الخريف حتى منتصف فصل الشتاء، ويفضل نضج العيدة بالفحم عبر دهرة التنور، وحوت العيدة متوافرة في أغلب مناطق ساحل حضرموت، وتسمى علميًا ساردين، وفي دول الخليج ميد.

طريقة تجفيف أسماك الساردين وكيلها للبدو في ساحل حضرموت

حالة عيدة في منتصف فصل الربيع حالة العيدة في فصل الخريف

ويكون حوت العيدة في عمق حفر، يتوافر فيها غذاؤها من الطفل (الطمي) لاعتمادها على مخلفات السيول، وأهم مواقعها حفرة رأس الكلب بميفع لاعتمادها على وادي حجر، وفي جدرة شحير لاعتمادها على وادي حويرة، وفي حفرة سيحوت أرض الحوت لاعتمادها على المسيلة، وفي حفرة محيفيف لاعتمادها على وادي جزع.

عائلة المنتوج والشيظي وبنت عبدالنبي:

سمك المنتوج والشيظي وبنت عبدالنبي (الرهد) لها شأن كبير في شرق آسيا وبخاصة في إندونيسيا، ويفضل تجفيفها وزيفًا عبر أشعة الشمس، وأما الشيظي فيعلب تونة.

منتوج / وزف منتوج/ أنشوس

المنتوج نوعان، وأصغره يسمى خنين طوله لا يزيد عن ٢سم، فالمنتوج الدرجة الأولى طوله لا يزيد عن ٦ سم، ويُعد من أصغر الأسماك المتداولة، وأجزاء كبيرة من جسمه ملساء، وظهره وجزء من جوانبه تميل للفضي وللسمرة، وعليه خط جانبي فضي لماع، ومواصفاته تفوق النوع الثاني منتوج مشعر (أنشوس) التجاري، طوله لا يزيد عن ٨سم، وجسمه عريض، وجوانبه فضية فاتحة وعليها كثير من القشور الصغيرة، وتوجد في مواقع مختلفة، وبكميات كبيرة لتصل قرب السواحل في منتصف فصل الشتاء حتى نهاية فصل الصيف، وتتعرض دائماً للمطاردة، ولكنه يؤذي أسماك العيدة وغالبًا تهرب منه، وأحيانًا يخنق الأسماك الأكبر منه حجماً إذا اختلطت فيه، ويقتات على ما تقتاته العيدة التي لا تأكل إلا الطحالب أو الهوائم النباتية، وطفل السيول، وكل ما هو دقيق من مخلفات التربة والأشجار وموسمه فصل الشتاء.

شيظي صيفي شيظي خريفي شيظي شتوي

الشيظي يمر بثلاث مراحل: أولها: يسمى خنين ثم يكبر قليلاً، ويسمى نفنوف طوله لا يزيد عن ٣- ٤ سم، الأول شيظي صيفي طوله لا يزيد عن ٨سم، مواصفاته أقرب إلى الأنشوس إلا أن رأسه أكبر، أما الشيظي الثاني الخريفي، طوله لا يزيد عن ١٢ سم، ويتواجد مع الصني، وجسمه عليه قشور بيضاء، وظهره أزرق فاتح وله شاربان، أما الشيظي الثالث الشتوي طوله لا يزيد عن ١٨ سم، وهو المطلوب لأن مواصفاته عالية، وجسمه العلوي أزرق، وقشوره رقيقة وثابتة، ورأسه أكبر، ويتوافر الشيظي بكميات كبيرة في فصل الشتاء، ويعلب محليًا ويسوق تجاريًا.

من أعلى الصورة سمكة بنت عبدالنبي وفي الوسط منتوج مشعر رقم ٢ ومن الأسفل منتوج رقم ١

بنت عبدالنبي: والصغير منها خنين، وتسمى في عدن (رهد) من الأسماك العائمة، وجسمها رصاصي، وظهرها أزرق غامق شبيه بالبربير، وفمها منقاري، توجد في مختلف الأعماق، وتعد من صنف المنتوج، ولكن حجمها أكبر مع وجود جزء من جسمها أملس بدون قشور، وطولها لا يزيد عن ٢٠ سم تقريبًا ومحصولها قليل، وموسمها فصل الشتاء.

وزف العيدة النفنوف فترة اختلاطها مع المنتوج في نجم البطين من فصل الشتاء

فصائل الأسماك العظمية الشوكية وعوائلها:

العيدة، عرعرة، شفر، بربير، صبو، مرتع، باجوف، شارح المغن، ضبيك، سبسيب، أبوسيف، سليلاة، شمام، قوب، عتان، سويّد ويفضل تصنيعها مالحًا، وموسمها فصل الربيع.

عيدة aida　　عُرعره/ كرموم ararae　　عُرعره ararae

الأسماك العظمية الشوكية وهي الأسماك التي يوجد في وسط لحمها عظام (أشواك) دقيقة وصغيرة محسوسة، وبعضها كبيرة متفرعة ومتنوعة، وتتميز بكثرة نسبة مادة الكالسيوم، وهي:

العيدة، المنتوج، عرعرة، شفر، بربير، صبو، مرتع، باجوف، شارح المغن، باسيف، سبسيب، ضبيك، شمام، سليلاة، عتان، قوب، العُرعرة نوعان، وبداية تكوينها تسمى خنين، وتكبر قليلاً وتسمى نفنوف، النوع الأول عرعرة كرموم طولها لا يزيد عن ١٠ سم، والنوع الثاني عرعرة عريضة طولها لا يزيد عن ٨سم، وتختلط أحيانًا بالعيدة والجدب والبربير والشفر في نهاية فصل الشتاء والربيع، وكلها تُعد من (الصني)، ومن الأسماك التي تعرضت للتهجير ويفضل نضجها بالفحم.

شفر سلطاني shfer　　بربير barbair　　بربير باعيدون baydon

الشُفر نوعان، النوع الأول شفر سلطاني وبداية تكوينه يسمى نفنوف، طوله لا يزيد عن ٥ سم، ويكبر حتى يصل طوله إلى ٢٠ سم، وظهره أزرق وباقي جسمه فضي لماع، النوع الثاني شفر عريّض، وبداية تكوينه يسمى نفنوف، وينمو حتى يصل طوله ١٥ سم، شكله مسطح، وظهره أزرق فاتح، وباقي جسمه فضي، أما البربير بداية تكوينه يسمى خنين، ويكبر قليلاً ويسمى نفنوف، طوله لا يزيد عن ٥ سم، وينمو حتى لا يزيد طوله عن ٢٣ سم جسمه مُدَوَّر، ورأسه أطول من خال البربير، وعليه قشور أكبر ورقيقة، أما خال البربير يسمى باعيدون طوله لا يزيد عن ٢٠ سم، وجسمه مستدير، وعليه قشور قليلة ودقيقة في الجزء العلوي وباقي جسمه أملس، ورأسه طويل ومحدب، وغالب أنواع الأسماك العظمية الشوكية حجمها يتوقف عن النمو، وعمرها قصير لا يزيد عن العامين باستثناء السبسيب وأبوسيف وسليلاة وشمام وقوب وعتان وسويّد، كونها تعيش أكثر، وفي وسط لحمها عظام (أشواك) دقيقة، وصغيرة محسوسة متفرعة، ومتنوعة، ومن الأسماك للمعرضة للتهجير، ويفضل مالحًا.

صبو sabo　　مرتع mirta

الصبو طوله لا يزيد عن ٢٥ سم، والمرتع طوله لا يزيد عن ١٢ سم، والصغير منه يسمى مرتع دقل، ويسمى في دولة الكويت صبور، وجسمه العلوي أزرق فاتح، وباقي الجسم فضي، وهذان النوعان (الصبو، والمرتع) يوجد في وسط لحمها عظام (أشواك) دقيقة، وصغيرة محسوسة، متفرعة، ومتنوعة إلا أن المرتع أكثر لمعةً وأقل شوكًا وبغير نقطة سوداء، ويتوافر الصبو من منتصف فصل الربيع، والصيف كله، أما المرتع فيظهر بداية فصل الخريف، وبكميات كبيرة على أطراف كاسر أمواج البحر في المناطق الرملية الساحلية، ويفضل مالحًا.

باجوف baigof

شارح المغن

باجوف طوله لا يزيد عن ٢٢ سم، وزعانفه شفافة، وشكله قريب من الصبو إلا أن رأسه (كوره) أكبر، ولون ظهره أزرق مائل للاخضرار، وباقي الجسم فضي مائي، وعلى جسمه علامة سوداء قريبة من غطاء الخيشوم مقابلة للعين، أما شارح المغن طوله لا يزيد عن ١٨ سم، وجسمه فضي لماع، شبيه بالمرتع، وظهره أزرق فاتح وزعانفه شفافة، وأطراف زعنفة الذيل سوداء، ولكنه أطول، وهذان النوعان توجد في وسط لحمها عظام (أشواك) دقيقة وصغيرة محسوسة متفرعة ومتنوعة.

ضبيك

الضبيك طوله لا يزيد عن ٣٠ سم، وجسمه العلوي رمادي داكن ضارب للزرقة، وباقي جسمه فضي ضارب للرصاصي، وعيناه كبيرتان، وزعنفة الذيل سوداء ويتوسطها خطان عريضان رقيقان لونهما أبيض، وفي وسط لحمه قليل من الأشواك الدقيقة، وطعمه طيب ولذيذ، من الأسماك التي تعرضت للتهجير ونادر وجودها، وموسمه فصل الخريف ويفضل نضجه مقليًا.

عائلة السبسيب وأبوسيف:

السبسيب وأبوسيف يكثر في وسط لحمها عظام (أشواك) دقيقة وصغيرة محسوسة، وبعضها كبيرة متفرعة ومتنوعة، وأكثرها يأتي في الجزء الأخير ناحية الذيل، ويفضل نضجها بالفحم عبر التنور. وكل أنواع السبسيب يسمى في دول الخليج (حاقول خرمان).

سبسيب أبو مدروف

قصبة البحر، وهي نوعان: النوع الأول: أبومدروف طوله لا يزيد عن ١٥٠ سم، وجسمه مُدَوَّر، ولونه رمادي داكن وعليه طهوة ذهبية، وملحق (خيط) غضروفي مرتبط في نهاية الذيل صالح للأكل، ولحمه طيب، ويُعد من الصيد السطحي، ويوجد قرب السواحل الشاطئية، وموسمه الشتاء.

سبسيب أبومدروف

قصبة المدروف طوله لا يزيد عن ٥٠ سم

النوع الثاني أبو مدروف أحمر طوله لا يزيد عن ١٥٠ سم، وجسمه مضغوط، وظهره أسمر غامق، وباقي الجسم لونه أحمر، والبطن فاتحة، وملحق (خيط) غضروفي مرتبط في نهاية الذيل صالح للأكل، ولحمه طيب، وتُعد من الصيد السطحي، وتتوافر في العمق المتوسط، وموسمها فصل الصيف.

سبسيب بايرعة

أما السبسيب فثلاثة أنواع: الأول: سبسيب بايرعة طوله لا يزيد عن ١٢٠ سم، وجسمه انسيابي عليه قشور صغيرة، والظهر أزرق غامق وبطنها أبيض، وعلى جوانبها بقع بنية فاتحة، وما بين الذيل والزعنفة العلوية والسفلية ثلاث نقط دائرية، ولها فم منقاري يطول من أعلاه، ويقصر من أسفل.

سبسيب باسبتة

أما النوع الثاني سبسيب باسبتة فطوله لا يزيد عن ١٠٠ سم، الجسم انسيابي عريض مربوع، والظهر أزرق فاتح، والبطن فضية ضاربة للرصاصي، ويوجد خلف الزعنفة الصدرية خمس بقع فاتحة، وأطراف منقار الفم متساوية، وموسمها فصل الصيف، ويفضل نضجها بالفحم عبر التنور.

سبسيب برغول

أما النوع الثالث سبسيب برغول طوله لا يزيد عن ٨٠سم، الجسم ممدود دائري، والظهر أزرق غامق، والبطن فضية ضاربة للبياض، وأطراف منقار الفم متساوية، وأسنانها حادة.

باخنافو / أبوسيف –

باخنافو طوله لا يزيد عن ٨٠سم، وعندما يكبر يسمى أبو سيف، ولا يزيد طوله عن ١٢٠ سم، وجسمه مستطيل ومسطح فضي لماع، والظهر أزرق غامق، وزعانفه بنية فاتحة، والفك السفلي للفم يتقدم على الفك العلوي، الزعنفة الصدرية تحت الغطاء الخيشومي، وله زعانف احتياطية دقيقة تمتد على طول البطن حتى الفتحة الشرجية، ومن بعدها الزعنفة الشرجية المرتبطة بزعانف احتياطية إلى قرب الذيل، الزعنفة الظهرية مقابلة للزعنفة الشرجية، وفي وسط لحمه عظام (أشواك) دقيقة محسوسة وبعضها كبيرة متفرعة ومتنوعة، ويتوافر في الأعماق المتوسطة، ويفضل نضجه بالفحم عبر التنور أو تصنيعه مالحًا، وفي عدن ودولة الكويت يسمى (شاغل)، وموسمه فصل الربيع.

سليلة مربوعة أبو منقار أنثى

فار: سليلة ذكر

السليلة موسمها فصل الشتاء، وتختلط أحيانًا مع الجدب في فصل الصيف، وتسمى في عدن فار، وتُعد من الصني، وهي نوعان: الأولى مربوعة، وأخرى مستديرة، السليلة الأولى طولها لا يزيد عن ٤٠ سم، ولها منقار حاد، والجسم مربوع لونه أزرق فاتح من أعلى، وعليه خط رقيق يمتد من عند الخيشوم المقابل للعين وينتهي قبل الذيل، والجزء العلوي من الذيل أصفر، وباقي الزعانف شفافة ضاربة للاصفرار، ويتميز الذكر بنقطتين على جانبي الجسم الأكثر طولاً.

سليلة مستديرة فار

السليلة الثانية مستديرة من الأسماك السطحية الموجودة في الخيص والموانئ، طولها لا يزيد عن ٤٥ سم، وجسمها بغير قشور كونها تتخلص منها، الظهر أزرق وعليه ثلاثة خطوط تمتد من الرأس، وتنتهي عند الزعنفة الظهرية، الجوانب مسهمة فضية، والبطن بيضاء، والفتحة الشرجة

قريبة من الذيل ذي الطرف الأسفل أطول من الطرف العلوي، والزعانف شفافة، ولها منقار أسفل الفم طرفه أحمر.

عائلة الشمام والقوب والعتان:

ويفضل نضجها بالفحم عبر التنور أو تصنيعها مالح، وكلها تُعد من الصيد

شمام البحر / مرواح

شمام العيقة /شماط/

الشمام من الأسماك العظمية الشوكية، وهي نوعان، وتسمى مرواح وشماط، وفي دول الخليج تسمى (سليباني)، وكلها في وسط لحمها عظام (أشواك) صغيرة محسوسة، وبعضها كبيرة متفرعة ومتنوعة، وأشكالها وذوقها متقاربة من بعضها، النوع الأول شمام البحر طولها لا يزيد عن ١٠٠ سم، وجسمها طويل الظهر مائل للزرقة، الجوانب والبطن فضية، ورأسها صغير، النوع الثاني شمام العيقة طولها لا يزيد عن ١٥٠ سم، وتتوافر في العيق، جسمها طويل، والجزء العلوي من الجسم رمادي داكن، والبطن فضية، والرأس كبير.

قوب / زنجبار / بازبد

قوب طوله لا يزيد عن ١٨٠ سم، وجسمه العلوي مائل للزرقة، الجوانب رصاصية، وبطنه فضية، ورأسه كبير، وأطراف الذيل طويلة، الزعنفة الصدرية تحت الغطاء الخيشومي باتجاه البطن، ولحمه يحتوي على شوك أقوى من شوك الصبو والعتان، ويفضل تصنيعها مالحًا، وموسمه فصل الربيع.

عتان

عتان

العتان نوعان: الأولى طولها لا يزيد عن ١٠٠ سم، وجسمها طويل ومسطح، الجوانب والبطن ذات لمعة فضية، وظهرها أزرق ضارب للأخضر، وعليها نقط مرتبة مقابلة للعين حتى قرب الذيل ذي الأطراف الطويلة، وفي وسط لحمها عظام (أشواك) دقيقة وصغيرة محسوسة، وبعضها كبيرة متفرعة ومتنوعة، والنوع الثاني: عتان طولها لا يزيد عن ٦٠ سم، وجسمها مدروج، والظهر أزرق، والجوانب والبطن رمادية وفاتحة، وذيلها قصير، ولها فم شبيه بفم العسية، وفي وسط لحمها عظام (أشواك) دقيقة وصغيرة محسوسة متفرعة، وموسمها فصل الصيف، ويفضل تصنيعها مالحًا.

الهوامش:

(١) ومن هذا المنطلق أناشد الإخوة في كلية البيئة والأحياء البحرية جامعة حضرموت، وهيئة المصايد بوزارة الثروة السمكية بمحافظة حضرموت، والجمعيات السمكية إلزام الصيادين والقائمين بالتسويق بالحفاظ على أسماء الأسماك؛ لأن عودة الأسماء الأصيلة الحضرمية لأسماكنا هي عودة الهوية الأصيلة للتراث البحري الذي تعرض للعبث والاستهزاء في كل شيء وليس في أسماء الأسماك فقط.

تعريف موجز عن رسالة الماجستير الموسومة بـ

سعيد عوض باوزير
أدبه ونقده

تناولت هذه الرسالة رائداً من روّاد النهضة الفكرية والثقافية والتاريخية والأدبية في حضرموت، هو سعيد عوض باوزير (١٩١٥- ١٩٧٨م)؛ إذ خُصصت لدراسة جزء من نشاطه ونتاجه، المتمثل في الجانب الأدبي والنقدي، وهو الجانب الغائب من نتاج هذه الشخصية، فأبرزته وسلطت عليه الضوء.

أنور سالم باكركر

وقد اتبع الباحث في بحثه المنهج التاريخي؛ من خلال تتبع نتاج سعيد عوض باوزير (الأدبي والنقدي)، وجمعه وتوثيقه وتصنيفه، ثم دراسة الإنتاج الأدبي (شعراً ونثراً)، دراسة موضوعية، وكذلك دراسة الإنتاج النقدي في ضوء (نقد النقد)، متخذاً في كل ذلك الإجراء التحليلي والوصفي لتلك المادة الأدبية والنقدية.

وتتكون الرسالة من فصلين يسبقهما تمهيد، وفي التمهيد تناول الباحث شخصية سعيد عوض باوزير، وفيه اتخذ الحديث عنها منحيين: الأول عن حياته، منذ ولادته (يوم الخميس ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٣هـ/ أبريل ١٩١٥م، حتى وفاته يوم الأربعاء ٢٣ ذي القعدة ١٣٩٨هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٩٧٨م)، والثاني عن نتاجه العلمي والثقافي والأدبي المتمثل في: (مؤلفاته، ومقالاته، وتقديماته، وشعره، وخطاباته وكلماته).

77
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

أما الفصل الأول: فكان بعنوان (إسهامات باوزير الأدبية)، ويبدأ بمدخل: عن علاقة باوزير بالأدب، ثم المبحث الأول: وكان الحديث فيه عن الشعر، وفيه تم التوثيق لشعر باوزير، ثم جرى ذكر القضايا الموضوعية في شعره، وهي: (أولاً: الشعر الغزلي، وثانيًا: الشعر الوطني، وثالثًا: الشعر القومي، ورابعًا: الشعر الاجتماعي)، ثم خلص المبحث إلى ذكر سمات شعر باوزير وخصائصه، والمتمثلة في: (الثورية، والمباشرة والسهولة، والتعبير عن الجماعة، وتفاوت درجة الإجادة، وتداخل القضايا والموضوعات، والتجديد في الأغراض التقليدية، وطغيان النزعة التقليدية في التجربة الغزلية، والتوسط بين الشعري والتاريخي).

أما المبحث الثاني: فكان عن السيرة الذاتية، وفيه حلل الباحث سيرة باوزير الذاتية (حياة جديدة)، وكان التحليل على ثلاثة مطالب، المطلب الأول: عن تقنيات فن كتابة السيرة الذاتية، وهي: (الميثاق السيرذاتي، والسارد، واللغة، والزمن، والمكان، والشخصيات). ثم المطلب الثاني: وفيه جرى الحديث عن نسبية الصدق الخالص والحقيقة الكاملة في سيرة باوزير الذاتية. ثم المطلب الثالث: وهو أبعاد تلك السيرة، المتمثلة في (البُعد الإصلاحي، والبُعد التاريخي، وبُعد الدفاع عن النفس، وبُعد الحرية).

أما المبحث الثالث: فكان عن القصة القصيرة، وفيه جرى الحديث عن القصة القصيرة في حضرموت، وكذا عن اهتمامات باوزير بالقصة، ثم تحليل قصتيه (عندي أوامر)، و(الميزر/ البدوي الأرعن).

وأما المبحث الرابع: عرض فيه عرضًا وافيًا لنشاط باوزير المسرحي، ثم تحليل مسرحيتيه (الأمل الضائع)، وهي مخطوطة، و(الأشعث بن قيس) وهي مسحوبة على الإستنسل.

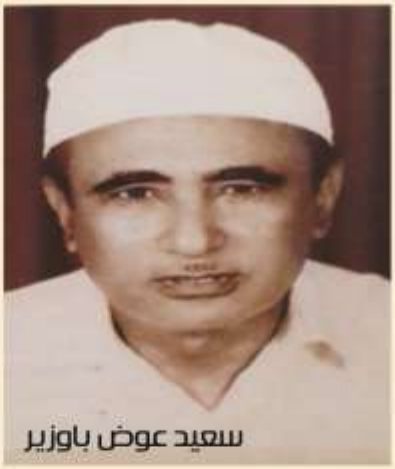
سعيد عوض باوزير

أما الفصل الثاني: فكان بعنوان (إسهامات باوزير النقدية)، وتم البدء فيه بمدخل عن مراحل النقد الأدبي، ثم المبحث الأول: وكان عن النقد التقليدي، وفيه (أولاً: النقد اللغوي، وثانيًا: النقد الموضوعي، وثالثًا: النقد الانطباعي، ورابعًا: السرقات الأدبية).

أما المبحث الثاني: فكان عن نقد باوزير للواقع الأدبي المعاصر له في حضرموت.

وأما المبحث الثالث: فكان عن آراء نقدية في بعض القضايا الأدبية، وجرى الحديث فيه عن ست قضايا، وهي: الأدب والأديب عند باوزير، ووظيفة الأدب، ونقد مقولة (أعذب الشعر أكذبه)، والشعر الجاهلي (الأولية والريادة - الثبوت)، وموقف باوزير من (شعر التفعيلة)، والموقف من قصيدة (غسقية الألوان) للشاعر عبدالله باسودان.

ثم الخاتمة وفيها ذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع.

والرسالة بحجم (٣٤٢ صفحة).

أعدّ هذا البحث الطالب/ أنور سالم علي باكركر، تحت إشراف د. عبدالقادر علي باعيسى، ونوقشت بجامعة حضرموت، بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠١٩م. بمناقشة د. طه حسين الحضرمي، ود. مسعد أحمد مسرور.

78
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

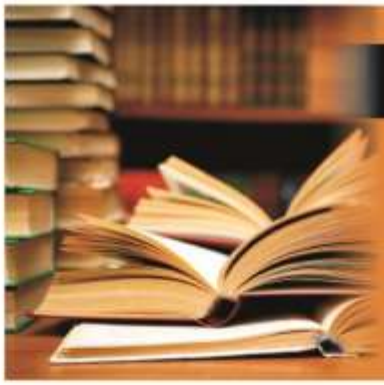

التجريد في دائرة الضوء

قراءة في التجربة النقدية عند د. عبدالله حسين البار

أ.د. عبدالله حسين البار

فاتحة المتن:

من آليات النقد الإجرائية التي علّمتناها مناهج النقد ما بعد اللسانيات الوقوف على بنية العنوان في النص وقراءة خطابه وتشريح مكوناته اللغوية لجلاء دلالته واستكناه محتواه.

وليس من ضيرٍ، ونحن في مقام النقد ونقده، أن نعرض للعنوان المتدليّ كالثريّا من أعلى صفحات هذه القراءة في نقد النقد، وأعني به التجريد في دائرة الضوء.

وهو تركيب اسمي يتكون من شقين، أولهما دال (التجريد)، وهو في موقع الابتداء، وله معناه الاصطلاحي في تراثنا البلاغي؛ إذ يقصد به اشتقاق آخر من الذات لتخاطبه أو تتحدث عنه بوصفه ذاتًا مستقلة عن (أنا) المتكلم، مما يتيح مجالاً للتأمّل والتعبير عن المكنون غير المضنون به على أهله دون تنفّج وادعاء. وهو ما ستسعى هذه القراءة إلى جلائه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وثانيهما جملة ظرفية بلغة ابن هشام في (المغني)، أو بمنظور د/ مهدي المخزومي في سعيه لتجديد مكونات النحو العربي وإعادة تشكيلها. وهي هنا في مقام الخبرية للمبتدأ.

وهذا تركيب شاع استخدامه في لغة الإعلام المكتوب والمسموع والمرئيّ، ولم يجد صنّاع الأدب ومنتجوه ضيرًا في اقتراضه من عالم الإعلام بصوره جميعها، وتوظيفه في سياقات الأدب ونقده. وهنا يبدو المقصود من ذلك التركيب يتضح معنًى، ويبين دلالةً.

فالكاتب والمكتوب عنه، المتحدِّث والمتحدَّث عنه ذاتٌ واحدةٌ، غدت في سياق الكتابة والحديث ذاتين متراسلتين متباعدتين، مؤتلفتين مختلفتين، ومن هذا وذاك ينشأ التكامل، ويتمّ الانسجام.

والمكتوب عنه -هنا- معرفةٌ أو لعلّه كذلك. أمّا الكاتب فنكرةٌ، ومن عجبٍ أن تتولى (النكرة) جلاء صورة (المعرفة) والإخبار عنها، لكنّ واقع العلاقة بين الذاتين أمكن من ذلك الجمع بين المتناقضات، ويسرّ الائتلاف بين الأضداد، وقبل هذا وبعده كان لبنية (التجريد) كما جلاها شعراء العربية في أشعارهم من الجاهلية حتى عصورٍ متأخرة في تاريخ الإبداع الشعريّ عند العرب، وكما رصدها من بعد علماء البلاغة العربيّة، فضلُ الإمكان من تسهيل الجمع بين الذوات ورفع الحجب المانعة من الاتصال بينها.

فما الذي تكنّه الذاتُ الكاتبة من وقائع في تجربة الكتابة النقديّة عند الذات المكتوب عنها ههنا؟ وكيف ستجلوه منفصلاً وغير مختلط؟

وهذا ما سندركه حين نقلب الصفحة لنقع على المكتوب، وهو المتن الذي يلي بنية العنوان.

المتن:

يدرك أهل البصائر أنّ المصائر لا يعيها الإنسان من منشأ وقائعها وبدء حدوثها، ولكنها تتنامى مع حركة الحدث حتى تتضح الغاية ويبين المنشود.

تلك جبرية لا تنكر لكنها لا تخلو من اختيار، يجلوها عرض ما حدث من وقائع، وما تجلّى من أفكار.

لم تكن الكتابة (إنشاءً ووصفًا) هدفًا يقصده د. البار حين أولع بالقراءة وتعلق بالكتاب.

كانت القراءة مقصودة في ذاتها، ووجد فيها لذاذةً وإمتاعًا يؤنسه حين يعز الأنيس، ويستظلّ في فيئها كلّما ازداد قيظُ الحياة اشتعالاً، وكلّما ازداد لصوقًا بالكتاب زاد نأيه عن لهو الصِّبا وعبثه حتى إنه لينسى وقائع صباه كلّها ولا يذكر من أيامه إلا الساعات التي قضاها حاملاً كتابه كائنًا ما كان اتجاهه ومضمونه ومحتواه. لكنه كان -ولم يزل- يجد في الشعر مبتغاه، ويخفّ إليه كلّما عثر على شيء منه منشورًا في كتاب أو جريدة أو مجلة.

كانت القراءة عامة وقراءة الشعر خاصة تنسج له عوالم من التخييل يهيم بها، بل وتملأ وجدانه بوقائع لا يستطيع الواقع المعيش صنعَ أمثالها، أو هكذا خيّل له يومذاك.

اقتصرت ذائقته للشعر على بعده الإيقاعي فازدهاه الترنُّم بها، ثم صار يعي شيئًا من خصائصه التركيبية والتخييلية، وتعلق بالموازنة بين قول الشاعر في هذا المعنى أو ذاك وقول آخر من أمثاله فيهما، لكنه لم يكن يدرك أن هذا وذاك ذو صلة بما سيعرف أنه (النقد). فلقد غابت اللفظة/ المصطلح عن وعيه، ولم يكن منشغلاً بها، وتركز همه على إبداع القصيدة؛ فقد بدأ يحكم صياغة الأوزان ويميّز مكوناته، وأخذت تجيش في نفسه مشاعر وأحاسيس سعى لأن يخرجها في هيئة تخييلية كالتي يقرؤها في دواوين الشعراء، وكان حسبه أن يعدّ شاعرًا مذكورًا في تاريخ الحركة الشعرية في هذه البلاد ولا غير. أما أن يصير إلى شيء سواه فأمرٌ لم يجر في حسبانه قطّ.

وهذا لأنّ المصائر كما يقول أهل البصائر لا يدركها إلا العليُّ الكبير.

في أواخر سنوات السبعينيّات من عقود القرن العشرين التحق بالجامعة. كان ذلك حدثًا فاصلاً بين عهدين في حياته: عهدٍ كان الخيالُ سلطانَه، يدير الأمور ويصرفها على ما يحب ويشتهي.

وعهدٍ غدا الواقع مهيمنًا على مواقفه ورؤاه، بكلّ جحيمه الذي قد يستحيل نعيماً، ونعيمه الذي يصير جحيماً.

بيد أنّه أدرك أن ما هيّأه له الواقعُ المعيشُ هو الأصل، وسواه فرعٌ له أو عنه مثلما تشاءون.

وجد أن الحبيبة التي يلقاها على الأرض في قاعة الدرس أو ساحة الكلية أسمى أثرًا وأمتع وقعًا من تلك التي ينسجها خياله من قصائد الشعراء ودواوينهم.

وجد أن الحنين إلى الأم والأخ والأخت أشدّ لذعًا في النفس من حنين يتوهمه ويفترض وجوده.

وجد أن تجدّد المرائي وتنوّعها لتغيرّ المكان واختلاف هُويّته يمنح الخيالَ انفساحًا ويزيد من دهشته كلما ازداد له اكتشافًا.

وأمورٌ أخرى مثل تلك كانت تفد إليه تباعًا، وتغزو تفكيره بغوامضها التي لم يجد سبيلاً لفكّها إلا بمزيد من القراءة في كتب النقد والدراسات الأدبية، ومن هنا بدأ النقد يظهر وأخذ يشقّ طريقه إلى وجدانه، مما أتاح للقلق أن يهتدي إلى نفسه وعقله، ولا سبيل للخلاص منه إلا بمزيد من الإيغال في الدراسات النقدية من كلّ اتجاه فلا فرق في حسبانه يوم ذاك بين اتجاه واتجاه ما دامت تلك تبصرّه بحقيقة الإبداع وتحدّد له هويته المنشودة. واختلط أعلام النقاد في القرن العشرين في وجدانه، كان العقاد يحاور حسين مروة، وميخائيل نعيمة يدنو من لويس عوض، ومحمد مندور على مقربة من غالي شكري ورجاء النقاش، وتربّع مارون عبّود إلى جوار محمد عبدالقادر بامطرف وحسن عزعزي (أوسان) وفيصل الصوفي وعبدالله سلاّم

ناجي وغيرهم من كتاب مجلة (الحكمة) وآخرين من أمثالهم يكتبون في مجلة (الثقافة الجديدة) وبعض الصحف السيارة يومذاك كـ(الثوري) و(١٤ أكتوبر) و(الشرارة).

وبدأ عقل الناقد ينافس قلب الشاعر فيه حتى استطاع أن يباعد بينه وبين الشعر، وأن فرحه بكتابة مقالة عن ديوان يفوق ابتهاجه بكتابة قصيدة.

لكن، لا بد للنقد من مجال، ولا بد في المجال من متعينّ يوضع في دائرة النقد، فآثر نقد الشعر مجالاً، وارتضى بالقصيدة متعيّنًا يصبّ عليه ما يستطيع من نقد أمكنت منه ثقافته التي حصّلها في ذلك الوقت. وبدأ التجريب. نشر الأستاذ علي عمر الصيعري قصيدة في صحيفة (الشرارة) قرأها صاحبنا ووجد فيها مغامز، فكتب عن ثلاثة منها وصاغها في مقال نشرته (الشرارة) نفسها. وأخرج الأستاذ الشاعر عمر محفوظ باني قصيدة يعارض بها قصيدتين للشاعرين عمر حسين البار وعنوانها (أشلاء الفارس القديم) وسعيد محمد دحي وعنوانها (طلائع الفارس المنتصر)، فوجد فيها ما يحرّك قلمه ليكتب عنها منتقداً، ويجد المقال سبيله لينشر في مجلة (آفاق) التي ظهرت في ثمانينيّات القرن الماضي، وكان ظهورها مواكبًا لصعوده الأدبيّ في مجال النقد والدراسات الأدبية. وفي (الشرارة) قرأ قصيدة للشاعر نجيب سعيد باوزير فنقدها، وفي (آفاق) وجد قصيدة للشاعر والمؤرخ الكبير الأستاذ علي عقيل بن يحيى في رثاء الشاعر حسن بن عبدالرحمن بن عبيدالله فلم يتوانَ عن نقدها، ونشرت (آفاق) للشاعر عبدالعزيز الصيغ قصيدة (الدرب) فكتب عنها صفحات تنتقدها تجربةً وصياغةً، منطلقًا في كلّ ذلك من أنّ النقد بحثٌ عن مظان الضعف ومكامن السوء، أما صور الإجادة والإحسان فحسبها القول المجمل والحكم العام.

وأيًّا كان الموقف من ذلك النقد وما اتسم به من حدة وقسوة فإنّ باعثها كان الحرص على السموّ بالإبداع وليس شيئًا آخر سواه؛ فإنّ له في تاريخ الفكر النقديّ مشابهَ تمتد منذ المرزباني في كتابه (الموشح) لتصل إلى العقاد والمازني في كتابهما (الديوان). ولا أظنّ القراء قد غفلوا عن كتاب (على السفود) وما اشتمل عليه من نقد لاذعٍ ومؤلمٍ لشدة قسوته التي تطلّ على القارئ من صفحة العنوان.

حين توالت مقالاته في النقد على ذلك المنحى الذي يهتم بالمآخذ دون سواها قرّ في أذهان من قرأوها أن صاحبها فظٌّ غليظُ القلب فانفضّ كثيرٌ من حوله. وعاب عليه آخرون إيغاله في نقد المفردات والتراكيب دون تبصرٍ بالمضامين التي تحتويها القصيدة، ورأوا في ذلك صورةً مكرورةً من النقد البلاغيّ الذي عرفه العرب في قديم الزمان وتجاوزه العصر الحديث. وغمزه فريق ثالث بالنأي عن ربط الظاهرة الإبداعية بالمكونات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومواقف الشعراء منها، وتصنيفهم حسب انتماءاتهم تلك لا حسب هوياتهم الإبداعية.

وهنا وجبت الوقفة للبحث عن منظور للنقد يجب الانطلاق منه، فقادته المصادفة لـ(زمن الشعر) وهو كتاب

أدونيس الأول في مجال النقـــــد. وكان الكتاب خصبًا في أفكاره، ثريًّا في منظوره للشعر وقضاياه، جديدًا في جلاء صورته وتحديد تعريفه، وأحسبـــه ما يزال كذلك لكلّ من أراد وعيًا عميقًا بالشعر ونقده أو ألقى السمع وهو شهيد. لقد وجد فيه صاحبنا بغيته فأوغل في البحث عن مؤلفات أدونيس الأخرى، من مثل: (مقـــدمة للشعر العربي)، و(الثابت والمتحول) بـــأجزائه المتعددة، و(فاتحة لنهايات القرن)... إلى آخر ذلك مما أطلعه عقد الثمانينيّات من كتب أدونيس. ولم تكن كتابات إحسان عباس عن (فن الشعر)، و(اتجاهات الشعر المعاصر) وما أشبهها ببعيدة عنه، وصار وعيه بوجوب قراءة نقاد، مثل: علي الراعي، ومحمد غنيمي هلال، ومحمود الربـــيعي، وعز الدين إسماعيل، وسهير القلماوي، وجلال العشري، وشكري عياد، وسيد حامد النساج، وخالدة سعيد، ويمنى العيد، وزكي نجيب محمود، وآخرين من أمثالهم أوثق وأعمق وأبعد غورًا. وبدأ يقرّ في وجدانه أن النقد عملية ذهنية فكرية إبداعية لا تقل شأنًا عن ممارسة الإبداع الفني إنشاءً، ومزاولة الكتابة في قضايا الفكر على كلّ صوره السياسية والاجتماعية والفلسفية.

هنا كان لا بدّ لصاحبنا من مراجعة ذاته ليقف على منطلقات ينطلق منها في نقده، ومرتكزات يقيم عليها بناءه. فكانت له من ذلك جملة من الرؤى النقديّة كان يراها صالحة في حدود ما أمكنته ثقافته من ذلك.

منها مثلاً أن النص هو صاحـــب الولاية في عالم النقـــد والأدب، وليس لحياة الشاعر وتكوينه النفسي والاجتماعي كبير أثر في فهمه والوعي به وإدراك مقاصده.

ومنها أن قيمة النص في قدرته على تجاوز الموجود وتخطيه إلى المنشود.

وصح له أن وقوف الشاعر بالقصيدة عند حدود ما هو كائن يقصرّ بها عن الصعود إلى منازل ما ينبغي أن يكون. وقام تقييمه للشعراء على وحي من ذلك المنظور.

ومنها أن إجادة بناء الشعر وإحكام نسجه هما من أسباب رقيّ القصيدة وسموّ منزلتها، فاهتمّ بالنظر في الصياغة غير مبتعد عن أبعادها الموضوعية والمضمونية قدر المستطاع.

وأشياء أخرى قد يقع عليها من تتهيأ له فرصة قراءة ما كتب صاحبنا في سنيّ عقد الثمانينيّات من القرن العشرين.

في ضوء ذلك الوعي النقـــدي كتب دراستين اعتزّ بهما كثيرًا، واحدة عن (المظاهر الرومنسية في شعر صالح بن علي الحامد)، ألقاها محاضرة في اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فرع المكلا، جلىّ فيها صور الرومنسية في شعر الحامد، وقد نسبه بعض النقاد إلى (الكلاسيكية)، وأثبت بالدليل ريادة الحامد لهذا التيار الرومنسي في الشعر اليمني قاطبة؛ إذ سبق شعراء كُثُرًا إليها، وقد كان بعض النقاد ينسبون ذلك الدور للشاعر لطفي أمان، ولم يكن الرائد فيه.

ومن عجب أنه لقي عنتًا في إذاعة المقالة ونشرها يومئذ، ولم يتأتّ له مشتهاه إلا بعد لأيٍ لبواعث لا يهم ذكرها في هذا

المقام، ثمّ فاجأه احتفاء العائدين من حضور فعاليات أحد مؤتمرات الاتحاد، يحملون دراسة عن (الحامد رائد الشعر الحديث) للأستاذ عبدالله محمد الحبشي، محتفين بها ومشيدين بما أنجزه فيها، ولم يذكروا أن صاحبنا كان أول من نفض الغبار عن شعر الحامد، وذكّر به بعد أن غاب عن أذهان الناس ردحًا من الزمن، ولكن رعى الله صاحب المثل الحضرمي عن (الشاة) التي تفرح (بالتيس الغريب).

أما دراسته الثانية فكانت عن (الغموض في الشعر الحديث حسنةٌ أم سيئةٌ)، ولقد قصد منها الكشف عن ثلاثة أنماط من الشعر متخالفة الأنماط، نمط سهل وواضح مباشر في عرض تجربته وجلاء مواقفه ورؤاه، وهو يرفضه. ونمط مستغلق لا تستطيع إدراك مغازيه ومراميه فيعزّ عليك النفاذ إليه لتعقيد تراكيبه بل اضطرابها، وهذا مثل ذلك يرفضه ويأبى على الشعراء الوقوع فيه، ونمط ثالث غامض يتطلب التفاعل معه والانفعال به قدرًا من الوعي ومن الثقافة ومن الدربة بقراءة الشعر ونقده، وهذا في السمت الأعلى في عالم الشعر والتخييل. وخلص إلى أن الغموض في القصيدة نابع من طرائق بنائها وآليات تشكيلها، ولم يصطنعه الافتعال. وإن القصيدة الغامضة ليست نتاج الحداثة ولكنها موجودة في تاريخ الشعر العربي منذ امرئ القيس وزهير مرورًا بأبي نواس وأبي تمام ومن شابههم من الشعراء المبدعين.

هنا بدأت سنوات عقد الثمانينيات في الانقضاء، ومعها انطوت صفحة من تجربة الكتابة عند د. عبدالله حسين البار، لتبدأ صفحة جديدة في سنوات عقد التسعينيّات امتازت عن سابقتها بعمق الوعي بالنقد ومناهجه وآلياته الإجرائية، وبغاياته ومقاصده ومداخله، وتوثقت عمقًا نظراته النقدية وآراؤه في الشعر والشعراء، وما تماسَّ معه من أجناس الأدب الأخرى كالقصة والرواية المسرحية ونقد النقد.

أقبل عقد التسعينيّات من القرن العشرين برؤى نقدية غير التي عرفتها الساحة الثقافية في ما سلف من عقوده الأولى، وبمناهج مغايرة في منظومتها المعرفية عن التي كان النقاد يتوسلون بها لقراءة الأدب شعره ونثره، بل ودخل التعديل بعض المناهج النقدية ما قبل اللسانيات، كالمنهج الماركسي، والمنهج النفسي.. وما إلى ذلك.

ولعل الجوهري في تمايز مناهج النقد ما قبل اللسانيات من مناهج ما بعد اللسانيات هو الاختلاف في طبيعة النقد وآلياته الإجرائية.

كان النقد محصورًا في فعلي أمر محدّدين، هما: (صَنِّفْ واحْكُمْ)، ولذلك كانت (المعيارية) خاصيته، وتبارى النقاد في التصنيف والتقييم ولم يتراجع التقويم حتى وإن كان (المنقود) عبقريًا في إبداعه مثل توفيق الحكيم. [راجع مقالة حسين مروة عن مسرحية (الطعام لكلّ فم) للحكيم لترى كيف تستأسد الإيدولوجيا في تقويم المبدعين، وتقسرهم على الأخذ بمنطلقاتها السياسية والاجتماعية دون اعتبار لرؤى الأديب للحياة ومواقفه منها].

وهذه المعيارية سمة المنهج النفسي كذلك، وتقييمُ الأدباء في ضوئه مسألةٌ مطلوبةٌ، ومن هنا بدا (المازني) عند جورج طرابيشي أوديبيًا، وليس ببعيدٍ عنه (الحكيم). وتستحيل إيديولوجيا الرجولة عند (حنا مينا) إلى عقدة تثوي في أعماق الأديب كما يحلّلها طرابيشي نفسه في كتابٍ من كتبه.

واستخدام المنهج على ذلك النحو وبتلك الصورة من التطبيق يجعل الناقد ومنهجه شبيهًا بما قالوه عن (بروكست وسريره)؛ فلقد ذكروا أنّ لبروكست هذا فندقًا في وسط الطريق الذي يمر به الراحلون من مدينة إلى مدينة، ولا بدّ لهم من الاستراحة في فندقه ليستأنفوا رحلتهم إلى وجهتهم، وليس هذا بغريبٍ وإنما الغرابة تتجلى حين يلج المسافر إلى غرفة الفندق ففيها سرير بمقياسٍ محدّد، وشرط بروكست أنّ من يرقد فيه ينبغي أن يسقط داخله ولا يزيد عنه طولاً ولا قصرًا، وهنا المعضلة، فالناس إما طويل كالخشب أو قصير كالذهب كما يقولون في الأمثال، أما في قانون بروكست الظالم الطاغية فلا طولٌ ولا قصرٌ وإنما اعتدال على قدّ السرير ولا غير. ومن طال قليلاً قُصَّ ما طال منه بمنشار، ومن قصر قليلاً مُطَّ ما قصر منه بآلة تمكنه من الاستواء على قدّ السرير.

جميع المناهج ما قبل اللسانيات كانت صورة مناظرة لأسطورة بروكست وسريره، ولم يخلُ النقاد السائرون على هدى تلك المناهج من جور وجبروت استسلم له المبدعون، ولم ينجُ من تلك السمة نقاد ما قبل اللسانيات إلا من رحم ربي وقليلٌ ما هم، ومن أولئك القليل بعض المتأثرين بمنهج النقد الجديد في أمريكا كالدكتور إحسان عباس، ولطيفة الزيات، وجبرا إبراهيم جبرا، ومحمود الربيعي، أو بعض من أدركوا أن منهجًا كالمنهج الماركسي يجدي نفعًا في تفسير نشوء الظواهر الإبداعية، وتحليل حركتها الاجتماعية، وتعليل مظاهر فنائها من بعد، وهو أدخل ما يكون في ما عرف من بعد باجتماعية الأدب، وهو ما وجد أمثلة له في كتب الدكتور غالي شكري، مثل (الماركسية والأدب، شعرنا الحديث إلى أين؟ سوسيولوجيا النقد العربي الحديث.... إلخ).

هذه النظرة الفاحصة الناقدة ما كان يمكن لصاحبنا الإحاطة بها على نحوٍ من ذلك العرض اليسير فيما سلف من سطور، وإلا فهي أوسع مدى وأعمق غورًا، لولا ما ألمَّ به من مناهج النقد الأدبي ما بعد اللسانيات.

وهنا أضحى النقد قراءة، فنأى عن التصنيف والحكم وعن التقييم والتقويم، وغدا وصفًا للموجود في النص بعد تشريحه وإعادة تركيبه، وصارت للنص مكانة تفوق ما كانت لمنتجه ومؤلفه في النقد القديم، فتوارى المؤلّف بعيدًا عن الوعي، حتى لا أقول بموته كما قال بارت من قبل، فتوثقت العلاقة بين ذهن المتلقي وجسد النص الذي كونته لغة منبثقة من (اللسان) فتميزت بخصائص أسلوبية وطرائق بنائية وبتشكيل علاميّ مخصوص، فانماز نصٌّ من نصٍّ.

وإذا كان الأدباء جميعهم ينهلون من معطيات (اللسان) ومكوناته وعلومه وما به يصنعون نصوصهم فإنّهم يتخالفون ويتغايرون، لا لاختلاف أمزجتهم وأهوائهم وتركيباتهم الذهنية والنفسية ولكن لاختلاف طرائقهم في تشكيل العالم باللغة، ولاختلاف نصوصهم فيما بينها في ذلك التشكيل. يستوي في ذلك أن يكون الأدب شعره ونثره موغلاً في القدامة أو مستغرقًا في الحداثة. فقصيدة (في بيتها العامر) تختلف في طرائق بنائها عن قصيدة (لص تحت الأمطار)، وعن قصيدة (سندباد يمني في مقعد التحقيق)، على الرغم من انتظام النصوص الثلاثة في بناء سردي. لكن طرق البناء تتغاير لتغاير العناصر المشكلة لبنية النص وما ينشأ عن ذلك من علاقات بينها، وطرائق تكوينها اللغويّ وأشكال التعبير فيها متخالفة فيتميز كلّ نصّ منها بخصائص في الأسلوب ولا تُدني نصًّا من نصّ، ولا تطبعها بطابع واحد. ومن هنا غدا مفهوم الشعرية متحركًا يحكمه واقع النص ولا يلزمه منطوق الحكم.

اندهش صاحبنا كثيرًا حين أدرك قدرات هذه المناهج (اللسانية) في تحليل لغة النص وجلاء شعريته، ولأن لها بعد نفورٍ؛ إذ وجد من أحسن عرضها وأجاد تطبيقها فتكشف غامضها، بانت له أبعادها فمخر عبابها غير هيّاب، واستخدم منها ما استخدم لتحليل ما تخير من نص أدبي قديم أو حديث.

ولقد بان له أن في الإمكان الانفراد بمنهج واحد من هذه المناهج دون خلطه بسواه منها، كما أن بالإمكان الجمع بين آلياتها الإجرائية في سربال منهج واحد، منها ما تطلّب النصّ ذلك واستدعته مكوناته اللغوية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا الصنيع يحتكم إلى شخصية الناقد وثقافته وخبرته العميقة بأسرار النصوص وخباياها الإبداعية.

وظاهرٌ معلومٌ ما أنجزه صاحبنا في هذا المجال، لكنّ الخافي المجهول هو كيفية الإنجاز ومداه.

فهو تارةً يعمد إلى منهج بعينه يعيد به قراءة النص قديمه وحديثه مثلما فعل في قراءته للمعلقات العشر في ضوء منهج (التأويل التكاملي) للنص، وهو منهجٌ يقوم على أساسٍ من التفاعل بين النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، وهي بالتحديد هنا معطياتٌ من علوم النفس والاجتماع واللسان. وقد وضع له تنظيرًا متكاملاً الكاتب الفرنسيّ (جان لوي كابانس)، وأفاض في تطبيقه محكمًا ومجيدًا الدكتور فهد عكام. فقرأ صاحبنا القصائد العشر في ضوء ذلك المنهج، وخلص إلى نتائج لعله لم يكن مسبوقًا إليها، وذلك بفضل ما أمكنه المنهج منه وأوصله إليها.

ثم حلا له استخدام المنهج الأسلوبي في قراءة شعر امرئ القيس بن حجر الكندي، وظفر بما لعله خصائص مفردة لشعر شاعر سبق شعراء العربية إلى أشياء ابتدعها وسار العرب عليها من بعده.

وكانت الدراستان سبيله إلى التأمل في ظواهر الشعر ومكوناته، وإعادة القول فيها في ضوء ما استجدّ من مناهج، فكان كتابه عن (الصورة الفنية في القصيدة الجاهلية) منهجًا وتطبيقيًّا في آن، فامتد به إلى معطيات علم البيان كما ورثناه من علوم البلاغة عند الأقدمين من

السكاكي إلى صاحب التلخيص، ووقف به عند شعراء العصر؛ ليجلو طرائقهم في الرسم بالكلمات، فصحّ له التحليل، واستقام النقد.

لكنّه في غمرة انشغاله بالاطلاع على مناهج النقد ما بعد اللسانيات وتطبيقها على النصوص المتخيرة اكتشف أنّ المنهج الواحد وإن استفرغ طاقته وجهده في تحليل النص لا يقوى على الكشف عن أسراره وخباياه؛ إذ تتبقى مظانٌّ منه لا يستطيع هذا المنهج وحيداً منفرداً الوصول إلى أغوارها وجلاء أبعادها مما اقتضى الاستفادة من الآليات الإجرائية لمناهج أخرى تضاف إلى منهجه المعتمد والمتكأ عليه في تحليل النص. هكذا قدر له أن يجمع خطوط الدلالة إلى تجليات المتكلم في النص، وأبعاد الموضوع إلى التناص، وقراءة العنوان إلى مكونات الصياغة عند تحليله نصوصًا من قديم الشعر وجديده، وله في هذا تجربتان ضمهما أخيراً في كتاب بعنوان (بوح البنفسج والعرار)، وهما بحثان في قراءة نصين: أحدهما حديث، والآخر قديم. أما النص الحديث فقد طبع من قبل منفرداً في كتيب مستقلٍّ بعنوان (في أسلوبية النص)، أما القديم فقد جاء بعض فصول كتابه الموسوم (دفاتر في تحليل النص). وقد رأى أن من كمال المنظور النقديّ لطبيعة المنهج المتداخل الأبعاد هنا أن يجمع بينهما في كتاب واحد فيكون لهما حظُّ العاشقين على فراشٍ واحد.

وهنا أودُّ الكشف عن هوية المشروع النقدي للدكتور البار وما أنجزه في حدود ذلك المشروع. فلقد ميّز في إنتاجه بين أكاديمي جليل وثقافي جميل، فتراوح منجزه النقديّ بين أبحاث يغلب عليها الطابع الأكاديمي وتتحكم فيها آليات البحث العلمي وإجراءاته، ومن ذلك مثلاً دراسته عن (البداوة والحضارة في شعر النابغة الذبياني)، ودراسته عن (الائتلاف والاختلاف في البنية الوزنية للقصيدة العربية من نسق القصيدة إلى نسق الموشح)، ولها بقية قيد الإنجاز. ودراسته عن (البنية الإيقاعية في القصيدة الحميمية)، ودراسته عن (شعر البار بين آراء الدارسين ومنطوق الكلام)،... إلى آخر ما هنالك. وبين قراءات في دواوين الشعراء وقصائدهم لتسهم في جلاء صورة الحركة الثقافية في المجتمع الحديث، ومن ذلك قراءاته المتعددة في شعر البردوني، وشعر الحامد، ومحمد عبده غانم، والزبيري، وجرادة، ولطفي أمان، والمقالح، وعمر البار، وخالد عبدالعزيز، وأحمد العواضي، ومحمد هيثم، وعبدالعزيز الصيغ وآخرين من أمثالهم، وقد جمع كلّ ذلك في كتاب يزمع نشره بعنوان (وجوه شعرية في مرايا النقد).

أما كتابه (بعيداً عن الشعر.. قريباً من النثر) فغيري وغيره جديرٌ بالكلام عنه، والإشارة إلى محتواه بعد أن توفر على قراءته جزءاً فجزءاً، ولعلي في حلٍّ إذا خصصت في هذا المقام اسم الدكتور عبده عبدالله بن بدر بالذكر؛ فقد قرأ صاحبنا كأعمق ما يمكن أن يقرأ ناقدٌ ومنهجه، فإنه جهينةُ المقام كما يقولون.

لكنني أشير هنا إلى ما كتبه عن شعر الغناء الحضرميّ من خلال أعلامه كالمحضار، وحداد، ومستور، والمفلحي، والكاف، والكالف، يعدّ صورة من هذا المنجز الثقافي النائي عن قيود الأكاديمية وسطوتها القوية.

وختامًا أجمل ما عسى أن يكون ملخصًا للآليات الإجرائية والمداخل النقدية في الكتابة عند الدكتور البار.

ففي حدود المنهج ما يزال للمنهج الأسلوبي هيمنته على تفكيره وتحريك نشاطه الذهني عند قراءة النص الشعري

دون سواه، أما حين يعمد إلى قراءة قصة أو رواية أو مسرحية فإن مكونات تقنيات السرد في المنهج البنيوي تكون أظهرَ حضوراً وأكثرَ عوناً في جلاء شعرية النص.

لكن ذلك لم يكن بمانعه من:

١ - السعي إلى إعادة النظر في مقولاتٍ وأحكامٍ أطلقها نقاد ما قبل اللسانيات الحديثة وفق منظوراتهم النقديّة حينذاك وتفاعلوا معها، فنقض مقولة الأغراض في الشعر القديم حين نظر إلى بناء القصيدة وتحديد بنيتها، ورفض الحكم على شعر البردوني بأنه كلاسيكي جديد من خلال تحرير المصطلح من الدقة وعدمها، ووصف طرائق الشاعر في تشكيل لغة نصّه، ولم يقبل بكثير من أحكام الدارسين العرب لطبيعة الصورة في القصيدة الجاهلية فحرر ذلك وأمثاله في كتابه المذكور سلفًا.

٢ - استخدام بعض الآليات الإجرائية التي جرى شيوعها في نقد ما يسمى بما بعد نقد الحداثة، كالتناص، ودراسة العنوان، وما إلى ذلك ليمنح المنهج الأسلوبي سعة في التحليل وليونةً لا تستسلم لتصلّب شرايين المنهج حيث نقف به عند حدوده الإجرائية.

٣- النظر إلى العمل الأدبي، كالنظر إلى الكلمة الواحدة يصيبه ما يصيبها حين تتغير علاقة الترتيب بين عناصرها المكونة فتتبدل دلالتها وتصير إلى معنى غير الذي كان لها من قبل، وكذلك النص. وفي هذا ما يأذن له في نموٍّ عضويٍّ وتماسك ووحدة وانسجام، وهو ما يسمح من بعد للناقد من تأمل عناصره، واستكناه أعماقه وفك غوامضه وجلاء مغازيه.

٤ - الحرص على أن يكون المدخل إلى قراءة النص هو لغته، ومن أيّ زاوية أتيت تلك اللغة فأنت متوغل إلى أعماقه، وقابض على كل صنوف الحركة فيه بما لا يمكنه من التأبّي على قارئه ومتابعة بنيته الدلالية وبنائه البنيوي.

وقد غدا في سنيه الأخيرة ينظر إلى النص من خلال جدلية الظاهر والباطن، الداخل والخارج، البنية والحدث. فالنظر إلى النص على أنه بنية معزولة عن كل الظروف المحيطة به وبإنتاجه تغرّبه عن الواقع الاجتماعي والثقافي، وتظهره جزيرة معزولة في محيطٍ شاسعٍ وهو ليس كذلك. كما أن النظر إليه على أنه نتاج تلك الظروف يغرّبه عن ذاته فلا يتمكن من البوح بما ينبغي له أن يبوح به، ولا يخلو الأمر من ظلمٍ لجهد المبدع في إحكام صناعة النص وتجويده. ومن هنا صار النصّ بين يديه نتاجَ هذا التداخل بين المتضادين، لكنه نتاجٌ خصبٌ؛ لأنه أمكنه من الجمع بين التجريد والتعيين، ووضع النصّ في موضع المنشود الذي يعي ما ينبغي أن يكون لا موضع الموجود الذي هو كائن كما قدر له أن يكون.

وختامًا أنقل لكم إجابة الدكتور عن أعلام من النقاد الذين تركوا آثارًا على رؤيته النقدية فقال:

هناك من نهلتُ من علومهم، وترسمتُ خطاهم في العملية النقدية بصورة واضحة ومباشرة، وهم ثلاثة بالتحديد: أولهم د. كامل سعفان، وثانيهم د. فهد عكام، وثالثهم د. محمد عبدالمطلب. وهناك من نهلت من علمه ولم تسعف الأيام باللقاء به مواجهة، فكانت مؤلفاته خير معين يشرب منه الظمآن ما يرويه، وهم هؤلاء: د. محمد الهادي الطرابلسي، ود. حمادي صمود، ود. عبدالسلام المسدي. وقبل هؤلاء وبعدهم علماء العربية وما خلّفوه للمكتبة العربية من مؤلفات علوم النحو والبلاغة والقرآن الكريم:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا صديقي المجامعُ

خاتمة للمتن:

تلك معالم في تجربة الكتابة النقدية عند الدكتور عبدالله حسين البار، والحديث عنها هنا ليس بمانعٍ أحدًا من اكتشاف ما لم تحط به هذه القراءة وتشير إليه أو اكتشاف عكسه ونقيضه، ولعلها تبين عن وهن في مظان وتخليط في أخرى، فكلّ ذلك وارد في الحسبان، وليس فيه ما يضير، ولا فيه ما يثير قلقًا أو رهبةً من مجهول. فمن اليقين في نفسه أنه (ما من ناقدٍ إلا سيُبْلَى بأنقد) والأيام دولٌ، ولكلّ مجتهدٍ حظٌّ من النجاح وحظوظٌ من التقصير.

87
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

سرد الحب والاختراق في رواية

(النوافذ الصفراء) للقاص سالم بن سليم

قراءة وتحليل

أصدر القاص (سالم بن سليم) روايته الأولى (النوافذ الصفراء) في طبعتها الأولى، في عام ٢٠١٧م، وقد صدرت عن (مؤسسة فكرة للنشر والإعلام) في كتاب من الحجم المتوسط، في (١٥٣ صفحة) مضغوطة المتن، وقد يزيد عدد الصفحات إلى ضعف العدد، في الطبعة الثانية، التي أخطرني المؤلف بإصدارها، كون شكل الخط في الطبعة الأولى من حيث حجم الكلمة، أصغر من الحجم المألوف، مما أحدث بعض الاختزال لعدد الصفحات الإجمالية، تم تلافيه في الطبعة الثانية، التي لم نحصل عليها بعد.

د. بدر العرابي

وسالم بن سليم قاص من جيل الشباب، ولد في سيئون (حضرموت)، وقد بدأ ممارسة ملكته السردية، كقاص، وأصدر مجموعات قصصية سابقة، ولعل من خصائص أقاصيصه وسماتها اتباعه أسلوبًا سرديًا متخطيًا للسرد القصصي التقليدي؛ إذ يعتمد على المفارقة، مضمونًا سرديًا وبنية سردية، وينأى عن كتابة الواقع، بما فيه من أحداث، بحركتها الزمنية الخطية المباشرة، التي تبرز واقع حركة الأشخاص ونشاطهم الإنساني المألوف؛ إذ يحاول سالم بن سليم عرض النشاط الإنساني المرتبط بمفاهيم الحياة، فالمفهوم هو المستقطب السردي الذي يستفز الناص، من حيث انزياحه عن دلالاته في ثقافة الشخوص والنماذج الإنسانية، التي يؤطرها في المجتمع المتخيل السردي، كعينات واقعية، تبرز التناقضات وانسحاب دلالات منظومة القيم الإنسانية المرجعية، وتبدلها في ميدان الممارسة، فالأصل يتحول لفرع، والأعلى يذوى للأسفل، والعكس والكفاءات الإنسانية تنحسر وتلغى، ويصعد نقيضها المتورم بالفراغ، كالبالونة التي تشغل حيزًا، وليس بداخلها سوى الهواء.

ومن سمات مسرودات بن سليم القصصية أيضًا، اعتماده على الحدس الذاتي؛ إذ لا يقف مستهلكًا لما حوله، بل يتوغل إلى عمق الأحداث والأمكنة والأشخاص، ويعمد إلى تشغيل الحدس عن طريق التحليل والاستقراء المستديم للأحداث، والغوص عميقًا في المكان والأشخاص.

تنماز رواية (النوافذ الصفراء) بعنوانها الجاذب، الذي يقذف في الذهن أسئلة وإجابات غير متناهية بمجرد أن

تلمحه، تضاعفها صورة الغلاف التي تظهر بيتًا شاحبًا يتكون من أدوار (طوابق) صاعدة علوًا، يصعب تكهُّن عددها، وتبرز أشعة الشمس معانقة لجسد البيت وبشكل يضع الشمس والبيت الطيني في مستويين متقابلين، وتبرز أربع نوافذ: إحداها تبرز وحيدة في جانب من جوانب البيت العلوية المواجهة للبصر، وهي بارزة ونستطيع تفحص إطاراتها الأربعة ولونها، بينما تلوح من الجانب الآخر، غير المواجه للبصر، والممتد بامتداد الزقاق، ثلاث نوافذ، غير بارزة بوضوح، كما يبرز الزقاق صورة امرأة تحمل على رأسها كتلة غير واضحة المعالم، ولا نستطيع تمييزها بين إناء كبير يحوي ما يحويه، أو صرة من ثياب ملفوفة في خرقة حاوية، وصورة المرأة مستدبرة لبصر المتفحص للغلاف، بينما يواجهها صورة رجل من الطرف الأمامي لها، ويبدوان يحثان الخطى في الزقاق الممتد باتجاهين متعاكسين. وكل هذه المدخلات والملامح (البناية، البيت ونوافذه وطوابقه السفلية والعلوية، والزقاق وصورة المرأة التي يقابلها رجل يمضي باتجاه معاكس لها)، كل ذلك يبرز من خلال نافذة مطلة من بناية مواجهة للبيت والزقاق، ولا يظهر من هذه البناية المقابلة إلا مربع النافذة، دون بروز إطارات البناية الخارجية أو الداخلية، فقط نافذة مفتوحة مطلة على الزقاق والبيت الطيني وكل محيط الرؤية البصرية في الخارج.

وإذا ما حاولنا الاجتهاد في تأويل دلالة العنوان (النوافذ الصفراء)، فإن هناك دائرة دلالية غير ثابته تحمل مدخلات تفسيرية متعددة ومتداخلة، وبالتحديد بعد إفراغنا من الرواية، سنجد مدخلة دلالية بارزة تتمثل بأطراف سردية متعددة، يتصدرها مرسوم الحكاية الإطارية، الذي يبرز في الصفحة (٨) من الرواية عبر السؤال غير المباشر الذي يبرز في المسرودات الآتية:

«أليست نظرتنا للمدن بهذه الطريقة: من بعيد وأنت تمر بها، فأنت لا ترى فيها سوى بنايات مرصوصة، وأشخاص غرباء لا تكنُّ لهم أي مشاعر، قد تعجبك بعض الأماكن فتغبط أهلها وتتمنى لو كان أبوك أو جدك القديم قد سكن هنا..... وبعضها قد تنفر منها وترى الحياة فيها عبثية..... وأماكن أخرى لا تلتفت إليها بتاتًا وتشغل نفسك عنها بهاتفك..... لكن ليست هذه المدينة، ففي كل مرة أمر بها أعرف أنها أكبر من أن أفسر أو أتكهن بشأنها، وسوف أراهن أنك ستشعر بهذا لو مررت من أمامها.

وبعد العديد من الزيارات لها، والجلوس أمام شموخها، حصلت -أخيرًا- على شيء منها».

وفي تلك المسرودات التي تعد بمثابة عقد أولي مباشر بين السارد والمتلقي، تبرز المدينة من بعيد كنافذة تفضي إلى المتن السردي من المفتتح حتى الختام، أي أن المدينة هذه وبشموخها وبروزها من بعيد، لا تنأى عن احتوائها على مفارقات إنسانية تتناغم مع المفارقة التاريخية والفلكلورية التي تستقطب الرؤية البصرية للمارين (المسافرين) من بعيد.

ومن الدلالات الفرعية في الدائرة الدلالية المشغلة في العنوان (النوافذ الصفراء) أيضًا، ما يبرزه السرد في المفتتح من ارتكاز على النافذة كفضاء ينطلق منه السرد، ويتمدد في داخل السرد ومفاصله الورقية ومراياه الإطارية الزمنية عبر لافتات زمنية مراوحة، تتناوب بين الماضي والحاضر من خلال التقسيم الزمني المتناوب بين الحركتين الزمنيتين المؤطرتين للحكاية داخل الخطاب السردي. وهكذا تغدو النافذة البؤرة الضيقة التي تقدم المسرود وتطل عليه وعلى

العالم المسرود في المتن، وبخاصة ما يتعلق بعلاقة الحب بين طرفيه، وارتباطات هذه العلاقة بالمحيط والثقافة المسرودة الخاصة بالمجتمع المسرود في متن الخطاب:

«تحدق فاطمة في المكان من تحتها - من نافذتها الخشبية الجميلة العتيقة المنحوتة يدويًا في هذه المدينة على الطريقة الحضرمية في الجزء العلوي من النافذة كما لو أنها أقواس أندلسية. وفوقها شريط من النقوش المصفوفة بانتظام، ستجزم أنها نقشت بآلة. وفي الجزء السفلي تتطرز النافذة بكم هائل من النقوش بفتحات كبيرة في الأطراف وأخرى أصغر منها في الوسط، لتأخذ أشكالًا متناسقة..... تنظر إلى المارين من تحتها.. هذه المخلوقات الوديعة المسكينة التي ورثت هذه المدينة الرائعة. وتسأل نفسها هذا اليوم سؤالًا ليس اعتياديًا على غير العادة، وفكرة غريبة قفزت إلى رأسها من دون مقدمات، وكأنها لم تمض عقودها الأربعة هنا بين أزقة هذه المدينة وبناياتها....». (ص٩).

فالنافذة في المسرود الآنف تترقى من النافذة البصرية المادية، إلى مصدر ارتباط معرفي وكشفي، ومسرح للرؤية المادية للفضاء الخارج، والرؤية الفلسفية، إذا ما علمنا أن (فاطمة) قد كسبت خبرة وتجربة معرفية بالمحيط من حولها، وإرهاصات علاقة الحب بينها وبين (ربيع) كأنموذج تسوق عليه أطروحاتها الخاصة والعامة في مفهوم الحب كحالة إنسانية ملحة، إلا أن هذه الحالة وفي المحيط الذي انبثقت فيه، تدخل في تعارضات وتقاطعات مع الثقافة الموروثة، تترقى إلى قمع وإجبار بفعل السلطة الأبوية التي يفرضها المجتمع على المرأة بداعي الشرف والعفة والعار، كمصطلحات أخلاقية ترتبط بالمرأة كجسد في الثقافة - تستدعي حجب المرأة عن الرجال من خارج المحيط العائلي، من خلال اعتبار البيت، إلى جانب وظيفته الرئيسة، فضاء ساترًا وحاجبًا مخفيًا للمرأة، عن أنظار الغرباء من الرجال، فالثابت ألا تتصل المرأة بالرجل غير المنتمي للأسرة بعرق الأبوة والأمومة في أي حال من الأحوال. ومن خلال هذه الثوابت الثقافية، يتضيق فضاء تطلعات المرأة وطموحاتها، حتى يغدو البيت أو المنزل محمية لها، بوعي أزلي رجعي موروث، لكن المرأة تحاول انتقاء فسحة من الجوازات رغبة في التطلع للخارج بغية المعرفة والاستكشاف، بما لا يقوض، بطريقة مباشرة، الثوابت الثقافية التي تضعها السلطة الأبوية، وتغدو النافذة هي هذا الفضاء الخفي الذي يسرب طموح المرأة في المعرفة الخاصة والعامة بالمحيط، ومن هنا تنبثق أطراف دلالة العنوان وأعمدته الرئيسة.

ثمة دلالات تدور في فلك دائرة العنوان (الدائرة الصفراء) يضيق الحال في هذه القراءة، أن نبرزها، ولعل ما يمكن أن يختزلها في محصلة دلالية، ما يمكن أن نستأنس له في تراتبية ألوان الطيف، إذ يقع ترتيب اللون الأصفر، بين اللون الأحمر والأخضر، الذي قد يشي بأن فحوى المفارقة في مسرود رواية (النوافذ الصفراء) لسالم بن سليم، يدخل في مضمونه، ضمن المحظور والمرغوب بشكل خاص كثنائية تؤطر مضامين الخطاب السردي، إذا ما علمنا أن (فاطمة وربيع) يحاولان فتح جوازات وثغرات تخترق السلطة الأبوية للمجتمع والموروث الثقافي، بغية التواصل العفيف وغير المقوض للشرف العائلي والمجتمعي، من خلال (النافذة الصفراء)، أي المراوحة ما بين الخط الأحمر والأخضر، كحدود رمزية تبرز الحال والمضامين السردية التي يحتويها الكتاب.

بعد إتمام قراءة رواية (النوافذ الصفراء) لسالم بن سليم، يمكن أن نخرج بمحصلة وصفية من حيث المضامين السردية، فحواها أن السرد بعد تفكيكه موضوعيًا، يجمع ثنائية متداخلة، بل متلازمة، كهاجس سردي ممتد من المفتتح السردي حتى الختام، ومن خلال مقاربة مفهومية ضاغطة، يمكن أن نطلق على هذه الثنائية التي يحتويها كتاب (النوافذ الصفراء) بثنائية الحب والاختراق، ونقصد

بالقـــطب الأول لهذه الثنائية مسرودات العاطفة الثنائية (فاطمة وربـــيع)، ويمكن حـــصرها في عينات مفهومية تتمثل في: (الاتصال وطقوس اللقاء، فضاء اللقاء، قوة العشق والهيام، قلق البعد والغياب). أما قطب الاختراق فيتمثل في اختراقات متعددة، تتعلق بالبنية السردية، من جهة وبالشـــخوص من جهة أخرى، وتنضوي مسرودات القطبين، بين محددين، حـــاول إثباتها الكاتب على متن الرواية بوصفين عريضين، وبمثابة عتبتين أو بابين مؤطرين للمسرود، ودالين من الوهلة الأولى على مآلات العلاقـــة العاطفية ومظاهر الاختراق الداخلية، صعوداً وانحـــداراً، وقـــد عنونها بـــبروز تحت مصطلحـــي (الصعود)، وتمتد مسرودات الحب والاختراق فيه من الصفحـــة (٦ حـــتى ١٠١)، والانحدار وتمتد صفحاته من الصفحـــة (١٠٢ حتى ١٥٢).

***سرد الحب:**

الاتصال:

يبرز السرد انطلاق العلاقـــة بـــين (فاطمة وربـــيع) التي تأطرت منذ الصغر، ويتحـــدد ذلك بـــمزدوجة سردية من الخطاب المسرود غير المباشر بلســـان الســـارد، والخطاب المباشر من الشخصية/ فاطمة:

تتذكر تلك الأقـدام الصغيرة العارية وهي تجري في أزقـة المدينة التي تمتلئ بـــالماء الطيني اللون بـــعد كل مطر.. يركضون.. ينضحون بعضهم، يتبللون ويبللون سيقان المباني التي تحني عليهم كأمهاتهم.. تتذكر (ربيع):

«آآآخ يا ربـــيع.. كيف تتنكر لكل تلك الســـنوات؟.. كيف تتنكر لهذه المدينة، كيف تتنكر لي أيضًا.. كيف تغنيك تلك المدن المراهقـــة الزجاجية عن كل هذا الحنان؟..... وكأنني لم أكن يومًا امرأة قـــاتلت لأجلها.. تسلقت الجدران وحفظت الأزقـــة، تركض معها من دون نور.. وتعرضت لنهش الكلاب و[الدغات] العقارب.. فقط لتقف تحت هذه النافذة وأنت تبتسم وترتجف في آن واحد لتحصل على تلويحة خجولة، وابتسامة قصيرة من هذا الثغر». (ص ١٠، ١١).

ويتناغم تحديد انطلاق العلاقـــة، في المسرود المزدوج الآنف، مع تسليم الســـارد السرد للشـخصية (فاطمة)، كما يضع السرد على لسان فاطمة في هذا المسرود، بداية العلاقـة والاتصال ومآلاتها، وبشكل غير مباشر؛ إذ تبـدو فاطمة في سردهـا وكأنهـا تطـل مـن النافـذة في لحظـة مـن الراهـن الشـــخصي، ويبرز ذلك في مضامين مسرودها الآنف، وكأنها تضع المعكوف الثاني الذي يشـير لإغلاق التواصل الثنائي، ويدل على ذلك مضمون المسرود.

ثم تبدأ فاطمة بعد إغلاق هذه المحصلة، بسرد الذكرى في لافتات ومرايا متناوبة، تبرز العمق العاطفي لحكاية العشق الممتدة عبر الزمن، بمسحة من الشـاعرية، تبرز قـوة هذا الحب التي لا يخلو من المفارقـــة والمغايرة، عن أي حكاية حب أخرى.

طقوس اللقاء والمغامرة:

تبـدأ فاطمة بسرد طقـوس اللقـاء الخفي وملابســاته، بمسحة من التلذذ بالذكرى، محاولة إحيائها لمقاومة حاضر المآل وضغط القهر والندم:

«جئت في إحـدى الليالي، بـعدما انتظرتك طويلًا، وعندما عاتبتك أظهرت لي ساقك وهو ينزف وأشرت لي أن كلبًا قـد عضّك عندما مررت بالزقـاق المظلم.. كنت شقيًا ورحـت أنا أشق خماري ورميته لك لتربط ساقك فتلقفته أنت ووضعته في جيبك بعد أن شممته كما لو كنت تخدر نفسك من الألم.. قلت لك غاضبة وأنا أشد بيدي "اربطها" كما لو أنك صبي أعلمك فعل الأشياء.. فربطتها بعمامتك وأنت لا تفوت كل ثانية، تحدق بشـراهة نحوي تتمنى لو تقـتلعني من خلف النافذة... قلت لي "أين هديتي؟".. كنت قـد عودتك أن أعطيك هدية في كل زيارة.. شيء مما تطبخ يدي في الغالب، وأشياء أصنعها لك.. حـتى إنني ظننتك لا تأتي إلا من أجل الهدايا أيها الطفل المحتـال.. لففت لك قـرص الكعك المنقـوش في قـطعة قـماش ورميته لك.. وأظهرت لك كفي وأشرت لك "هذا بسبب هذا"..

كنت قد أحرقت كفي وأنا أضع السكر المذاب على قرص الكعك.. وانتفخت دائرة صغيرة من تحت بشرتي الرقيقة بسبب الحرق.. لكنها كانت عذبة بحجم الألم وأكثر.. كل شيء صنعته لك كنت أنا من يتلذذ به أولًا ....». (١٣، ١٤).

وهكذا يلوح سرد العشق والمغامرة بين لافتات الحاضر والماضي، لتطمر فاطمة الحاضر المؤلم، ويبرز ذلك عبر لعبة سردية لذيذة، يتناوب فيها الماضي والحاضر عبر مشاهد ومرايا درامية التقسيم فيما يقارب (أربعة وعشرين) لافتة ومشهدًا متناوبًا، يتقاسمان سرد الماضي والحاضر، وتتحدد تلك اللافتات والمشاهد بتحديد زمني مثبت بالخط العريض على عتبة كل مرآة ومشهد، يحدد تاريخ الحكاية وذكرى التواصل في الماضي ولذة الوصل ومغامراته المجنونة، وفي لافتات الحاضر المقاطبة للافتات الماضي - تبرز الحياة الراهنة مع الأهل والمحيط، لكنها تتعرض لغزو الذكرى، هذا الهاجس العشقي الذي لا ينتهي.

ومن مغامرات العشق أيضًا تسرد فاطمة:

«هناك كان اللقاء الأول خارج الجدران أيها الممثل البارع، هل تذكر؟ قلت لك بإشارة وهمس وقليل من الهمس: "غدًا سأخرج إلى بئر جدي.. سنجلب الأعلاف لأغنامنا.. عليك أن تجدني بين كل النساء هناك" قبلت أنت التحدي ببرود، وانصرفت.. بينما رحت أنا أدور حول نفسي في ذهول.... كيف تجرأت أنا؟.. وكيف قبلت أنت....». (ص١٨).

ثم يمتد سرد الحب والعشق بما فيه من لذة الحكي، وتستقطب فاطمة متخيل اللقاء في الغد بربيع وكيف سيكون ذلك، وكيف يتم في حضرة النساء في الحقل، وهل تتغيب عنهن، ويعصف بها القلق بين الخوف من أن ينكشف أمرهما على مرأى النساء، وتارة تتساءل ماذا سوف سترتدي من ثوب؟:

«..... سيراني من قرب وفي متناول يده لو هم بأن يتقدم نحوي.... هل سيأتي ويمسك بيدي؟ وربما يعانقني وسط كل هؤلاء النسوة.. يا الله هذه فكرة مروعة. لا أظنه سيفعلها». (ص٢٣)، ثم تسترسل برحلة المضي للحقل في الصباح، حتى تصل، ثم تبرز المغامرة في لقاء ربيع بين النسوة في الحقل: **اتركي هذا لأختك.. هل تستطيعين مساعدة ذلك الشيخ؟" قال الفلاح وهو يشير إلى رجل مسن في المطيرة الثالثة. وكان الآخر ينظر وكأنه يستعطفني لمساعدته.... انتقلت وبدأت أجز القضب من طرف المطيرة الآخر.. لا يمكنني أجلس بمحاذاته حتى ولو كان كهلًا، تعمدت التلكؤ وأنا أجز القضب لكن عينًا ثالثة في رأسي أخبرتني أن هناك من يحدق بي.. العجوز يحدق بي! تظاهرت باللامبالاة.. أسرعت في الجز.. ما تزال العين تخبرني أنه يحدق أكثر. رفعت رأسي نظرت إلى خديجة وكانت منكبة في عملها، وقبل أن أعيده للأسفل، مررت بنظري لأرى إن كان حقًا يحدق بي: "ما هذا؟.. اللئيم يحدق بي فعلًا.. ألهذا دعاني لمساعدته؟ لكي يحدق بي "لكن بعد لحظة، توقفت وكان المنجل على سيقان القضب.. تجمدت.. ينبض قلبي بعنف.. يكاد أن يقتلني.. أحس به سينفجر دماغي.. ابتلعت ريقي ونفثت نفسًا ساخنًا..... رفعت رأسي مرة أخرى لأتفحص أكثر، لأرى إن كان قلبي له أعين يرى بها أيضًا....**

- أيها المجنووووووون. هذا أنت.. نعم أنت

أقفز المسافة لعناقك كغزالة.. كفراشة الحقول.. أرتطم بك بكل عنف وأحط على انفتاح صدرك. هذا ما تمنيت أن أفعله تلك اللحظة.....». (ص٢٦).

* سرد الحب:

في سرد اللقاء والمغامرة، وبعد اشتداد وثاق علاقة الحب بين (فاطمة وربيع) - تتصاعد الحاجة للقرب والوصال مع الزمن، ويرتفع منسوبها عند الطرفين، وبنسب متوازية، وفي خضم هذا الصعود، تتفلت وتوهن المحاذير والموانع، وتبدأ الخطوط الحمراء التي يفرضها المجتمع الذكوري الغيور، تبهت صبغتها بالتدريج، لتذوي في دائرة برتقالية اللون، ثم تنزلق للأصفر، وبدافع ملح من اللاوعي الذي يدفعه تسمك أواصر العلاقة بين (فاطمة وربيع).

تلك المحاذير التي كانت بمثابة ثوابت شاخصة أمامهما، قبل تمتين عرى الارتباط، في بداية ووسط العلاقة، زمنيًا، مما يفرض اللقاء كحاجة تضغط عليهما بتواتر وكهاجس مستديم:

«عندما جئت في تلك الليلة، أشرت لك "اذهب للجهة الخلفية" سألت ببلاهة "أين؟" كررت لك الأمر وانطلقت أنت كلص محترف، من وراء حضيرة الأغنام الخشبي المتشقق همست لك "هسس هسس، هنا"

- اخرجي بهدوء "قلت أنت.

- "لا".. اقترب أنت.. هذا كل ما أستطيعه"

- ماذا تقصدين"؟

- اجلس هنا بجانب الباب، الظلام سيسترك، وأنا أجلس هنا في الداخل"

أحسست بك تقترب، أحسست بخطواتك، أحسست بك تجلس ملاصقًا لخشبة الباب، تود لو تنفذ خلالها، أحسست بيدك تتلمس شقوق الباب وكأنك تمرر أصابعك بين خصلات شعري، أحسست بذلك لأنني كنت أفعله تمامًا، أنت في الجهة الأخرى، لا يفصلني سوى هذا الخشب، أضع أكفي وخدي وصدري على قطعة الخشب تلك، فيما يشبه العناق المسروق.

- "فاطمة..."

- "[لبيه"]

- "لا شيء..."

.....

كنت قد أتقنت معك لغة النافذة، والآن عليَّ أن أتعلم معك لغة الباب"

- "هل حقًا كنت ستتسلق"؟

- "أقسم لك، نعم، لست أقل من (ابن طالب)».

(ص٦٦، ٦٧).

تصاعدت رغبة (فاطمة وربيع) في الوصل واللقاء، وتصاعدت معها، بشكل متواز، حدة المغامرة واللقاء، عن مستوياتها السابقة، من المغامرة واللقاء المسروق عبر النافذة، في فارط الزمن، إلى اللقاء الذي تقترب فيه الأجساد، منجزة ردم مدى من البعد في الطقوس السابقة، كما غدا المسرود عبر الملفوظات السردية المتقاطبة بين الاثنين، أيضًا، أكثر تجاوزًا وجرأةً، بل أكثر هذيانًا، مما يلوح ببداية انسحاب الوعي بالمحاذير المجتمعية الراسخة سلفًا، في ذهنية الطرفين معًا.

ويتهادى الطرفان بذلك، مما يثير حفيظة وقلق (خديجة) أخت (فاطمة) فتبدأ بزجر فاطمة وتحذيرها وتهديدها: إن استدام الأمر بهذه الطريقة، دون أن يقدم (ربيع) من الباب لخطبتها، وطلب يدها - فسوف تطلع الأب على الأمر.

وبعد طلب فاطمة فرصة أخيرة من خديجة، قبل أن تشي بأمر اللقاء القادم والأخير، الذي ستحدث فيه (فاطمة) (ربيعًا)، بضرورة القدوم من الباب، وطلبها رسميًا، وبعد أن تم اللقاء الأخير - يعاود الطرفان اللقاء فتفي (خديجة) بوعدها اطلاع الأب، ليضبط بعدها الأب (فاطمة وربيعًا) في خلوتهما ويتفاقم الأمر بعدها.

سرد الفقد والغياب:

بلغت علاقة الحب بين (فاطمة وربيع) مبلغًا عميقًا، دفعهما، وبغير وعي، إلى الشعور الدائم بحاجة ملحة الوصل، لكن ثمة تقاطعات تنبثق من الخارج، وبملابسات تكبح جسور الوصل، ونظرًا لما آلت إليه العلاقة من ضرورة القرب الملحة، فإن أي انقطاع خارج إرادتهما، يفعل فعله بهما؛ فبعد فراق ثلاثة أيام لطارئ سفر (فاطمة) برفقة أبيها وأخيها، يجتاحها الحنين الجارف والقلق؛ كونها لم تتمكن من إخطار (ربيع) بغيابها، وقد ضاعف قلقها وحنينها استمرار غياب (ربيع) بعد عودتها، ولمدة عشر ليال، قضتها وهي تعاود النزول من غرفتها كل ليلة، في الوقت المتعارف عليه بينهما، وفي المكان نفسه:

«كنت أستند إلى الباب الخلفي لحضيرة الأغنام، هناك حيث نكون دائمًا، أضم ركبتي إلى صدري وأبكي، أعرف أنك قد تكون غاضبًا مني، ولكن على الأقل كنت ستأتي وتعاتبني، كنت لتسمع مني عذري على الأقل، يا الله كم أنا غبية كم أنا غبية وساذجة لأنني أعطيك كل هذا القدر من التفكير.. من الحب..... - "ماذا تفعلين" جاء الصوت من باب البيت المظلم المفضي إلى الحضيرة، قمت مرتعبة،

وعندما اقتربت كانت أختي تكرر سؤالها مرة أخرى "ماذا تفعلين هنا؟". وكنت أمسح دموعي بخفة "لا شيء" أجبتها "فقط أجلس لوحدي".... سبقتني صعودًا، بينما كنت خائرة القوى تمامًا، بالكاد تصعد قدماي درجة بعد درجة، لا طاقة لي على شيء، ولا رغبة لي في شيء.....». (ص٤٥، ٨٤).

هكذا يمضي سرد الحب كلافتات مشعة بقوة، وبهطل سردي مستديم، يغطي معظم المتن الورقي للرواية.

لكن ما نلاحظه في سرد الحب، بلسان فاطمة إجمالاً، أنها تلح على توجيه الخطاب لـ(ربيع) حصريًا، وتكرر فيه صيغًا معينة: (أتذكر أيها المخادع، أتذكر، وجئت أنت أيها المحتال، وأهديتك)، ويمتد هذا الحصر، حتى يطغى، لتذكر (ربيعًا) بأحداث من الصعب أن ينساها الفرد؛ كانبرائها لضربه على وجهه بكفها، في آخر لقاء سادل لستار العلاقة، وكإهدائها له بعض الهدايا، والعكس، وكتعثراته في الظلام وإصابته بالجروح ونهش الكلاب، وأحداث يصعب أن تطمرها الذاكرة؛ فالمغامرات وبخاصة العاطفية، يصعب نسيانها ولا تحتاج أن يذكرنا بها الآخر؛ الأمر الذي يضعنا أمام أسئلة ملحة، عن دلالات التكرار المتواتر لتلك الصيغ، في الوقت الذي نثق فيه، وكتجربة واقعية، أن طبيعة الأحداث المرسلة لمرسل إليه بعينه، عاشها في لحظات من التجلي العاطفي، تخرج تمامًا عن وظيفة التذكير للآخر، باحتمال النسيان، فهل ثمة جهات ورسائل أخرى، يحاول السرد إيصالها لمرسل إليه آخر؟

إن إصرار السارد (فاطمة) على تخصيص إرسال المسرود وحصره، وضغط هذه الصيغة، بتواتر حتى نهاية الحكاية، وإن كان يدل على سيطرة هاجس العشق وقوة الارتباط المفارقة، وإبراز الحاضر مخترقًا من الماضي/ الذكرى الجميلة يبرز رغبة ملحة للسارد (فاطمة) ولو بما يشفي غليلها كأنثى مقموعة ومسلوبة في الانتقام من قواعد السلطة الأبوية، الظالمة، التي يفرضها المجتمع على المرأة، وبحدود متطرفة من المبالغة؛ ومن ثم فحشد (فاطمة) لمظاهر اختراقها للقانون الذكوري العائلي وأحداثه خاصة والمجتمعي عامة، بمحاذيرهما التي تتجاوز حدود المنطق، إنما هي محاولة من السارد لتسريب رسالة اعتراض واحتجاج أنثوية مرنة موجهة للثقافة الذكورية الظالمة، التي استمرأت وتمادت في نظرتها للمرأة، بوصفها مخلوقًا ضعيفًا، سيخنع، لا محالة، لغيرة الرجل وجنونه، متجاوزة المنطق، بما تفرضه من سلطة أبوية مجتمعية تسعى في محاصرة الأنثى في زاوية ضيقة من الفضاء ومن الطموح والتطلع، بمسوغ أن المرأة جسد أنثوي يجلب العار، وأن الاقتراب منه أو مسه، يعد تدميرًا للشرف ومسًا للرجولة والكرامة.

كما يلوح مضمون رسالتها تلك، من جهة أخرى، للرجل كـ(ند) مقابل، ومرسل إليه – أن للأنثى قوتها وقدرتها على ثلم الحصون والموانع وتدميرها واختراقها التي يطغى الرجل في تشييدها باستدامة، دون أن يعيد النظر في رؤيته المغلوطة تلك، مع حركة الزمن وتفتق الوعي، ومخاضات التجربة الحياتية المعيشة.

وإن بدت تلك الرسالة في مضمونها بشيء من الترهيب والتهديد المرن والمبطن، إلا أنها تضع خيارًا متاحًا وترغيبيًا أمام الرجل مفاده أن المرأة تستطيع تجاوز تلك الموانع والحصون بدهائها، الذي لا يمكن للرجل مقاومته وتلافيه؛ فبإمكانها أن تلبي دافع الحب العفيف وغير العفيف، وتعقد اللقاء بالحبيب مرارًا وتكرارًا، من وراء تلك الموانع الصلبة بنظر الرجل، والهشة بنظر المرأة، مع قدرتها على صون شرفها بما لا يحدث عبئًا وخرقًا للمحاذير المؤرقة للرجل فوق اللحظة.

سرد الاختراق:

يمثل سرد الاختراق في رواية (النوافذ الصفراء) القطب الثاني للمضمون السردي، ومضمون الرؤية السردية، إذ يبرز في الهاجس السردي من المفتتح السردي حتى آخر

مسرود تسدل (فاطمة) به ستار الختام عن الخطاب، وبالتحديد في آخر لافتة زمنية (قبل ١٩٨٥م)، التي من خلالها يطوي السرد صفحاته ولافتاته. وتتضمن تلك اللافتة آخر لقاء لفاطمة وربيع بعد طلبه منها، برسالة، فحواها: قراره الأخير باختيار الهرب معًا لمنطقة جبلية وعقد زواجهما هناك، لفرضه أمرًا واقعًا، وطلب مساندة أهل المنطقة الجبلية البعيدة في إقناع والد فاطمة بالأمر الواقع. لكن فاطمة ترفض العرض وتنهي حكاية العشق الممتدة عبر الزمن، بصفعة على خد ربيع، ثم عودتها لمنزلها:

«لم ألاحظ أي شيء في عودتي، فقط عقلي اللاواعي كان يقودني إلى المنزل، حتى أنني لم أعد من باب الحضيرة، كان الباب الأمامي مواربًا على غير العادة، لم أفكر (لماذا) صعدت الدرجات، انزلقت، كنت مبللة، نهضت من جديد وتابعت إلى فراشي، قبل أن أتمدد أحسست بـ(خديجة) تأخذ عني ملابسي وتدثرني، "هل أنتِ بخير" قالت، نظرت إليها أومأت برأسي، وضعت جسدي داخل بطانيتي وغفوت». (ص١٥٢).

يسدل الاختراق الأخير لحكاية فاطمة وربيع، الستار، لينهي سرد الحب والاختراق، باختراق النظام الأبوي الأخير من قبل فاطمة والمتمثل بلقاء ربيع خلسة من أنظار أهل المدينة والأسرة المتمثلة بالأب، لكن بين هذا الاختراق، في الختام السردي والمفتتح السردي، اختراقات تصاعدت من حيث قوتها، من المفتتح السردي حتى ما قبل الاختراق الأخير، الذي يمخض اختراقًا لرابطة الحب الممتدة عبر الزمن الماضي والحاضر، ويفك رباط العلاقة نهائيًا.

يمثل اختراق النظام الأبوي في العائلة والنظام الأبوي المجتمعي - كل حدث سردي يحكي لقاء فاطمة بربيع، وقد مر معنا ذلك في مدخلة سرد الحب، كقطب إطاري لثنائية الحب والاختراق، وهاجس سردي ممتد من بداية السرد حتى نهايته. وسنحاول في هذه المدخلة تسليط الضوء على اختراقات أخرى، وتتمثل في مستويين: مستوى البنية، ومستوى المضمون.

اختراق البنية:

ونقصد به الاختراق الحاصل في الترتيب الزمني للأحداث، كبنية زمنية فرعية رئيسة من بنى الزمن في أي نص روائي. ويتمظهر الاختراق في خروج البنية الزمنية، التي تتوخى المفارقة الزمنية، عن المألوف؛ إذ لم يعتمد الناص البنية المألوفة، التي تعمد لترتيب الأحداث عبر التداخل بين أزمنة الخطاب من الداخل، بل تلاعب الناص بالزمن بشكل من التأطير الخارجي، تمثل في ترتيب الزمن عبر إطارات عتبية مثبتة خارج المسرودات الداخلية، وبالتحديد عبر لافتات متناوبة بين سرد الماضي (الذكرى) وسرد واقع الحاضر، عبر ما يقارب (٢٨) لافتة تتناوب فيما بينها السرد:

لافتة تطل على الماضي (قبل ١٩٨٥م)، وأخرى تطل على الحاضر (بعد ٢٠١٤م)، مع تجسير الصلة بين اللافتات المتقاطبة بروابط سردية متعددة، كأن يتدخل السارد ليسلب الشخصية السرد، ويضع سرد الرؤية عبر خطاب مسرود، تتنحى عنه (فاطمة) كمحور سردي، ليضع رؤية خاصة به أو خاصة بفاطمة، عن مفهوم الحب وتقويضات المجتمع وترسباته المانعة، ثم يعيد السرد بعدها للشخصية (فاطمة) أو يعيد أفعال فاطمة في خطاب مسرود:

«ماذا تتمنى؟ ما هي خطتك؟ ماذا ستفعل؟

ستكون إجابتك سهلة، ومدروسة حتى، وقد تكذب وتقول: "لا شيء"، لكن حتمًا لديك إجابة لكل ما سبق. أما بالنسبة لامرأة أربعينية، تعيش في مجتمع كهذا، وفي ظروف كهذه، صدقني لن تكون الإجابة سلسة وقد تنتهي بمشهد مؤثر وجدي..

تحدق فاطمة إلى المكان تحتها....». (ص٩).

وبعد خطاب مسرود ممتد عبر ثلاث صفحات - يسلم السارد السرد لفاطمة ليضعنا أمام خطاب مباشر، وحوار أشبه بمناجاة خارجية بين فاطمة الحاضرة وربيع غير الحاضر، ومن خلاله تلوح فاطمة بمحصلة نهائية لحكاية

الحب، عبر المسرودات؛ إذ تتفسخ علاقة الحب العميق، التي امتدت من الطفولة إلى مرحلة ما بعد الرشد.

بعد تلك العتبة السردية المزدوجة بين الماضي والحاضر، يبدأ السرد عبر اللافتات، المراوحة بين الماضي والحاضر، ودون تحديد الزمن العتبة، على الصفحة؛ تبدأ فاطمة بسرد الماضي في اللافتة الأولى:

«جئت إحدى الليالي بعدما انتظرتك طويلًا وعندما عاتبتك أظهرت لي ساقك وهو ينزف....». (ص١٣)، ويمتد السرد مبينًا ملابسات اللقاء بين فاطمة وربيع، على لسانها، حتى ختام اللافتة الأولى، ثم ينتقل السرد للافتة الحاضر، المحدد بخط عريض كعتبة نحو: (٢٠١٤م). (ص١٥).

وعبر خطاب مسرود ممتد لنصف الصفحة، يتنحى السارد عن الخطاب المسرود، ليضعنا أمام حوار ممتد بين فاطمة وجميلة ابنة أخيها حتى نهاية اللافتة، ثم تبدأ اللافتة الجديدة دون تحديد زمني إلا أن السرد يبرز حاضر تموضع فاطمة وهي على رف النافذة، مستندة ومضطجعة على جانبها الأيسر ويدها تحت خدها، في خطاب مسرود، ويختتم السارد اللافتة، ليضع لافتة منفتحة على الماضي، متنحيًا عنها نهائيًا ومانحًا فاطمة الحكي في خطاب مباشر، تحت عنونة عريضة: (قبل).. ١٩٨٥م).

وهكذا يتناوب السرد بين الماضي والحاضر عبر لافتات متضادة الاتجاه الزمني، بين الماضي والحاضر، مما يبرز السرد عبر مشاهد سينمائية ثنائية، ليضعنا أمام لوحات تنظمها شاشة سينمائية تقود السرد ومتلقيه، عبر مراوحة متقاطبة الطرفين.

إن اختراق البنية الزمنية، وإبراز التداخل الزمني بين الحاضر والماضي، عبر تقانة عرض اللافتات وتناوب حركتي الزمن بصورة سينمائية - يثي برغبة الناص في وضع المتلقي في مواجهة مباشرة مع محصلات بارزة، تغنيه عناء المتابعة والتوقف والعودة لمقاربة تداخلات الزمن، وتمنحه آلية جاهزة ومنتظمة، تغنيه عن مشقة البحث والفصل بين أزمنة السرد، من الداخل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وهي الأهم، تضع وبوضوح الخطوط العريضة للتداخل بين الماضي والحاضر، كغاية تقنية لإبراز المفارقة الزمنية، وغاية رؤيوية خاصة، تبرز مدى إصرار الشخصية الرئيسة في استدعاء الماضي الجميل، بغية ضغط نفسي من الداخل، لمقاومة الحاضر المحبط، والإصرار في تقويضه ورفضه، والاكتفاء بالذكرى كمدكر حياتي، يحجب الحاضر، عبر لافتات سينمائية، تتناوب من خلال كنترول يتموضع في قبضة الكف، يتم من خلاله ترشيح الأحداث الجميلة والخصبة باللقاء والقرب والحب، للظهور، التي يطغى في حجبها التحكم الطبيعي الكوني، دون مراعاة أحلام الذات وطموحاتها، كما أن السارد (فاطمة) يرغب في وضعنا أمام محصلة كمية، تبرز غلبة لذة الحياة في الماضي، على مر الحاضر وسوداويته، كحسبة خاصة تنطلق من ثقل قوالب أحداث وأزمنة الاتصال والتقارب، بينها وبين ربيع، فوق حركة الزمن الممتدة أفقيًا.

اختراق المضمون السردي (الرؤية المضمونية):

يبرز اختراق المضمون السردي عبر مستويين:

الأول: وقد مررنا به في مدخلة سرد الحب، وبطريقة غير مباشرة. ويمكن أن نعد كل اختراق للسلطة الأبوية العائلية خاصة والمجتمعية، عبر اختراق المحظورات، التي تتمثل في تقويض ربيع وفاطمة لثقافة المنع الأبوية والمجتمعية، التي ترفض طقوس اللقاء والتواصل بين المرأة والرجل، قبل انعقاد الرابطة الشرعية المروج لها، عبر طقوس مستقرة، وتعده سلوكًا مخلاً بالشرف وخادشًا لكرامة العائلة والمجتمع معًا يمكن أن نعد كل مسرود مضمونه هذا الاختراق، أنموذجًا لذلك.

وإلى جانب ذلك يبرز السرد اختراقًا نوعيًا يتمثل في اختراق عالم المرأة.

اختراق عالم المرأة:

ولعلنا نتفق على أن ثمة عالمًا خاصًا بالمرأة، يصعب كشفه، كونه يظل حبيس فضاء التواصل النسوي، وكونه يتضمن الالتفاف المرن على ضوابط السلطة الأبوية، ويظل سلوكًا مخفيًا عن السلطة الذكورية، ولا يستطيع، الإلمام به الذكور، وقد يؤدي لاضطراب العلاقة النوعية، بين الرجل والمرأة، إذا ما تم تسريبه لفضاء الذكور.

ويمكن التمثيل لهذه الأنماط من الاختراق في عدد من المسرودات التي تشي به:

اختراق السرد لكواليس العلاقة بين الأخت والأخت:

إذ يبرز ذلك من خلال ممارسة (فاطمة) اختراقات السلطة العائلية، بتواصلها المنفرد مع ربيع، ومعرفة ذلك من قبل أختها (خديجة) دون أي تعارض أو تجسيم للأمر أو اندهاش أو خوف؛ إذ منذ بداية العلاقة بين ربيع وفاطمة، وخديجة على إحاطة بكل مغامرة بين الاثنين، وليس ثمة استنفار من قبل خديجة، إلا في المراحل الأخيرة من العلاقة، وبعد اتفاق ضمني مشروط ومستقر بينها وبين فاطمة على أن يكف ربيع عن ذلك ويأتي من باب البيت، أي يطلب يد فاطمة رسميًا من أبيها:

«عدت بعدها، للداخل، وعندما دخلت الغرفة كانت خديجة بانتظاري "أنت لم تتوبي؟ أظن أن الأمر قد طفح، أقسم أنني سأخبر أبي".

- "لا لن تخبريه شيئًا" ..... "أنت، تكذبين" قالت وهي تشير بسبابتها لوجهي، لكنني كنت، أحتاجها، كنت أتحمل صراخها، وحتى عندما، تدفعني وتهز بكتفي بعنف، وكنت أصمت أمام الكثير من أسئلتها، أولًا لأنها كانت محقة جدًا، وثانيًا لأنني بحاجة إلى مساعدتها، ولكن إقناعها هذه المرة، كان شيئًا شبه مستحيل..... "اسمعي" قلت لها وأنا أقترب أكثر منها، وأحيل صوتي إلى همس "إذا أردتني أن أبتعد عنه، عليك أن تساعديني...». (ص٩٨).

ومن نماذج اختراق عالم المرأة الخفي أيضًا يمكن أن نسوق النماذج الآتية:

«جلسات النساء ثرثارة كعادتها، يخضن فيما يهم وما لا يهم، فيما يستحق، وفيما لا يستحق، وغالبًا ما تنتهي بكشف أسرار، جديدة وحصرية، وكأن كل واحدة تقول للأخرى "إياك أن تذكريني بسوء في غيبتي، فإنني سأعرف بالأمر، وكما قيل في المثل الحضرمي (مبعد متسمرة جابت سرة) .....- "في عرس "آل باجمال" قبل أسبوع، هل رأيتن الفتيات؟ يع يع يع" قالت أم أمجد "أين الحشمة؟ أين الحياء؟ ملابس عارية -أعوذ بالله من الشيطان- هذه، ترينا صدرها، والأخرى ظهرها، والثالثة بطنها.. (يفيييييه) من أين أتن"؟». (ص٣١).

ويأتي ضمن اختراق عالم المرأة:

«بينما كنت أتبادل التلويحات الصامتة مع أروى ودلال اللتين كانتا تقفان بفم الباب، وكنت أغمز لأروى وأعيرها بنظراتها الخاطفة نحو أخي وأتهمها بالحب، بينما كانت هي تضحك ثم تطبع قبلة بأطراف أصابعها وتنثرها نحوه، وهو غارق في شروده، ثم تعود لتضحك ضحكتها الشقية.....». (ص٨٢).

خلاصة القول، إن سرد الحب والاختراق في رواية (النافذة الصفراء)، يمثل الهاجس السردي، الذي كان أشبه بمصب رؤيوي مزدوج، تسقط فيه كل المترشحات السردية، وبشكل من المراوغة السردية، التي تتوخى إبراز الرؤية الأنثوية هشاشة الحصانة الأبوية التي يحاول الرجل من خلالها، كند نوعي، أن يضع حدًا لقلقه تجاه المرأة التي يرى فيها مجلبة للعار وتقويضًا لشرف الرجل وكرامته، إذا ما تم تركها دون حجاب أو ساتر، يخفيانها عن بصر الرجل.

97
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

حوار مع
الأستاذ صالح علي العطاس

حاوره: علي سالمين العوبثاني

الأســـتاذ الفاضل/ صالح علي محمد العطاس، عرفته قـــارئًا نهماً، مجتهدًا في قـراءاته المعمقـة للكتب بمختلف تخصصاتها، يمتاز بـفكر ناضج وعطاء ثقـافي واســع، تجلى من خـلال الغـوص في محاضراتـه التي يلقـيها في المحـــافل الأدبـــية والمنتديات، ومقالاته في الصحف المحلية، ولقاءاته الإذاعية، وقد أردت من هذا اللقـاء اقتحـام أسـوار عقـله؛ كي أعطي القـراء ملمحًا عن شـخصيته المثقـفة بـــما يحمله من ردود عن أســئلتي المطروحة، التي آثرت تناغمها مع أسلوبه التعبـيري، ونمط تفكيره، ومنهجه الذي درج عليه، ولا أخفيكم سرًا، إذا ما قـلت بـأن الكثيرين قـد يرون في حـديثه تحليقًا بـعيداً عن واقــع مجتمعه، وفي حـــديثه الموجع انتقـاداً لا تبرير له، وقـد يرى آخرون ومن وجهة نظر محايدة بأن ما يسوقه من طرح يلامس واقـع مجتمعاتنا العربـــية، التي تنوء بـــأحمال من المشـــكلات تثقـــل كاهلها، وهذا ما لا يختلف عليه أحـــــد، ولعلي هنا أستشهد بما قاله لي الدكتور عبدالقـادر علي باعيسى ذات مرة، بعد حـضورنا الجلسـة المعتادة التي تجمعنا أسبوعيًا كل يوم خميس مع أ. د عبـدالله حسـين محمد البار حفظه ربي ورعاه، قال: (بـأن الأخ العزيـز صالـح العطـاس ذو عقـــلية نظيفة، وفكر ثاقـــب، وأخلاق رفيعة)، وقـد صدق فيما قال.. فالناقـد والأديب والشـاعر باعيســـى له رؤيته الواقـــعية وقـــراءاته، وله مؤلفات في النقـد الأدبي، وكان لي معه لقاء صحـفي ضمن لقاءات متعددة أجريتها مع مجموعة من أدبائنا ومثقـفينا وشـعرائنا في حلقـات عنوانها (رحـلة في عقـل... حـضرمي) يتقـدمهم أ. د. عبـدالله حسـين البـار، وأذكر في القـائمة منهم: الدكتور طه حســين الحضرمي، والأساتذة/ صالح سـعيد بـاعامر، وعلي عمر الصيعري، وعمر عبـــــدالرحمن العيدروس، وسالم عبدالله بن سلمان، هذه الكوكبـة المسـتنيرة علماً وثقـافة وأدبًا، جادت قرائحـها بـــما تختزنه من علوم لتنثره دررًا ناصعة تســـتفيد منها الأجيال الحاضرة والمقبـلة، التي بـالضرورة سـتؤدي إلى فتح الآفاق، وتوسيع المدارك أمامها نحو خلق إنسان قارئ، ناقد، يميز بـــين الغث والســـمين.. لننتظر منه عطاءً لا ينضب، وإنتاجًا لا ينتهي، ويسـمو بثقـافته إلى العلا، ويصبو إلى الأفضل.

أستهل لقائي معه بتوجيه جملة من الأسئلة في سؤال واحد تكون مفتتحًا للحوار معه: السؤال:

• هل مثّلت المفاهيم والمصطلحات الوافدة إلى الوطن العربي في كَمِّها المهول أحد أسباب تأخرنا الحضاري والثقافي؟ وبخاصة إذا نظرنا إلى تلك المفاهيم من محددات مضمون خصائصها التراكمية والثقافية والاجتماعية؟ وهل للفروق المرحلية من حيث خاصيتها الطبيعية والعلمية أثر على ذلك؟ من منظور أو ارتكاز نظرية الهُوّة المعرفية؟

- إن اللغات في منطقها الذاتي العام لا تملك خاصية الشفافية والنقل المباشر باتجاهه المستقيم الدقيق، وذلك بدءًا من علاقة اللفظ بالمعنى وكافة عناصرها التآزرية التساندية والإسنادية المختلفة، وقد أشار إلى ذلك (أوستن) في نظريته لأفعال الكلام؛ حيث يقول: (إن هناك فجوة لا يمكن سدها بين المعطى الحسي والإدراك). لذا فإن مقولة (اللغة مرآة العقل أو الواقع)، فيها قدر كبير من اللبس، فالاستتار والغموض واللبس والمراوغة والمجاز وغيرها من خصائص جوهرية في منظومة اللغة، وكما أثبتت اللسانيات الحديثة استحالة المطابقة بين اللفظ والمعنى، كذلك أثبت علم النص الحديث استحالة مطابقة اللغة للواقع (ذلك الموجود في الأعيان)، فمهما بلغت قدرتها ستظل اللغة مجرد تمثيل لهذا الواقع لا مرآة له. وستظل هناك تلك المسافة التي تفصل بين اللفظ وما يشير إليه في عالم الواقع، وسيظل اكتمال المعنى اللغوي مرجأ دومًا ومنفتحًا على التغيير ما دامت الجماعة الناطقة باللغة كمهدها دومًا تستخدمها بصورة مبتكرة ومفاجئة أحيانًا على الرغم من ذلك فإنه لم يزل للكثيرين الرغبة بالتشبث بها، ويجدون صعوبة بالغة في تقبل فكرة كون اللغة ليست بتلك الأمانة والدقة في تمثيل الواقع. وأن وسيط اللغة ليس شفافًا بل تشوبه العتمة، وهذا وحده يدخلنا في تساؤلات غير محدودة. فارتكازًا على ما سلف علينا أن نقف بالتدقيق والتمحيص للوصول للإجابة العلمية النوعية الصارمة والدقيقة أمام الآتي:

إن المفاهيم التي وفدت إلى الوطن العربي مع الاختراق الأوروبي وبحدته الواسعة منذ مطلع القرن العشرين والمنسحبة على كل المجالات العلمية وبما تسمى بمفاهيم التقدم والنهضة والحداثة كانت تطبيقاتها على الوطن العربي تطبيقًا قسريًا، وتقليدًا مبتسرًا، واستهلاكًا ابستمولوجيًا عبثيًا في جزئه الكبير ونسبته العظمى، لذلك لم يرافقها أي تحديث للفكر والحريات وللعلاقات وللنظم السائدة كافة.

إن المفاهيم التي وفدت إلى الوطن العربي مع الاختراق الأوروبي منذ مطلع القرن العشرين، كان تطبيقها على الوطن العربي تطبيقًا قسريًا، وتقليدًا، واستهلاكًا عبثيًا في نسبته العظمى

• كيف يتعامل بعض المثقفين العرب مع مفاهيم التقدم والنهضة والحداثة.. من وجهة نظرك؟

- إن بعض المثقفين أرادوا ومن خلال تعاملهم مع تلك المفاهيم أن يبرزوا صورهم المعرفية -وهو وهم معرفي عميق- دون أن يعوا أنهم قدموها من خلال الصورة المنبثقة من داخل المرايا المحدبة -وقد أعطى (عبدالعزيز حمودة) تفصيلاً حول ذلك في كتابه (المرايا المحدبة)، وهي التي تضخم حقيقة الواقف أمامها وتبالغ في حجمه، والأدهى هنا أنهم صدقوا صورهم في تلك المرآة بمرور الوقت.

هذا التصديق سبَّب لبعض المثقفين العرب شرخًا غائرًا في أعماق نفسياتهم، كان سببًا حقيقيًا في وصول المثقف إلى حالة من الانفصام -وليس الفصام-، الذي ظل يعيشه ويستمر معه، فخلق بذلك كل أزماته التي ارتضى أن يعيش معها بدلاً من تقديم الحلول الناجعة لها، ولم يكن قادرًا على امتلاك ناصية البحث عن التشخيص فينقذ نفسه وأمته ليحقق مشروعًا قوميًا عربيًا صرفًا.

• هل تعني بأن الأمر يحتاج إلى كثير من الذكاء وتمحيص أكاديمي عالٍ حتى لا نعيش خارج جوهر الهوية ونبقى على الدوام مستهلكين واجترارين وأمعائيين؟

- بكل تأكيد حديثنا هنا عن الظاهرة في عموميتها، التي من طبيعتها تجاوز منطق الحدية الخصوصية، التي تشمل عدداً ليس بالقليل من المبدعين العرب، الذين تمكنوا من تقديم رؤى ثاقبة بتفحصهم لعدد كبير من الدراسات، واستطاعوا أن يبينوا النزعة الشمولية لكل النماذج العالمية، التي أراد لها أصحابها التطبيق القسري في واقعنا الإسلامي والعربي؛ حيث تم التعامل مع المنطقة العربية أساسًا في ضوء كونها مخزنًا للنفط والوقود على المدى الطويل، كما يمكن القول إن تقسيم العالم إلى مناطق بنموذج مجموعة (ميزاروفيتش)، ونموذج مجموعة (ليونتييف)، كان تقسيماً بترولياً صرفًا، وهناك أعداد لا حصر لها تخرج من بوابة هذه الرؤية تحتاج الوقوف معها إلى فهم المضمون العلمي الدقيق، وإلى كيفيات تمكننا من معرفة الفروق في هيكل النموذج، وقياسات المعلمات، ونوعية القيود، ومنهجية تقنين المقاربات، إن كان هناك سعي حقيقي واعٍ بمستقبل يتحقق فيه إشباع الحاجات الأساسية.

يعرف المشهد الثقافي الآني اجتراحًا وغزوًا للمناهج والمقاربات النقدية، بهدف كسب الرهان وكشف النقاب عن مفاتيح القراءة وأنماط تشكلها

• إذن، كيف يتم تحليل المفهوم من خلال النسق كحالة، والنسق كعملية علمية، وفلسفة المعنى وأنساقه المتعددة؟

- لو توقفنا عند الاهتمامات التي تنصرف إليها فلسفة أي علم، فسوف نتبين أنها -على الرغم من تعددها واختلاف مراميها- تتفق جميعها في صفة مشتركة، وهي أنها تتناول العلم من خارجه وليس من داخله، أو بعبارة أخرى أنها لا تتكلم عن العلم وأولوياته ومفاهيمه وفروضه المسبقة واللغة التي تساق فيها نتائجه، لكنها تتكلم عن موضوعات يهتم بها العالم نفسه، وبتعبير آخر فإن فلسفة أي علم تتكون من عبارات تقال عن العلم، لكنها لا تكون هي نفسها عبارات علمية، أي لا تكون من بين عبارات هذا العلم، ومن ثمَّ فهي عبارات لا تقال في العلم.

وهكذا تكون فلسفة المعنى كونها فلسفة اللغة -لو طبقنا هذا المعنى بالنسبة للغة بوصفها علماً- سنجدها أنه كل ما يقال عن اللغة، لكنه من بين ما يقال في علم اللغة.

إلا أننا حينما نتكلم عن اللغة، فإننا في الوقت نفسه نستخدم اللغة، وفي هذه الحالة علينا ألا نخلط بين مستويين من اللغة: اللغة بوصفها علماً، وهي الموضوع الذي نتحدث عنه، واللغة التي نستخدمها في التعبير عن علم اللغة. اللغة الأولى الخاصة بالعلم (أي علم اللغة)، وهي الموضوع الذي نتكلم عنه، ونسميها في هذه الحالة (باللغة الشيئية)، أو (لغة الموضوع)، أو (لغة المستوى الأول). أما اللغة الثانية، وهي التي نستخدمها في الكلام عن الأولى، فنسميها (باللغة الشارحة)، أو (ما بعد اللغة)، أو (لغة المستوى الثاني).

لذا فإن المعاني ليست دائماً واضحة وضوحًا كاملاً، لذلك فمن الضروري تحديد المعاني وتوضيحها حتى يتسنى تحقيق عملية الاتصال على نحو صحيح ودقيق. وعادة ما يتم ذلك التحديد والتوضيح عن طريق التعريف للألفاظ والتحليل للعبارات، وبخاصة التحليل المنطقي. فتحليل عبارات اللغة من شأنه أن يوضح ما له معنى منها، وما ليس معنى له.

والمعنى يواجه عند الغربيين وهو يستهل بدايات القرن الواحد والعشرين صعابًا على مستويات المفهمة والتعريف، وتكاد تتمحور هذه في إيجاد آليات وأدوات تكون عينة لتبصر النص وتعقل دلالاته دون عوض، لذلك يعرف المشهد الثقافي الآني اجتراحًا وغزوًا للمناهج والمقاربات النقدية، بهدف كسب الرهان وكشف النقاب عن مفاتيح القراءة وأنماط تشكلها.

وعلى طرفي نقيض يلاحظ المتتبع لخريطة البحث اللساني العربي أن اللسانيات ما تزال (ذلك المجهول الذي يثير فينا ريبًا وشكًا وتوجسًا وخوفًا، أكثر مما يثير فينا نزعة -ولو فضولية- لمعرفة موقفنا من الثقافة والعلم والمعرفة في العالم)، فعلم اللسانيات لم يحظ بعد بالأهمية التي حظي بها في الغرب، إذ على الرغم من (مرور نصف قرن، على معرفته، والعلم به، والبحث فيه وتدريسه في الجامعات العربية، ما زال علماً غريبًا على جمهور المثقفين في الوطن العربي، ناهيك بجمع من القائمين على تعلم اللغة العربية في المدارس والمعاهد، وتلك -ولا شك- آفة من آفات انفصال الجامعات العربية عن مجتمعها).

فالواقع العربي الراهن للسانيات في ثقافتنا العربية أثار، وما زال يثير أسئلة كثيرة عن الأسباب الكامنة وراءه، وفي زمن أصبحت فيه اللسانيات رائدة العلوم الإنسانية، وإليها يستند قيادتها. وهذا ما قاد مجموعة من الباحثين -لسانيين وغير لسانيين- إلى القول بوجود أزمة في البحث اللساني العربي (وتتمثل هذه الأزمة في مجالاته النظرية، والمنهج والموضوعات البحثية، والجوانب المؤسسية المتصلة بأقسام تدريس اللسانيات، وفي الأستاذ وتدريب الطلاب. كما نجد أن هذا العلم لا يزال هامشيًا مقارنة مع العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى بالرغم من الازدياد المضطرد للمتخصصين فيه، وبالرغم من الأهمية المركزية لموضوعية اللغة في المجتمع).

إن الأزمة شملت كل مجالات البحث اللساني وكل القطاعات المرتبطة به، وهذا ما يعبر عنه أحد الباحثين بالقول: (إننا نشكو من أزمة لغوية حادة تلطخ جبيننا الحضاري، أزمة على جميع الصعد تنظيراً، وتعليماً، نحواً، ومعجماً، استخداماً وتوثيقًا، إبداعًا ونقدًا).

إنها أزمة تَطَال أعلى المؤسسات في البلدان العربية، أعني المؤسسة الجامعية، والمسئولين عنها.

وهذا ما يعمق الإشكال أكثر، ويزيد من حدته، ويجعلنا نحس بنوع من التناقض الصارخ بين واقع البحث اللساني العربي ونظيره في الغرب.

غير أن الإجماع على وجود أزمة في البحث اللساني العربي لا يوازيه تصور واضح لطبيعتها ومسبباتها، ومن ثمَّ اجتراح حلول ناجعة لتجاوزها.

كما أن معرفتنا بمنطق اللغة بصفة عامة، من شأنه على حد تعبير (فتجن شتاين)- أن يزيل أغلب المشكلات التي قد تبدو متعذرة الحل، ويكون سببها راجعًا إلى الغموض في المعاني أو الالتباس أو غير ذلك.

لم يرافق المفاهيم الوافدة إلى العالم العربي أي تحديث للفكر، والحريات وللعلاقات وللنظم السائدة كافة

• يبرز لي سؤال جوهري، على التو، أستهل الفرصة لطرحه عليك وهو بالتأكيد يأتي من صميم المشكلة اللسانية في الوطن العربي وعلاقتها بالترجمة: هل لذلك من أثر أسهم في تعقيد المشكلة.. يا ترى؟

- دعني أستاذي علي هنا أن أنقل إليك رأي كاتب اشتغل بجدية عالية وبأكاديمية صارمة ومتعمقة بالدرس النقدي الحداثي ألا وهو (عبدالعزيز حمودة) وبلهجة -متوافقة معك- ملؤها الخوف والحذر عن مدى إمكانية نقل النظريات الحداثية إلى اللسان العربي.. فيقول: (أثير في النصف الثاني من القرن العشرين، أن ترجمة النظريات النقدية، خاصة الحداثية وما بعد الحداثية، تمثل أعلى درجات التحدي لقدرات المترجم ذهنيًا ولغويًا، فالمترجم هنا يجد نفسه يتعامل مع مصطلحات لغوية مفردة أو مركبة، لم يحدث الاتفاق على دلالتها بعد بين أبناء الثقافة الواحدة، وأحيانًا بين أبناء الثقافة التي أفرزتها، أو بين أبناء الثقافات المختلفة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن

ارتباط المدارس النقدية الحداثية وما بعد الحداثية كالفلسفة الأوروبية الحديثة، خاصة الظاهراتية والهرمينوطيقية، ونحت المصطلحات والمفاهيم من داخل البيت الفلسفي يجعل إدراكه المعنى حتى على القارئ من داخل الثقافة نفسها تحديًا آخر أكثر إجهادًا للقارئ، فما بالنا بالمترجم؟ وفوق هذا وذاك، هناك العنصر الحداثي وما بعد الحداثي، القائم على تعمد الغموض والإبهام لتأثير إبداعية النص النقدي وأهميته، هذه العوامل مجتمعة في نص حداثي نقدي غربي يضع المترجم، أمام مهمة شبه مستحيلة).

ثم إن (عبدالعزيز حمودة) يشير إلى هذه النتيجة المؤسفة (ومتابعة سيل الترجمات الحداثية إلى العربية في العشرين عامًا الأخيرة، تؤكد أن المترجم العربي عامة لم يكن على مستوى تلك المسئولية).

• هل تقصد بتحليل المفهوم بأنه يقتصر بكامله على علوم اللغة فقط، أو أن هناك أنساقًا أخرى متآزرة معها؟

- علينا أن نعرف أن كل مفهوم حديث أو متجذر لا بد وأن ينظر إليه من خلال مجموعة واسعة ومتعددة من الأطر والأنساق، ومن بين تلك الأطر للتمثيل فقط لا الحصر يأتي إطار (نسق نوعية الحياة)، الذي يرتبط بنسقين آخرين، هما: أولاً العلم الاجتماعي، ويتفرع منه (نسق الرفاه)، و(نسق التنعيم). ثانيًا يرتبط بما سبق من مفاهيم أخرى وثيقة الصلة بها هي (نسق التنمية)، و(نسق التقدم)، و(نسق التحسين)، و(نسق إشباع الحاجات)، بالإضافة -وهو الأهم بالنسبة للوطن العربي- يأتي (نسق الفقر)، وعلينا أيضًا أن نميز لدراسة ذلك بين (ماذا يعني النسق كحالة؟)، و(ماذا يعني النسق كعملية علمية؟)، فهناك مثلاً الحالة الاجتماعية والعملية العلمية الاجتماعية والتفريق بينهما كرؤية تمثل استراتيجية جوهرية للتعامل مع المفاهيم. فلكل مفهوم إذن حالتان يفرضهما منطق أي دراسة أيًا كانت، هي تتجه في تعاملها مع المفاهيم، فمثلاً المفاهيم الثقافية لا بد أن ننظر إليها من خلال: (الحالة الثقافية)، و(العملية العلمية الثقافية)، وهذا المثال يسحب نفسه على دراسة كل المفاهيم، ومن بينها مفاهيم اللغة، ومن الواضح أن أي مفهوم في أي مجال والمفاهيم الأخرى المرتبطة به تتوقف أولاً وبشكل مباشر على مجمل الأنساق والسياقات التي تحتويها تلك المفاهيم بشكل أدق وصارم. فمن الممكن أن يُعَدَّ جانب ما من الوجود البشري مرغوبًا فيه في مجتمع معين وفي مدة زمنية معينة ومحددة، لكن هذا الجانب يمكن أن يفقد تلك الخاصية بمرور الزمن، بل ربما يمكن أن يعد مكروهًا سواء في المجتمع نفسه في نقطة زمنية أخرى، أو في مجتمع آخر في المدة الزمنية ذاتها. وكل تلك الاعتبارات يجب الوقوف أمامها في المعالجات المختلفة لكل المفاهيم العلمية.

إن بعض المثقفين أرادوا ومن خلال تعاملهم مع تلك المفاهيم أن يبرزوا صورهم المعرفية -وهو وهم معرفي عميق- دون أن يعوا أنهم قدموها من خلال الصورة المنبثقة من داخل المرايا المقعرة

• من ملاحظتي مما سبق ذكره في موضوعك برزت لي إيماءة متمثلة في رؤيتك أن الذاتية هي أكبر مشكلة في تمثيل المفاهيم ومواءمتها؟

- لعل أهم هذه المشكلات المتعلقة بمعاني المفاهيم تأتي من سببين رئيسين هما:

أولاً: عملية تمثيل المفاهيم، أي ما هي آليات تلقي المفهوم وكيفية تمثيله؟

من المعروف أن كل رمز ذي معنى توجد له مجموعة من القواعد التي تتحكم في استخدامه (وهذه القواعد هي معنى الرمز)، ويكون قد تم شرح أو تفسير معنى الرمز حين يتم شرح أو تفسير القواعد التي تحكم استخدامه.

إلا أن الأمر -من الناحية العملية- ليس على هذه الدرجة من التبسيط، فكثير من الرموز، يبدو أن لها قواعد مختلفة، بل وحتى متعارضة تحكم استخدامها.

وسوف نتناول في ما يأتي بعض هذه المشكلات عن المعنى لكي نحدد أسبابها، وما يترتب عليها من آثار في التفكير، وكي نتبين ما إذا كنّا نستطيع وضع المناهج التي تضمن ألا نضل أو نخطئ بسبب هذا التعارض في رموزنا ومفاهيمنا.

ولعل أهم هذه المشكلات المتعلقة بالمعنى هي تلك التي تعوق أو تعطل إحدى وظائف اللغة الأساسية، ألا وهي وظيفة الاتصال.

ومن الطبيعي أن نشير أولاً إلى وظيفة الاتصال، ومن ثم علاقته بالمعنى.

وبما إن الاتصال ومن ثم المعنى اللذان يرتبطان بشكل قوي جداً بـ(الذاتية)؛ حيث تبرز على الدوام وبدرجة عالية في مسألة تحديد جوانب الوجود البشري وأبعاده (الاجتماعي - الثقافي.... إلخ)، التي يمكن عدّها (مرغوبة) أو (مكروهة)، وبما يبرر تضمينها كعناصر للمفاهيم، بل تزداد مشكلة الذاتية تعقيداً إذا ما دخلنا في تفاصيل دقيقة في عملية التحديد هذه. بمعنى من يقوم بهذا التحديد؟ وكيف؟ وتتعقد المشكلة أكثر إذا ما دخلنا في قياس مدى الرغبة في هذا العنصر المفهومي أو ذاك، وهنا نصل إلى السبب الجوهري الثاني وهو (المواءمة) الذي عليه وبصورة أدق يأتي تحديد قيمة ما لقياس عنصر مفهومي معين في مجتمع معين بأطر معينة وفي مدة زمنية معينة.

أريد هنا أن أشد انتباه القارئ إلى مسألة في غاية الجوهرية ألا وهي (إن سوء استخدام كل معايير ومقاييس البحث العلمي إنما يعود إلى تحيزات القائمين عليها وليس كامنًا في طبيعة المقاييس في حد ذاتها).

فلا يمكن -إذن- فهم البحث العلمي بمعزل عن العوامل المحيطة بالباحث، والسياق السياسي والاجتماعي الذي يعيش فيه، فالباحث ليس ذلك الإنسان الذي يعيش في برج عاجي يطور أفكاره ويختبر فروضه مدفوعًا فقط بفضوله العلمي وفي رغبته في تطوير مجاله البحثي والإضافة إليه.. بل إن الباحث -بالإضافة إلى ذلك- إنسان له تحيزاته وهمومه، ويعيش في زمن معين وأرض معينة.. هذه التحيزات والآراء السابقة بل الأوهام والطموحات والآمال لا يمكن للباحث أن ينزعها عن نفسه بشكل آلي على باب معمله قبل أن يدلف إليه، بل هي موجودة دائماً تصحبه في مجال عمله كما تصحبه في حياته الشخصية.. ومن ثم أصبح هذا الفصل المصطنع بين الباحث وموضوع بحثه بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي فصلاً غير ذي معنى.

صدّق بعض المثقفين العرب صورهم في المرآة مما سبب لهم شرخًا غائرًا في أعماق نفسياتهم، كان سببًا حقيقيًا في وصول المثقف إلى حالة من الانفصام -وليس الفصام

فالموضوعية المطلقة وهمٌ حتى على المستوى الفيزيقي كما بيّنَ ذلك عالم الفيزياء الألماني (فيرنر هيزنبيرغ) في مبدئه المعروف (بمبدأ اللا يقين). فحتى جزئيات المادة وفقًا لهذا المبدأ تختلف حركتها اعتماداً على الشخص الذي يقوم برصدها من زاوية رؤيته.

فالموضوعية إذن ليست في التشدق بالأرقام والمعادلات، بل في قدرة الباحث على الوعي بتحيزاته وتأثيرها في عمله.

إن هذا الوعي بالتحيزات المسبقة -وليس تجاهلها- هو أكبر ضامن لتحقيق الموضوعية.

وهنا نود أن نشير إلى أن ذلك الاتجاه موجود مع العلوم الطبيعية التي تضيق كثيراً فيها تحيزات الباحث فما بالنا إذن بالباحث في العلوم الإنسانية وبخاصة إذا فقد الأساس المتوازن بين المتدربين على البحوث والأساتذة المشرفين.

وعلينا أن نقف جميعًا لاستبصار ذلك وبخاصة في مجتمعاتنا العربية (والمجتمع الحضرمي منه على وجه الخصوص)،

وبالذات منذ مطلع القرن العشرين. فالتفكير النقدي، إن اجتمع مع التهذيب الأخلاقي لهو أقوى الوسائل قاطبة لتحقيق مستويات من الخير لم يعرفها كوكبنا من قبل.

• إذن كيف يستطيع العقل العربي في عصر التدفق المعلوماتي أن يجد له خطى ثابتة في تعامله مع المفاهيم المختلفة؟

- بالوقوف مع الدراسات المقدمة في العقل العربي نأتي إلى خلاصة هي أنه لا يستطاع أن يتعامل بسهولة مع (المفاهيم)، وبخاصة إذا عرفنا أن لها طبيعة متغيرة كما أشار إلى ذلك عدد من علماء اللغة بدءًا بالجرجاني ومرورًا بتشومسكي وانتهاء بالتفكيكيين ونظرية التلقي.

تمكن بعض المثقفين من تقديم رؤى ثاقبة بتفحصهم لعدد كبير من الدراسات، واستطاعوا أن يبينوا النزعة الشمولية لكل النماذج العالمية، التي أرادوا لها أصحابها التطبيق القسري في واقعنا الإسلامي والعربي

ولأن كل تأليف ينتج عنه علامة تغطي منطقة من المعيش النفسي أو الاجتماعي أو السلوك العملي، أي ما يسميه (بيرس) في كتاباته بالعادة التي تؤول وفقها الوقائع، فنحن إذن نؤوِّل دائماً وفق غايات النفعية، ولأن القرارات التي شكلت اقتصادنا العربي والمجالات العلمية الأخرى كافة، ومن ثمَّ مفاهيمنا عنها هي في الواقع قرارات المنتجين لها.

فالمنفعة هنا أمر ذاتي يستحيل قياسه، ومن هذا الصميم بالذات وبكل تأكيد تأتي أكبر مشكلاتنا.

• برأيك ما هو الأهم والمهم من كل ما تقدم من حديث؟

- علينا قبل كل ذلك أن نتذكر على الدوام أننا بحاجة إلى أن نتعلم أن أي أداء أو أسلوب لا يرتبط بمنهج واعٍ لكل عناصره المتآزرة والمتكاملة ويؤطر بمنظور منطقي معياري نظري وتطبيقي لا يؤدي إلا إلى عدم الفاعلية، ومن ثم التراجع إلى الخلف خطوات بعيدة قد لا نقوى بعدها على تحقيق حتى أولى درجات النهوض، وعلينا أيضًا أن نؤمن بأن أي منظور لا ينطلق من الإنسان لأنه أهم جزء في أية معادلة تدعو للنمو والتطور هي الأخرى أيضًا لا تحمل منطق فاعليتها في ذاتها الموضوعية الجوهرية.

لذا علينا أولاً أن نعيد صياغة نفسية الإنسان ونحقق له البيئة المناسبة لذلك فهو الكائن الوحيد الذي طور نسقًا من المعاني والرموز الذي يدرك من خلالها الواقع، وهو أيضًا الكائن الوحيد الذي لا يستجيب مباشرة للمثيرات وإنما لإدراكه لهذه المثيرات وما يسقط عليها من رموز مختلفة بدلالات متعددة ومتشعبة. ولا يمكن إدراك ذلك إن لم نقم بتنمية الوعي المعرفي بتسليط الفكر على التفكير ذاته والتعرف على استراتيجياته وأنماطه وكيفية تمثيل المعارف التي تغذى آليًا وتتولد عنها.

فإن التفكير في التفكير يكسب القدرة على التوجيه الذاتي الذي يضم في إهابه سلسلة كبيرة من القدرات الذاتية من قبيل: الانضباط الذاتي، والتصويب الذاتي، والرقابة الذاتية. وهو ما يضمن الارتقاء بمستوى التفكير بصورة مثابرة ومضطردة.

وبناء على ما سلف من مهارات وقدرات يمكن النظر إلى إمكاناتنا في (مؤسسة جامعاتنا العربية والمحلية)؛ حيث نرى أن ذلك لا يتوافر إلا بتفاعل العقول - بعد اكتسابها كل المهارات اللازمة ومنها ما هو مشار إليه سلفًا- وتنمية نزعات التفكير الجمعي والعمل بروح الفريق، وهو ما يتطلب بداية ضرورة التزود بعدة معرفية جديدة ومتجددة، تؤهل المشاركين لاعتراك النزال الفكري خصوصًا أن كثيرًا من المشكلات الراهنة ذات طبيعة تتجاوز معرفة التخصص إلى عبور التخصصات، وقد لوحظ أن كثيرًا ممن يشاركون في جولات العصف الذهني يأتون إليها بميراثهم الثقافي النفسي المتخلف ومن غير إعداد كاف لهذه العملية الذهنية الجادة، وهو ما يتطلب ضرورة اكتساب الحد الأدنى من الخلفية المعرفية، وإعداد أوراق عمل تمهد للنقاش، وهذا هو ما نراه الأهم والمهم.

104
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

زاهد خريف

د.سعيد الجريري

زاهد خريف ليس اسماً ثنائيًا لشخص ما، كالخطاط الباكستاني الشهير محمد زاهد مثلاً، أو الممثل الباكستاني أيضًا زاهد افتخار، أو لاعب نادي الموصل العراقي علي زاهد، ولكنه صفة لأول وظيفة كنت أؤديها في مرحلة اليفاعة، نظير مكافأة عينية بسيطة.

كان ذلك في منتصف سبعينيات القرن الماضي، في قريتنا الوادعة (الغريفة) إحدى ضواحي الديس الشرقية، شرقي حضرموت، حيث كان جدي لأبي -رحمه الله- يستعين بي في موسم الخريف مدوّنًا في كراسة مخصصة لتوثيق المحصول بمكاييل تقديرية، فكنّا أربعة: هو وخبير بزهد النخل، أي تقدير ما عليه من أعذاق، والمزارع المعتمد، وأنا، نطوف معًا، لأتلقى منهم أرقامًا دالة على عدد المكاييل التي تحملها كل نخلة، مما كان مختلفًا أنواعها، مصنفةً في صفحات مخصوصة، كالبقلة وهي نوع متعدد، والسقطراية، والطيبة، والمُكيّة، والنفوخية، والباضواية، والبرحية، والقليزمية، والشوغلية... إلخ، وهي كلها محصول وفير، يبرّحون الفائض منه -أي يجففونه- في أحواش على مقربة من المزارع مسورة بالأحجار تسمى (الدروع)، ثم يتم تجميعها، ورزمها، حتى يتصبب منها الرُّب (الدبس) اللذيذ، لتكون مما يقدم في المناسبات، كإفطار رمضان أو (التهاليل) التي توهب لأرواح الموتى في (الختايم) التي كان لها روحانية شعبية، أو في ضحوات سائر الأيام في ما يعرف بـ(القيال).

ولأن القضاء يفقّه، كما يقال، فقد تطورت عامًا فعامًا من مدوّن عادي، أو قلم بيد محرّك، إلى زاهد مساعد، فزاهد مشارك، ثم زاهد ذي خبرة، ما جعل مكافأتي العينية تزداد عما سبق، حتى كنت أنتظر الموسم بتلهف لأقضي طقوس التطواف المقدس بالنخيل وأعذاقها المعلقة في الفضاء، صفراء، أو حمراء، مما يبهج ذلك الفتى الريفي الذي يستنشق كل صباح نسائم الأرض الطيبة المطل عليها البيت الذي يؤويه.

وتمتد الحكاية مع النخل وأنواع الرطب إلى فصول أخرى مع الزروع والفواكه والخضار في عصر ما قبل الكيمياويات، تتنفس الآن في الحروف والكلمات، فأشجار الجوافة (الزيتون في التسمية المحلية) لها عبق يضوع في المزارع، وكلما دنوت من شجرة ألفيتها مثقلة بما اصفرّ منها أو ما زال أخضر، فتهز إليك بجذع الشجرة ليتساقط ما يبهجك، حيث كانت الأرض معطاءً، وللطيور والعابرين ما لا يحول بينهم وبينه مُزارع، أو سواه. وكالزيتون، البيدان (بيدان بيدان حالي سويدان) الذي له عبق آخر مختلف، يذكيه طائر يمر بالأشجار ليلاً فـ(ينبق) من ثمارها، كأنه يؤدي وظيفة الدال على ما حان قطافه. وإذ تهز البيدانة تتساقط بيداناتها ألوانًا مختلفة، فمحمرّ، ومحمرّ مشوب بصفرة، ومصفرّ مخضرّ، وهي مذاقات مختلفة أيضًا. ثم لعلك تمر بأشجار الباباي الفارعة الطول لترى نهودًا طبيعية معلقة في فضاء، أو تتفيأ شجرة ليمون وارفة الظلال، وقد وشّت الأرض بحبات الليمون خضراء أو صفراء أو مائلة إلى صفرة، أو تمر بأشجار النارجيل (الميادع) محملةً بجوز الهند (الكزاب)... إلخ كالرُّمّان والحومر (التمر هندي). أما الخضروات فتبدأ من الفلفل الأخضر (البسباس)، والضدح، والرجنة، والكزبرة، إلى

الباذنجان، والدبة البيضاء (القحزوز)، والبامية، والطماطم البلدي،... إلخ. ثم تميل على فضاء الحبوب بأنواعها، وإن تنس لن تنسى الدخن ولون سنابله ورائحتها وهي واقفة بشموخ على أرض ريانة، يتعهدها المزارعون بعناية تتجلى نتائجها في العطاء المتبادل.

أن تكون في قلب الأرض، في قلب الطبيعة، حيث ترى اختلاف الليل والنهار مشكلاً مظاهر الحياة، في دورة الإنتاج الزراعي، فذاك مما يجعلك جزءًا من تلك الأرض والطبيعة، فيكون لعبقها في مستنشقاتك موسيقا خاصة، تزداد صخبًا بقدر همسها، عندما يتدفق الماء في كل (عتم) و(صليف) بقراريط محدودة (جمع قيراط*) في أيام معلومات وفق دورة متفق عليها، فثمة دورة الفجر (غبشة) وهي قصيرة، ودورة أخرى أطول قليلاً هي دورة (الهجر)، أي نهارية. فيما هناك دورات استثنائية مغدقة، عندما تنهمر الأمطار أو تسيل الوديان، فثمّ عناق بين الأرض والسماء مثير بتفاصيله التي كنت أدرك بعضها فتى، ثم أدركت بعضها لاحقًا، أو أتمثلها الآن بعين أكثر وعيًا.

وعودًا على بدء، لقد كنت زاهد خريف، والخريف هو وقت اجتناء التمر، وليس فصلاً من فصول السنة الأربعة. إنه مدة من فصل الصيف، (وفي العربية: خرف في بستانه: أقام فيه وقت اجتناء التمر في الخريف)، حتى أن سكان المدن كالشحر مثلاً لهم مخترفات معروفة، كالواسط مثلاً، أو الديس الشرقية حيث كنت، ولا سيما حين يقر البحارة والصيادون على البر، عند ارتفاع أمواج البحر وهبوب الرياح، في تلك المدة من السنة، فكأنما الخريف إجازة العام الطبيعية. وبالمناسبة فإن هناك شكلاً من أشكال المقايضة القديمة كان يتم في المزارع وغيرها، إذ يقايض الصياد أو مملّح أنواع معينة من الأسماك ما يعرف بـ(المالح) وهو أشبه بالفسيخ عند المصريين، بكميات من الرطب، وهي مقايضة مالح بحلو، فيتلذذ ذو المالح بحلاوة الرطب المختلفة ألوانه، ويتلذذ ذو الرطب بلذعة المالح المتعددة أنواعه أيضًا.

هي لحظات بسيطة كان فيها الناس أقرب إلى إيقاع الأرض الأول، لذلك فموسم الخريف حافل بالزيارات الشعبية ذات المسحة الدينية، التي هي أشبه بالأسواق العربية القديمة حيث تروج التجارة الشعبية، وتفيض الفنون رقصًا شعبيًا وشعرًا، وبهجة إنسانية حقيقية، يتجاور فيها ذوو مهن مختلفة يجمع بينهم فضاء طبيعي، كأنما أرواحهم موصولة بسماء تحبهم وأرض يحبونها.

لم أكن زاهد خريف فقط، ولكنني كنت عاشقًا للأرض في كل الفصول، أتفيأ الأشجار، وأتكئ على المضالع، وقد أغفو أحيانًا تحت علب من العلوب العظيمة (أشجار السدر) أتنفس عبق الدوم (النبق)، أو أتتبع عصافير ملونة، تزقزق مبتهجة، متنقلة بين غصن وآخر، وبين شجرة وأخرى، تمامًا كما تتجلى الحياة والعلاقات الإنسانية بجمالياتها بين القرويين والقرويات في المزارع. ولعلي لذلك كنت ممن انفتح إدراكهم مبكرًا على حكايات ذات مرجعيات خرافية ورمزية كان يرويها المزارعون والعابرون، على إيقاعات الشعر الشعبي الذي يحفظونه في ليالي أنسهم ثم يستعيدونه في نهاراتهم، مستمدين منه نشاطًا وإقبالاً على حرث الأرض وتعهدها بالعزق والسقيا، ثم الحصاد.

ولعل من طريف ما عرفت لاحقًا من سيرة الشاعر العراقي الرائد بدر شاكر السياب الذي شغفت بشعره حتى كان موضوعًا لبحث الدكتوراه، أنه اشتغل، مضطرًا، في إحدى فترات فصله التعسفي عن العمل (ذوّاقة تمر) في البصرة الشهيرة بتمورها الرهيبة، وأبرزها البرحي، ثم لما زرت البصرة وقراها حيث بيت السياب في أبي الخصيب، تذكرت يفاعتي، فكانت البصرة معادلاً موضوعيًا للمشترك (التمري) بين ذواقة التمر الشاعر الباذخ وزاهد الخريف المتأمل في أسرار أسلوبه الشعري وهجرته النصية في الشعر العربي الحديث.

---

*قال المحضار: كفى لو معي (قيراط) معمور في الروضة ومسكن بشعب النيل.

106
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

بين الأرواح

عمار باطويل

لست أدري لماذا اخترت العقدين الأخيرين للكتابة عنهما من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٢٠م، هذه المدة مضت ولست أدري كيف مضت بي؟ فعندما حلت الألفية الجديدة وقتئذ كان عمري ما يقارب ١٩ عامًا. كنت شابًا متجردًا من القيود، أشعر بحرية كبيرة، بل ربما كنت في تلك المرحلة مراهقًا، وهي مرحلة يمر بها الكثير من الشباب. فأنا من مواليد ١٤ فبراير ١٩٨١م، وهو زمن يصادف مئوية رحيل الروائي الكبير دوستويفسكي صاحب رواية (الجريمة والعقاب). زمن مولدي لم أحتفل به حينها، ولعل والديَّ احتفلا به وفرحا كثيرًا عند أول صيحاتي قبل أن تودع الشمس حواف وادي دوعن. فقد كنت مباركًا في أيامي الأولى لأني حملت اسم جدي (مبارك). وجدي لا أعرف عنه الكثير؛ فقد رحل عن الحياة مبكرًا في خمسينيات القرن العشرين، ودفن في مدينة تريم المباركة، وبعد الاطلاع على مخطوطات أجدادي اتضح لي حياة جدي جيدًا فكان مهتماً بزراعة أشجار النخيل، وورث عن جده مبارك حمد قطع زراعية عدة في شرج حاح وفي خيلة، وتعود وثائق تلك الحقبة إلى ما يقارب ٢٠٠ سنة، وله أيضًا أراضٍ زراعية عدة في غيل الحالكة، ومن خلال تلك (المخطوطات) عرفت حياة جدي ومعاناته فقد تغرب مبكرًا في مكة المكرمة، واشتغل بها كما أخبرني عمي. فجدي مبارك -رحمه الله- رجل حساس وصاحب نخوة، وهو القائل:

لا قد خوتك عندك وعيال عمك صلاب
بيرعضون المصبح من مزون السحاب

ومن ثم تم تحويل اسمي إلى عمار بعد أن اشتد بي المرض، وهذا اعتقاد من البعض من أهالي مناطق حضرموت أن يغير اسم الطفل عندما يشتد به المرض لكي يتعافى وتمتد به الحياة. فمدة الطفولة عشتها هادئة بين وادي دوعن وهضبة حضرموت (الجول)، وأحيانًا في مدينة المكلا الساحلية، وهذا يتضح في رواياتي ففيها الاحتفاء بالمناطق التي عشت فيها وعرفتها جيدًا. ومضت بي الأيام تلو الأيام وهاجرت إلى السعودية، ومن ثم إلى أمريكا، وشعرت بصخب الحياة فيها، وبخاصة منذ سنة ٢٠٠٠م إلى ٢٠٢٠م، شعرت بأنني قطعت قارات، وعاشت بداخلي أوطان عدة، وشاهدت وجوهًا وأحبتها، وتنكرت لي وجوه وبعدت عنها لست كارهًا لها، فأنا لا أكره ولكن أبتعد وأتلاشى، لا أصدر ضجيجًا وأتوارى عن الأنظار.

107
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

لست أدري كيف مضت بي الأيام؟ وكيف قطعت هذه المسافة الطويلة؟! فعقدان من الزمن ليسا بتلك السهولة وسبقتهما ما يقارب ١٩ سنة أخرى وأنا أجر الحياة خلفي، وأسمع أصواتًا حقيقية تناديني وأصواتًا أجهل مصدرها تناديني فأنصت لها وأثق فيما تقول، وأصواتًا حقيقية لوجوه حقيقية لا أستمع لها؛ لأنها تحمل في أوتارها الزيف الحقيقي، وقد علمتني الحياة من هؤلاء وما زلت أتعلم من الحياة وتعلمني. خسرت الكثير منذ تلك المدة الأب، والأخ، والصديق، وهذه تجربة ودرس آخر تلقننا إياه الحياة، وهي تجربة الفقد الحقيقي للإنسان، وهذا الفقد لا ينبغي منّا له أن نذرف الدموع، فقد فعلنا ولكن هناك مرحلة الانسجام الروحي بين الأرواح وهي مرحلة أخرى ربما لم يمر بها البعض. منذ تلك المدة عشت حوادث، وعوالم وهي تجربة غنية قادتني إلى معرفة ذاتي ومعرفة الله وحب الله. والله قادني إلى المعرفة وهي الحياة. لا أعرف كيف تجاوزت هذه المدة وهي مدة ذات عقاب كثيرة شعرت بها بكياني وهزتني، ولكن بطبع حالي لا أتذمر ولا أشكو لأحد، وشعاري الصمت دومًا كأني (ملك) (وأنا ملك نفسي)، أمشي رافعًا رأسي ولي الحق أن أفتخر بذاتي المتمردة، وأفتخر بكل الأصدقاء الذين أعرفهم عن قرب؛ لأنهم يحملون الصفة نفسها التي حملتها، وهي التمرد بصمت أو عبر الكلمات، وهو تمرد فريد من نوعه، أي الإصرار على الحياة برغم عقباتها وبرغم تقلباتها وبرغم الحروب. فمنذ أن وجدنا في الحياة ونحن نعيش في الحروب وبين الحروب، وهذا هو قدرنا وقدر الملايين من البشر، والرحمة لمن قست عليهم الحروب أكثر، وتركت في قلوبهم جرحًا عميقًا. نسأل الله اللطف، ونسأل الله السلام لهذا الوطن وكل الأوطان.

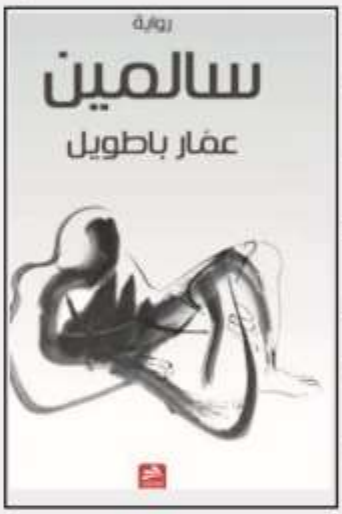

وفي الأخير كم تمنيت أن تطول الكلمات عن هذا العبور السريع في الحياة ومنذ ٢٠٠٠م إلى ٢٠٢٠م.

تجسدتُ في جسدي أرواح
وسكنتُ في حياتي مراحل

وعشتُ أزمانًا وعاشت فيَّ أزمان، وبين زمن وزمن حكاية، وبينها أرواح ووجوه سكنتني وسكنتُها، ومنها مضيتُ وما زلتُ أمضي. أقطف الأيام وتقطفني السنون، فتحط بي في طرق أجهلها، فترفعني طرق أخرى، وأمضي وأرتقب الحياة وأغني.

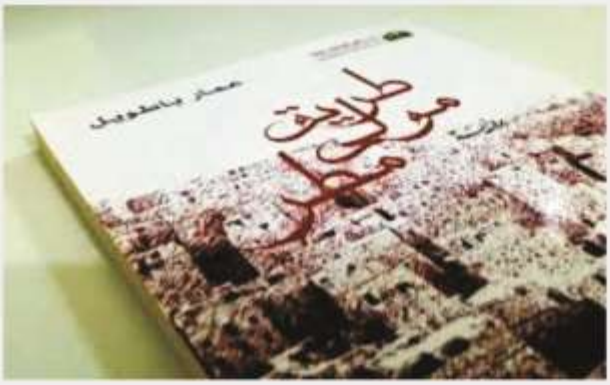

108
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

نوافذ حضرمية على شجن في الطريق

نصوص قصيرة جدًا

صالح سعيد بحرق

توق

يذهب في بهاء (المكلا) فتنداح دوائر الشوق على غسق الليل، يعانق في صباحها ألفة وياسمينا، يصافح الوجوه الخطو إلى مجدها، وبشاراتها، في أفق السلام والدان، والمحضار، والمئذنة تلك الطويلة..

يراقص البحر أشجانه، وطربه، وذكرياته الأليمة..

تحييه العيون المزججة بالكحل.. والحكايا الجميلة..

القويرة

ساحة أخرى للشجن، والفتوة والظهيرة.

فضاء للعب، مسرح لانهمارات الطفولة..

والحب إذ يطل من نوافذ الشوق، والليل الذي لا ينتهي..

وصوت السيل والحبيبة..

رحيل

حزم أمتعته.. أيقظ أهله.. جهز أدوات الصيد..

وضع فطيرة يابسة في سترته.. ومضى إلى البحر.

حين أقبل عليه، حياه بتلكم التحية اليومية، التي لا يعرفها أحد سواه.. اضطربت أمواج البحر.. ترد تحيته بأحسن منها.. هكذا كان يخيل إليه.. في ذلك اليوم أسمع البحر أغنيته.. أغنية الرحيل.. ورحل تاركًا على الموج زرقة غريبة..

فتاة

منذ أن هبطت من البادية، وهي تتوق إلى تعلم الحرف..

كانت تبدي رغبة قوية للحصول على الحرية..

يؤلمها أن تبقى حبيسة الأربعة الجدران في المدينة..

تطلعت من أفق الشوق إلى البهجة، والحياة الجديدة، ذهبت في أتون مغامرة.. واغتالت حلمها.. تلك الأيادي الكبيرة..

انهمارات شجن

يقبض على مقود سيارته، ويتأزم في داخله الحنين، يندم، يرتكب الحماقات تلو الحماقات، ويهمي فيه سيل الحرمان.. تصطف بريقًا من مدى لا يحيد..

يتأفف من الأشياء.. يصرخ.. يرتمي على يأسه

يذوب.. ينطفئ.. كفراشة فقدت ألوانها للتو..

ولا يفيق..

عذوبة

بعفويتها المعتادة.. تعرف كيف تسكب في أفانين وجده صيغة مختلفة للحنين..

تعرف انطفاءات حلمه بالأمس..

وتعرف كيف تكون امرأة..

ذات عذوبة.. وذات بريق..

تتماشى مع مفاصل الوجع، والذكرى، والهديل..

109
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

خور المكلا: شقيق النيل

شعر: د. أبوبكر محسن الحامد

دان. واداناه. واطربي!
(المكلا) تلبس العيدا

هات لي يا (خور) من بلدي
أغنيات راقصت غيدا

هات لحن (المفلحي) طربا
و(حسين البار) تنهيدا

هات من (جمعه) وبوصبري
هات (بشراك) و (عيديدا)

هات من (يسلم دحي) نغما
هات من (بحريش) تنضيدا!

من (علي العطاس) دندنة
ومن (الهدار) تجديدا!

يا شقيق (النيل) في مرح
و(فرات) ماج عربيدا

كم تناجيني وتملؤني
نغمًا بالنور ممدودا!

سائل الخلجان عن ولهي
واسال الشطآن والبيدا

جئت يا (خور المكلا) بي
تعب. أمشيك مكدودا

خطرات (الخور) تحملني
هكذا رسمًا وتجريدا!

والهوى يسري بداخلنا
نسمات نسنست عودا

وأغاني (الخور) في خلدي
خلدت في القلب تخليدا

يا ترى أنسي هنا ألمًا
ملأ الأيام تهديدا

من ظلام دامس قممْ
كان لي سجنًا وتقييدا

مر قدامي وبدده
أمل - يفتر - تبديدا

"فوداعًا أيها الماضي"
مرحبًا بالعيد تغريدا!

يا مُكلا

ياسر سعيد دحي

يا مُكلا يا مدينة الشوارع البرينة والحياة
يا مدينة الصلاة
يا مدينة الألعاب والأطفال والغناء
يا نجمة في السماء
ويا نبية في عيون الأنبياء
غني.. غني ولو مرة
فقاربي في الموج تاه
فالبحر ليس البحر يا مُكلا
ولا الشواطئ شواطئك
والرمل ذاك الرمل في اليدين
أنشودة للغناء
ما زال طعم الرمل يا مُكلا في الشفاه
كالنداء
يا مُكلا يا أجمل النساء
يا مُكلا يا مدينة الغناء.

❖ ❖ ❖

يا مُكلا طار طائر وعلا
في مقلتيك
وفي راحتيك نام
ثم تجلى
كعنقود من الأفراح والأشواق
فكان قاب قوسين حين تدلى
يا مُكلا
ساوموني فيك ولكن قلت لا وقلت كلا
فالمُكلا
مدينة الحب والمحبوب
حين الكل عني تخلى

110
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

دمشق وعالم الأشياء.....

(إلى الزميل الأستاذ/ محمد زهير الحريري) ذكرى يوم حافل في دمشق

سالم عبدالله بن سلمان

(1)

في عالم الأشياء
والبهاء
والجمال والفنون
في دمشق
تجولت كثيرًا
وسعدت أكثر مما ظننت
وها أنا.. أقول لكم
قد اتخذت طريقًا هنا..
وطريقًا هناك..
ومضيت بزهو..
لسوق الحميدية..(١)
وانتهيت...
إلى الجامع الأموي
الأبي
المكين.

(2)

وفي المرجة..(٢)
زرت مكتبة (لطلاس)(٣)
وطفت المدينة في فرح
غامر
وعانقت صفو السماء
وامتداد الفضاء
والمدى..
فيك ياقاسيون (٤)

(3)

وفي غبطة...
سعيت إلى الغوطة (٥)
وحين وقفت على أرضها
وفوق نهرها
تذكرت شاعرها الذي
قال فيها الكثير..
الكثير..
أنور العطار كان يرسم(٦)
في لوحة الفن
في ذرى الغوطة
روائع الثمار
واخضلال الأشجار
وفتنة الأزهار
وترنم الأطيار
وزخة الأمطار
وتدفق الماء
بصوت هامس..
وانهمار
وكل شيء كان ينبض
في تألقه...
على مر السنين

(4)

ولم يبق سوى بردى(٧)
بردى
الذي يدهشك منظره
وقد أوحى لك ما أوحى
فكيف لي أحصي
الذي في ساحه
انساب وامتدا
وفي سمائه
وأفقه
وعلى الثرى...
تمضي الغيوم
يسري النسيم
موشوشًا
ومضعم الشذى
حينًا وحينًا
وحين

(5)

في عالم الأشياء
والبهاء
والجمال والفنون
في دمشق
تشدك كل المآثر
والمنابر
فينهل حولك في لحظة..
تاريخ امتلك المزدهى
شغفًا وحنين

(6)

ومن حولك..
في امتداد الزمان
واتساع المكان
صوت فيروز....
سابحًا ومرددًا...
(شام يا ذا السيف لم يغب
يا كلام المجد
في الكتب
قبلك التاريخ
في غربة
بعدك استولى
على الشهب
شام يا ذا السيف لم يغب)(٨).

---

١. من أشهر أسواق دمشق الأثرية.
٢. المرجة حي في قلب دمشق.
٣. من أرق شعراء الشام الكبار.
٤. قاسيون أشهر جبل يطل على مدينة دمشق.
٥. أشهر منتجع سياحي في دمشق.
٦. شاعر سوري كبير.
٧. بردى أجمل نهر في ريف دمشق.
٨. مقطع من أغنية للفنانة القديرة فيروز.

محضارنا

في الذكرى العشرين
لوفاة شاعرنا الكبير
حسين أبوبكر المحضار
(الله يرحمه)

حسين عبدالله بامطرف

محضارنا شـــهدت له الأشـــعار ... واللحـــن والإبـــداع والآثار
يا من أتى بـــالدندنات بـــديعها ... وحـــنا بـــإعجاب له القـــيثار
وتناغمت في حـضن حـرف لامع ... العود والإيقـــــاع والمزمار
يهدي بلحـــن ثم يبـــني حـــرفه ... في تحفة قـــد جادها المحـــضار
ملك الحروف بحـــرفة وبـــديهة ... فإذا القـــــصيدة كلها معمار
نســـج القـــوافي دون أي تكلف ... فجرى القـــــريض كأنه أنهار
أسـطورة والدهر يشـهد والورى ... واللحـــن والعشـــاق والأسرار
إبـداعـــه خلجـاتـــه أفكـــاره ... قـــد عانقـته وفاقـــها الإشـــهار
كل البـــلاد تفاخرت بحـــروفه ... وشدا بحسن جمالها السمّـــــار
يا شاعر الأزمان لا الوقـت انقـضى ... كلا، فما زالت لك الأشـــــعار
تتلى، وما زالت يضوع لها شـــــذاً ... في كل ناحـــــية كما الأزهار
عشـــق الجمال وغاص في أعماقـــه ... فهو الخبـــير الماهر البحـــار
قد خاض بحر العشق وسط عواصف ... في غمرة وخليله الإبحـــــار
ولآلئ للعشـــــق من صدفاتها ... ومحارهـــا، مـــن خوضـــه تختـــار
يختـــار دربًا للمحبـــة شائـــكًا ... في متعـــة مـــن أجلهـــا يختـــار
هل تلك من ثقـــــة ترى تحلو له ... أم إنه الإقـــــدام والإصرار؟
قـــد ذاع صيت حـــروفه في عالم ... يحلـــو بهـــا التتويـــج والإيثـــار
للـ(بلفقـــــيه) ملازم في عصره ... ذاك الثنائـــي مـــدىً مختـــار
وهنـــاك (خـــان) ذائـــق لحروفـــه ... و(ابـــن المعين) بـــفنه مدرار
وهناك (مرســـال) و(محفوظ) هنا ... من رائع الكلم البـــديع اختاروا
غنى النشـــيد لفنه وحـــروفه ... وتفاخرت بنشـــــيده الأمصار
حتى الحقـول من الحروف تعجبت ... قـد أورقـت من عذبها الأشـجار
ولقـــد روت لجذورها وفروعها ... وأتت تجود بـــــينعها الأثمار
والجار يرعى بـــــالوداد لجاره ... أضحـــى بـــذاك الود نعم الجار
والهند في أشـــــعاره وصف لها ... فجمالها شـــهدت لها الأقـــطار
لكن حســـــن الحب فاق جمالها ... للحـــب حســـن ما ارتداه نهار
بـصمت لك الدنيا بـأنك شـاعر ... وملحـــن فخرت بـــه الأوتار
قـم أطلق الأنوار في حـلك الدجى ... حـتى تغيب من السـما الأقـمار
من حسـن قـولك تستمد ضياءها ... ولقـــــد أنارت منكم الأنوار
رحـــم الإله حبيبـــنا محضارنا ... اشـــمله بـــالغفران يا غفار

الشاعر يرثي نفسه

محمد سالم بن داود

ماذا يقول الناسُ عنّي
وما الجدوى
من يُحبّني ومن يكرهني
هل الكثير يمدحني أو يذمني
فأدخل الجنة أو النار
أنا على موعد مع الموت
وبوح الحياة وأسرارها
وكنه القدر
وضعتُ الأيامَ في جيوب كفني
وعلى مباذلي الخوف والرجاء
أنا مشغولٌ الآن
فليس لدي وقت أهدره في البكاء
على نفسي
فأنا أعْرفُ الناسِ بي
فقد كنتُ وفيًّا شجاعًا كريمًا
وكان الشعر عندي رسالة لا
أبتغي بها وجه البلاط
أزرعُ الحبَّ على أرض النفوس
وأتاجرُ في المودة السلعة ذات
النُّدرة كعطار في سوق شعبيّ
دكانهُ عتيق متهالك على نفسه
تفوح منه رائحة الحياة

❖❖❖

مسجًى بالوقار
والنعش يرقص في جلال
والروح في السماء
يرفُّ في حبور
والجسم في العفاء
ينام في سلام
والنعيُ في الهواء
أرنو إلى دفاتري الثكلى
ومحبرتي يراعها الغضُّ الطّروب
يشعُّ من سواده البياض
يحنو على الكلام في القرطاس
فلا يدري البكاء من الكتابة
وهاجسي يُملي عليه بناتِ
أفكاري العذارى
ونوار أشعاري
تطلُّ ملامح الدنيا على حلّي
وأسفاري
مكتبتي المنقسمة على ذاتها بين
الجديد والقديم
يا أيها القمطر
ابقَ ما بقي الدهرُ
فهناك من البذور في تلاحق
تحيا به الطيور

❖❖❖

أنا الذي رثيتُ آلاف الملايين
من الأعيان والأدباء والشعراء
والعلماء والمساكين...
أموتُ اليوم على فراش اللحن
ولا أجد من يرثيني
فلا عزفتْ ألسنُ الشعراء

❖❖❖

قيثارتي تنثال آمالًا وأشجانًا وأفكارًا
لم أتوقع يومًا أن أحطمها على
صخرة الظنون
رحم الله نفسي وتغشّاها بالمجد
وألهم أشعاري الحبَّ والأزمان
الفاتحة
آمين

❖❖❖

وبما أنني شاعرٌ ميت
اجعلوا لي شارعًا باسمي
لعلي أتمشّى عليه عندما تنام
المدينة
وكرّموني بدرع الكلام
ضعوه على صدر شاهدة قبري
واطبعوا كلَّ أعمالي
ودواويني طباعةً فارهة أنيقة
وأهدوها إليَّ موقّعةً بإمضائي
للقرّاء الأعزاء:
يا لقبرٍ يضمُ بحرًا غزيرًا
كيف خرّتْ كواكبٌ ونجومُ
وخصصوا لي راتبًا شهريًا
برتبة وزير
فأنا لم أتناول الخبز والعصير
والعصيدة منذُ ألف عام
لكنّني أقتاتُ القصيدةَ والغناءَ
والصفير
وحب الوطن
عظماء هم الشعراء والأدباء
فليحظوا بالمكانة الشمّاء
واجعلوا لي واجعلوا لي....
وفي يوم تأبيني
وفي الذكرى
أدرجوني ضمن الشعراء المشاركين
في المهرجان الخاص بي
سجّلوني آخر واحد
فإنني سوف آتي وألقي قصيدة
عنوانها
الشاعر يرثي نفسه

113
العدد (15)
يناير
مارس
2020م

نصوص شعرية مترجمة (عن اللغة الإنجليزية)

ترجمة: بسّام سعيد دحي

(1)

أحبها، تلك الزهور الذاوية

للشاعر البريطاني روبرت بريدجز

(١٨٤٤- ١٩٣٠م)

أحبها،
تلك الزهور الذاوية
ساحرة المجال
لاقحة الألوان الزاهية
بعطرها الخيال:
يا فرحة اللقاء!
يا مشهد الحب في الأرجاء!
كان ذلك - كلّه - في ومضة
وأغنيتي هي تلكمُ الزهرة!

وتلك الرياح الضاربةُ في الرحيل،
أحبها
من قبلُ،
كان لها على السماوات الأمرُ
ويهتزُّ طربًا بالترحيبِ بها المطرُ.
خفقُ نارٍ
معلنةً قيامة الأرواح
هي الرياح
ثم ترحلُ إلى اللامكان وتنداح
وأغنيتي هي تلكمُ الرياح!

اجعلِ الموت والغناء لكَ شهيقًا وزفير
واذوِ كالزهرِ الفوّاح
لا تخف من الموت
لا تخف من قبرٍ تجُدّدُه الرياح!
حلِّق
بابتهاج أيها الشعور
حلِّقْ بالحبِ
باللطف حلِّق.
احتفلْ بنعشكَ الآنْ
وعلى الجمال
أنْ يذرف الدمع قبل فوات الأوان.

(2)

علمتُ نفسي أنْ أحيا فقط

للشاعرة الروسية آنّا أخماتوفا

(١٨٨٩- ١٩٦٦م)

علمتُ نفسي
أنْ أحيا فقط،
وبانتباه
أنْ أرنو إلى الإله في السماء
بابتهال،
أنْ أهيم طويلاً قبل المساء
إلى أنْ تغادرني الهموم
وعندما تُصدرُ الأشـــواك حـــفيفًا
أسفل الوادي
وتحني الأشجارُ عناقيدها الكرزية
أنْظمُ أشعارًا جذلى
تحكي عن تحلل الحياة،
اضمحلالها والجمال.

ثُمَّ أعودُ.
على وقعِ قطتي وهي تلعقُ راحة يدي،
على موائها العذب
وعلى وهجِ الشرارات المتناثرة من
مناشير الخشب عند البحيرة.

وحدهُ بكاء الطير على سطح منزلي
بمقدوره أن يكسر الصمت أحيانًا.
أما إذا قرعتَ بابي
فربما - حتى - لنْ أسمعك.

(3)

حدادًا على "ما نظنّهُ عنّا"

للشاعر الأمريكي فرانك بيدارت

(١٩٣٩ - ...)

بداخلِ تجربة مدهشة، وُلدنا.
أقلُّ ما فيها، ما نظنُّه عنّا. نعلمُ جيدًا أن
لا مفرّ من طبعنا البشري: جدتي
علّمتني ذلك: طبعي الجلف
علّمني ذلـــك: لكـــن أظـــنُّ أننـــا
موجودين بداخلِ نظامٍ
حيث التاريخُ مجرد شبحٍ له -

توقيع قلم

(من جاء تحت الدار ما منّه تعذّار)

إذا كان للجغرافيا أثرها في تشكيل سلوك الناس وطباعهم وتحديد أنشطتهم الاقتصادية فإن المثل الشعبي يعكس جوانب من ثقافة الشعوب ومزاجهم العام، ويؤشر أحيانًا إلى أنساق مجتمعية متنوعة في إطار المجتمع الواحد، وبعودة إلى صيغة المثل نجده يُردَّد بصيغ متنوعة منها: (إذا قده تحت الدار ماشي منه تعذّار). وفي الثقافة الشفاهية الشعبية لا توجد قوالب ثابتة للأمثلة أو للكلام المأثور إنما تتعدد الصيغ لتحمل معنى واحدًا أو متقاربًا، ونص المثل بحسب العنوان واضح في معانيه لكنه يحمل دلالات تجعله يتحرك بحسب المناسبة أو ضمن النسق الاجتماعي القبلي أو الحضري، فمثلًا يكون المثل حاضرًا في الصدور عند وصول ضيف (ثقيل)، أو غير مرغوب فيه إلى عتبات البيت حيث لا مجال للاعتذار، بل يكون التظاهر بالترحيب من الأمور المستحبة في التقاليد العربية.

وأحيانًا يستحضر المثل عند قدوم طرف من الكتلتين المتخاصمتين إلى محل الطرف الآخر طلبًا للحوار وبحثًا عن الأسلوب الناجع لرأب الصدع، وغالبًا يوصف هذا الموقف الذي يبدو عليه التنازل بالمبادرة النبيلة يدعم ذلك تعاليم إسلامية تجعل الخيرية عند الخصام للذي يبدأ بالسلام، وهنا لا مجال للاعتذار، وهذه مرحلة توصل إلى قبول الحوار من حيث المبدأ قبل أن يدخل الناس في التفاصيل.

على أن المهم بالإشارة في هذا المثل عندما يستحضر في المواقف الصعبة أو الحرجة لا سيما عند وصول قوى معتدية إلى الديار ومداهمتها، وبخاصة بين الدول. في هذه الحالة يحمل ظاهر المثل دعوة إلى فضيلة الدفاع عن النفس، وعدم الاستسلام، لكن في حقيقته يؤشر إلى حالة من الغفلة، والضعف والاستكانة. فنحن هنا أمام مساحة مفتوحة أو رخوة يسرت عملية الاختراق، ومعروف في قواعد الاشتباك القتالية (أن الهجوم خير وسيلة للدفاع)؛ ولهذا فإن خط الدفاع الأساسي إذا اقترب من (الديار) فهو خط محفوف بالمخاطر ويؤدي إلى المهالك، وفكرة حفر الخندق (في غزوة الخندق/ الأحزاب) بمسافة معقولة خارج المدينة المنورة كان إجراء ذكيًا لصد القوات المعتدية قبل وصولها إلى الديار، وعلى أية حال فإن حفر الخنادق من تقاليد الحروب في العصور الوسطى التي تعمد في معظمها على المواجهة المباشرة وباستخدام تقنيات الحصون وأسوار المدن لا سيما عند الصراع الداخلي، وعلى نظام الثغور عند ترقب الهجوم من القوى الخارجية المتربصة بوصفها -الثغور- خطًا استشعاريًا أوليًا قبل وصول المهاجمين إلى أسوار المدن ومحاصرتها.

وباختراع الإنسان للأسلحة النارية الحديثة تغيرت قواعد الاشتباك تمامًا، وصار خط الدفاع عن (الديار) يتجاوز حدود الدول، وتكونت الأحلاف الدولية الكبرى، وتغير مفهوم الأمن القومي، فعلى سبيل المثال قبيل الحرب العالمية الثانية بعد أن ضمت ألمانيا النازية أجزاء واسعة من تشيكوسلوفاكيا حليفة فرنسا وبريطانيا اضطر رئيس الوزراء البريطاني (تشمبرلين) لتوقيع اتفاقية (ميونخ ٢٩ سبتمبر ١٩٣٨م) مع (ادولف هتلر)، وعند وصوله إلى بلاده صرح للصحفيين بعبارته المشهورة: "إن بلادكم خيّرت بين الحرب والعار فاختارت العار وستأتيها الحرب"، كانت بريطانيا ترمي إلى (رشوة) هتلر أو مهادنته حتى لا يصل إلى حدودها وحتى يتجه نحو الاتحاد السوفيتي وعلى صعيد مقابل، ودرءًا للخطر النازي وقع الاتحاد السوفيتي في عهد الرئيس (جوزيف ستالين) معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا ليصرف أنظارها ولو مؤقتًا عن بلاده، ولهذا عندما استمر هتلر في حربه التوسعية في أوروبا بعيدًا عن الاتحاد السوفيتي أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا قبل أن تتقدم نحو (الديار) البريطانية، والوقاية خير من العلاج، ونقل ميادين الحروب إلى مسافة بعيدة عن الأوطان وفي أرض العدو خطوة تحسب لصالح المبادرين أو المهاجمين. لهذا يخطط الإسرائيليون في حروبهم مع العرب وفقًا لاستراتيجية الحرب تحت ديار العرب؛ لأنهم يدركون أن المستوطنات الإسرائيلية ستكون أوهن من بيوت العنكبوت إذا جاس العرب حولها.

بعد الحرب العالمية الثانية حدثت طفرة في سباق التسلح بين الدول الكبرى، وتحولت موازين القوى من البحر والبر إلى السماء المفتوحة، وصارت (حرب النجوم) هي الحاسمة، وظهرت الصواريخ الباليستية، والعابرة للقارات، والذكية أو الموجهة، والقنابل النووية والهيدروجينية، والطائرات المُسيَّرة، والأقمار الصناعية التجسسية وغيرها، وبهذا انكشفت الديار من فوقها ومن داخلها ومن أسفل منها.

وفي خضم هذه التحولات الخطيرة ما يزال العرب يجهزون بعنتريات قديمة جديدة ضد بعضهم البعض، بجيوش جرّارة أكثر ما تستأسد وتجوس خلال الديار إذا كان (العدو) من جلدتهم ومن ملتهم، وما يزالون يدخلون في حروب ونزاعات عبثية تجلب لهم العار قبل الانهيار. ولأن التدافع بين الناس سنة من سنن الكون فإن الهدي القرآني يؤكد (لقوم يعقلون) على أهمية الردع، والاستعداد المتجدد للقوة ضد المعتدين المحتملين، لكن واقع الحال هو انكشاف الحال.

وفي هذا السياق إذا تحدثنا عن أهمية إيجاد صيغة اتفاق عربي حقيقي للدفاع العربي المشترك لحماية الديار في هذا الواقع المنهك بالنزاعات والعداوات البينية سيدخل في باب التنكيت المثير للسخرية، وفي أحسن الأحوال سيوصف بالطرح المثالي أو الخيالي، ومع هذا نرى لا خيار أمام العرب في قادم الزمان، وقد تكالبت عليهم الأمم إلا بالتكتل باستراتيجية الأمن العربي العام، والمصير المشترك، وغير هذا لن يكون عندهم مجال للأعذار إذا وصل الأعداء إلى تحت الديار، هذا إذا بقيت الديار.

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

بريشة الأستاذ
محمد حسين بن الشيخ أبو بكر

جائزة مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

إدارة الدراسات والبحوث

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر
HADHRAMAUT CENTRE
For Historical Studies
Documentation and Publicatin

موضوع الجائزة للعام 2020م

المعتقدات والديانات في حضرموت قبل الإسلام

مقدمة

عرفت حضرموت كغيرها من مناطق جنوب الجزيرة العربية عددًا من المعتقدات الدينية تبعاً لتطور منظومة تلك المعتقدات بحسب مراحلها التاريخية المختلفة، وهذه القضايا التاريخية لم تنل حظها من الدراسة العلمية المتعمقة، إذ ظلت بعضٌ من جوانبها بحاجة إلى مزيد من الدراسية وسبر أغوارها على امتداد وجودها في البيئة الحضرمية التاريخية.

وعليه فإن جائزة مركز حضرموت من خلال عنوانها العام تستهدف التركيز على دراسة إحدى القضايا التاريخية الآتية:

1. المعبودات الوثنية.
2. المعبودات الفلكية.
3. العمارة الدينية.
4. الطقوس الدينية.
5. الديانات السماوية.

الشروط العامة للجائزة

- أن تمتاز الأبحاث بالجدة، والأصالة، وسلامة المنهج.
- ألّا يكون البحث المقدم قد سبق نشره.
- ألّا يقل عدد صفحات البحث عن (40)، ولا يزيد عن (60) صفحة.
- أن يُكتب البحث بلغة عربية سليمة وصحيحة طباعيًا ولغويًا.
- حجم الخط المتن (16)، والهامش (14)، نوع الخط (Simplified Arabic).
- يجب على الباحث إرسال نسخة من بحثه بصيغة ملف (Word)، وملف (pdf)، عبر البريد الإلكتروني: hadcenter1@gmail.com
- يقدم المشارك سيرة ذاتية مختصرة يذكر فيها عنوانه الحالي، ورقم هاتفه للتواصل.
- تصبح الملكية الفكرية للبحوث الفائزة ملكًا للمركز، ويحق له طباعتها ونشرها وتوزيعها وبيعها.
- آخر موعد لاستلام الأبحاث 15 نوفمبر 2020م.
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز 20 ديسمبر 2020م (في حفل خاص).

جوائز المسابقة

تمنح الجائزة سنويًا باسم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

الأولى	الثانية	الثالثة
درع المركز + 300,000 ريال يمني	درع المركز + 200,000 ريال يمني	شهادة تقديرية + 150,000 ريال يمني